

البرتومورافيا

www.library4arab.com/vb

عاطف



www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

عذاب الحب

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

البرتومورافيسا

www.library4arab.com/vb

عذاب الحب

ترجمة بإشراف

بطرس صباغ

www.library4arab.com/vb

مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني

العاذارية - بيروت

www.library4arab.com/vb

جميع الحقوق محفوظة للناسر

www.library4arab.com/vb

مقدمة

لا خلاف في أن الكون على رحبه ، والطبيعة على شمولها
واتساعها هي ميدان الكاتب وحلبة القلم يحول فيها من أكبر
الشموس والمجرات إلى أصغر الأشياء وأدقها ... لكن أخص
ما يخص صاحب القلم هو عالم الانسان الذي لا ينفك يتغلغل
في أعماقه باحثاً مدققاً ، ومحللاً ناقداً ...

ومن أئمة هذا العصر وأعلامه ، والذي هو أحد سماته
الرئيسية الكاتب العالمي ألبيرتو مورافيا ، الذي ما تكاد تدفع
مطابع روما أترأ من آثاره حتى تتلقفه دور النشر في الشرق
والغرب ترجمة واقتباساً ، ودرسا وتمحيصاً ..

وهما هو يقدم لنا في هذه الصفحات قصة أسرة ، يعمل
قيمها في حقل الادب والفكر ، ولا سيما الرواية ..

لكنه ، وقد غرق في بحران حبه الزوجي نسي قصة
الادب ، لأنه استغرق سائر طاقاته النفسية والجسمية في أصغر
زاوية من زوايا جسم امرأته .. حتى اذا ما أراد أن يخلد
ذلك الحب برواية تلتص تلك الحياة الزوجية ، وتخلل بسادتها ،
لم يجد ندحة عن « الصوم » الجسدي والانصراف الى أعمال

فكره ووصل آفاه الليل بأطراف النهار مكباً على قراطيسه
يجبر الصفحة إثر الصفحة ، وكل نقطة حبر يبض فيها وجه
صفحة من تلك الصفحات خلجة قلب ، ونبض عاطفة ..
والمرأة تدفعه أبدأ على الإستمرار في عمله هذا ... آيلة على
نفسها ألا تريح طرفاً من محاسن جسمها إلا بعد أن يأتي على
آخر كلمة من رواية حبها ..

ولكن الذي لم يحسب له حسابه أن المرأة رغبة إلى زوجها
أن يطرد حلاقه الدميم الجلف الذي أساء التصرف معها بعد
أن طلبت منه مرة أن يصف لها شعرها هو ، لكن الرجل
امتنع عن ذلك منتحلاً شق الأعدار لإمرأته ، عاملاً جهده
لتبرير ساحة الحلاق ..

لكن الأيام أبت إلا أن تفجع الكاتب الروائي الذي
اكتشف أخيراً أن ما حبره لم يكن البتة أهلاً بتخليد ذلك
الحب العظيم ، الذي يكنه لإمرأته التي طلبت منه إعادة
كتابة الرواية ...

وفي فترة حرجة من فترات قلق الرجل الروحي نشد
زوجته فلم يرها حيث يجب أن تكون من غرفتها .. وخرج
من الدار فرآها تسير في طريق شد ما رغب في أن تنتهي إلى
غايته ليقوم هناك تحت ضوء القمر بتلبية رغبات شيطان
جسده .. متلبساً أثر المرأة عن بعد قدر المستطاع ..

لكن وفي غرة ذلك الضياء ، وتحت هالة البدر المتربع قبة

السماء شاهد ، وبالْبؤسه ، شاهد زوجه دمية يتلعب بها ذلك
الحلاق الدميم الذي رغبت هي ، وليس غيرها بطرده من

www.library4arab.com/vb

هل ثار الرجل لكرامته . . . ؟ هل قاصص زوجه . . . ؟
هل قتل الحلاق . . . ؟ هل اتحر . . . ؟ هل أكمل كتابة
الرواية التي تبين أن فسادها لم يكن إلا فساد الواقع الباطني
الذي تنعكس عنه سطور الرواية . . .

أسئلة كثيرة يمكن أن تراود ذهن القارئ . . . نترك
الإجابة عنها للكاتب الكبير ألبيرتو مورافيا . . . الذي له
وحده إسدال الستارة على تلك المأساة التي خلق شخصها ،
وشتان ما بين إجابة المبدع الأول ، وبين ناقد يعيش على
هامش الرواية ، مها صبغت منه الرواية ورق الحس .

الناشرون

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

١

أقول ... وحبذا من قول أستله بالحديث عن زوجتي !
الحب لو جرد من مفهومه ، يعني بعد ثذ الاستمتاع بالحبيب .
وما هو الاستمتاع ؟

الإستمتاع بمعنى آخر هو البحث أو التقصي عن مزايا
الحبيب ، والوقوف عند حسناته أو سيئاته

ما زلنا على مائدة العرس لم تمر إلا أيام قلائل حتى وجدت
في نفسي رغبة ملحة لأن أطلق العنان لناظري ، لأراقب
زوجتي ، وتغمري الفرحة عندما أراقب قوامها الجميل ،
وحرركاتها النشطة ، وتعابير وجهها التي أخذت مني كل مأخذ .
ولم أزل على هذه الحالة ، والسنون تمر سراجا ، فها أنا
أفتح عيني لأرى ثمرة حبنا تتبلور ونصبح ملك اليدين .

أجل إلى جانبي أطفال ثلاثة أنجبتها زوجتي ، ولا غرابة
في ذلك لقد أصبحت زوجتي في العقد الثالث من العمر ، وها
هي تميل إلى الاتزان والرصانة إن لم أقل إنها تغيرت كلياً .

إذا ما عدت إلى الوراثة أتذكر الماضي العابر مثلت أمامي

زوجتي الشابة الجميلة بوجهها النضيف الطويل ، إنها يروحي إلي

بكل صفات الطهر والعفة والجمال فحسي أمام هذه المزايا

كأنني أمام آلهة الماضي ذات الخلال الحميدة التي زادها جمالاً

توالي الأيام التي مرت عليها ...

هذه النظرة لا يمكن مشها بل هي كشماع من الشمس
ينعكس على حائط أو كسحابة تخيم فوق البحر ، وسرعان
ما تضحل ...

هذه النظرة سواء أ كانت إلى جمال شعرها السارح بصفائر
تعب عن الفرح والبهجة .. أم إلى جمال عينيها اللتين تحاكيان
عيون المهي - إنها كسعرها يوحيان بارتباك فكري وخجل ؟
أما أنفها فكان مستقيماً وكبيراً بشكل يتلائم مع الوجه ،
بما يزيد جمالاً وروعة ، ناهيك عن الشفتين الجميلتين الرقيقتين
اللتين تطوقاً فما صغيراً كما يطوق الكأس أوراق الزهرة الحمراء
حق ليبدو مثيراً للاعجاب والأحاسيس والشفة السفلى متعلقة
على ذقنها الصغيرة الحلوة ...

إن وجهها لم يكن كغيره أبداً . وبالرغم من ذلك ، كان
آية في الجمال ، لم يخلق منوالها قط .

وكمثل هذا الوصف ، يمكن أن يقال بقدها ، فمن خصرها
وإلى الأعلى ، كانت نحيفة ناعمة ، كأنما هي أرنبه شابة .

ومن ناحية أخرى ، إن رجليها قويتان مشدودتان بأعصاب
متينة تدل على قوة خارقة . ورغم هذا كله ، إن حاجتها إلى
التناسق ، كانت قد استبضت الجمال الذي يوشحها من قمة
رأسها إلى أخمص قدميها . - فبدت تشع بالكمال كأنها

وميض من نور ، فلا غرو بعد هذا إذا قلت ، أنتي عندما
أنظر إليها ، كنت أظنها ، إنسانة انفردت بهذه الملامح

www.library4arab.com/vb

الخاصة ، التي لا يشوبها شيء .
نعم ، لقد امتلكت التناسق والرصانة والرشاقة ، إلى
هذا الحد ، كان يذهلني هذا الجمال ، بل وإنني مجبر على القول
بلهفة ، بأنها كانت تغمريني بطهارتها ، ثم جاءت لحظات زال
هذا القناع الذهبي عن وجهها ، وظهرت شوائبها ، وأخذت
ألحظ تحولاً تاماً بشخصيتها .

لقد اكتشفت ذلك في أول زواجنا ، وعرفت أنني خدعت
كذلك الرجل ، الذي تزوج امرأة رغبة في نقودها . لكنه
إكتشف بأنها لا تملك ما يسد عوزها .

لقد أصبح وجه زوجتي أصفر يكتنفه الأسى والوجوم ،
مما يزيل كل جاذبية جنسية .

أجل إن هذا الوجوم عكس قبحها بشكل لا يقبل الشك .
فبدت عليها المظاهر الشاذة من تمرد ونفوذ وتجاعيد أشبه ما
تكون بانحناءات الطبيعة نتيجة الزلازل ...

حتى لأتصور نفسي وكأنني أمام شكل (كركاتوري) قد
أبدع الفنان في إبراز مزيسته . ناهيك عن فمها الذي يتلون في
إبراز الخطيئة مع تحرك أحمر شفاهها ، ومع تحولات عينها ،

www.library4arab.com/vb

عندما كانت زوجتي في زهوها وفي ربيع شبابها ، كانت تطلي
شفتيها بأحمر شفاه . أما الآن وقد أقبل الحريف وأفلت

شمس الربيع ، ومالت إلى الإصفرار ، فها هي تنهال على (الراج) فتضع منه المزيد على وجهها وشفرتها ، لكن وأسني لم يبد لها ثباتاً ولو علمت المستحيل لم تكن هذه الرخايف ظاهرة على وجهها عند نقاوتها ولكنها كانت تتلائم مع عينيها وزيا وشعرها أما الآن فقد أصبحت إنسانة بشكين فعندما ينفصل شكلها المصطنع عن شكلها الطبيعي تعود إلى قبورها ، فتعكف على (الراج) تضع منه إلى أن تأتي عليه بأكمله . وما هي تتحوو بالفاظها من كلام رزين مرتب إلى كلام بزيء تتخلله الضحكات العالية ، التي تعبت بها على هذا الشكل معتقدة أن هذه الطريقة تلفت إليها الإنتباه ، ويسد نقصها الذي شعرت به في أعماق نفسها .

ومن البديهي أن يكون جسدها كوجهها له طريقة لإزالة معالم الجمال فيتحول إلى شكل ذي معالم غريبة ، ولربما لم ير الانسان أبشع منه ، تجعدات وانحناءات ، فكأنها تتحسب لكارثة عظيمة ، لذا تراها مسمتزة خائفة تدعو إلى الشفقة . وبنفس الوقت تبدي حركات تعجز عنها أمهر الراقصات ، التي تهدف إقارة الجماهير ، والغريب العجيب إن ذراعها ورجليها منطوية لا تبدي حركة ، بل بالأحرى تراها تتحسب صفة ، فتأهب للدفاع عن نفسها ، - لكن والحق يقال : - إن تحول جسمها إلى الورااء يزيد جمالاً ويعتد المتعة إلى الناظر . أضف إلى ذلك حركات وركيها التي جعلت منها

فنانة بارعة في الوصول إلى أهدافها . وتحسبها على هذه الحالة
وكانها تفكر في التخوف من المخاطر . بيد أن التخوف
والمخاطر لم يكونا مكروهين لديها ، رغم كل ذلك أضيف
قبساً من نور إلى الحقيقة الواضحة وهي قدرتها على تبديل
مظهرها ، فتحسبها استأثرت بالطهر والرزانة والرصانة فتبدو
للرائي كأنها تشع طهراً وعفافاً .

سبق وقلت . إن الحب هو حب كل شيء بمن تحب .
حب السيئات إن وجدت كحب الحسنات ، عندئذ يقال إننا
نحب الحب الصحيح . إن هذه السيئات أو ما أسميه بمعنى آخر
نقاط البشاعة في الحبيب . أصبحت عندي مألوفة كالجمال كالرقة
والرصانة التي تبدو في الأيام الهادئة ، ولم يعد الحب بالنسبة لي
يعني التفاهم ، وإن كان يوجد هناك نوع من الحب يسير إلى
التفاهم فله نقيض آخر من الحب ، هو الحب العاطفي ، الذي
يعمي الحب عن مساويء الحبيب . إنني لم أكن غيباً لهذه
الدرجة ، إنما كنت أحتاج إلى الاستقرار الفكري للتأمل
بحب خالد . لقد عرفت أن زوجتي كانت تصبح أحياناً
بشعة ، ودونما رحمة ، وكنت أدرك هذه الحقيقة بأم عيني
ومع ذلك كله لم يكن باستطاعتي تركها ، فمن الانصاف بعد
هذا كله أن أقول : إنها حقيقة غريبة تسيطر علي ، ولا يعني
إلا الاعتراف بها .

يحدري بي أن أقول هنا . إن البؤس قد تلاشى في علاقاتنا

الودية . فانا لا اذكر أية كلمة ، أو نقاش يدعي إلى هذا

التحول الغريب ، في وجهها وجسمها ، حتى لتصبح كالللهوان .

وتأكيداً لما أقول إنني أذكرها أثناء ساعات حبنا - وأحني

رأسي معترفاً بالحقيقة الواضحة - إنها كانت تعمل على إظهار

منتهى جمالها على أحسن ما يكون . حق ليصعب عليّ تصوير

تلك الجمال الخارق . إن عينيها النديتين الساحرتين ، كانتا

تفيضان بمظاهر الحب المعبر أكثر من الكلام . بيد أن فيها

كان يعلن من خلال شفيتها الرقيقتين الجميلتين عن لطف وذكاء

يندران عند غيرها . كما وأن وجهها كان يرحب بتحديقي به ،

وكانه مرآة غريبة يطوقها إطار من الشعر الجميل . كما يطوق

بالدر جيد الحسنة . إن جسدها كان يبدو بأروع أشكاله

ببراءته وضعفه دون قوة أو خجل فيه برزت المناقب

الحميدة والخلال الكريمة ، وإليه آلت أروع مظاهر البؤس

والنحول ، فانعكست عليها كل مزاياها ، وظهرت جليلة

واضحة ، إنها كالطبيعة ببراءتها لم تترك مكاناً للسرف فيها فبدت

على الطبيعة الأنهار والوديان والجبال والهضاب حتى برزت

بأكملها ، يجملها بشوائبها ، وكذا حال زوجتي .

البؤس والنحول من ناحية أخرى كانا يحدثان تبعاً لظروف

خاصة غير متوقعة ، وتحظى عندي أهمية بالغة في حياتها لذا

أقول عليكم بعضها .

لقد كانت زوجتي على إطلاع واسع بالروايات البوليسية .

ففي أثناء قراءتها عندما تصل الى العقدة تصاب بدهول وخوف
ينعكسان على وجهها وجوماً لن يختفي إلى أن تنتهي من قراءة
الفقرة التي أحدثت هذا الوجوم . أضف الى ذلك تعلقها
بالمغامرة . صدف أن كنت معها في (كامبيون - مونت -
كارلو - سان رومبو) فلم تتمالك إلا أن تجرب حظها ، وتدير
الدولاب فتقفز الكرة الصغيرة من رقم الى آخر ، إلى أن
تستقر في مكان ساقها الحظ اليه . وفي هذه الأثناء كان وجهها
يتلون من شكل الى آخر لشدة تعلقها وانسجامها مع المغامرة ،
أضف الى ذلك لو انها حاولت إدخال خيط في ثقب الابر
تراها تركز الى الارتباك . هذا هو مصيرها فلو صدف أن
شاهدت طفلاً صغيراً يركض على حافة نهر . أو عندما تسقط
على ظهرها نقطة من الماء البارد . ولا بد لي بعد هذا إلا أن
أذكر مفصلاً مناسبين اثنتين بدت بها هذا النحول والوجوم
الغريب ..

مللت السكون ، ورغبت في الحركة ، وما هي إلا لحظات
حتى كنت مع زوجتي في حديقة بيتنا الريفي ، وبينما أنا أجيل
الطرف ، من مكان لآخر فتقع عيني على نبتة كبيرة استطردت
في السماء بسرعة مذهلة لا علم لي بها من قبل . . . فعزمت على
إزالتها من الحديقة لكن لم يكن بالسهل إقتلاعها ، بسبب
الأعشاب الخضراء الندية السريعة الانزلاق ، وكان من الواضح
أيضاً أن لها جذوراً متينة متمركزة في الأرض ، وبينما أنا

أحاول اقتلاعها جاهداً ، تحول نظري إلى زوجتي ، فذهلت
لرأيت . . . أجل . . . إن وجهها وجسمها يتحولان تحولاً
سريعاً مفاجئاً ، فيقتضب الحاجبان ، ويصفر الوجه ، ويرتمش
جسمها بأكملها . . . ! في اللحظة التي كنت فيها أتعلق بالشجرة ،
بكل قوتي وثقلي ، فهوت عندئذ إلى الأرض ، بقوة وعنف
وألقت بي إلى الورا على صخرة صماء .

أما المناسبة الثانية فهي كما يلي : دعانا بعض أصدقاءنا ،
للعشاء في بيتنا في روما . وقبل لحظات من وصول المدعوين
لبست زوجتي ثياب السهرة . ودخلت المطبخ ، لترى ما إذا
كان أعد كل شيء حسب رغبتها . فتبعتها إلى المطبخ .
وفجأة وجدت الطباخ بحالة خوف وارتباك . يحتم فوق
(الكركند) إنه لمنظر رهيب إنه حيوان قوي جبار ،
مجهز مخالب ، وفجأة قطعت السكون حركة زوجتي فتقدمت
من (الكركند) وأمسكته من الخلف ووضعته في الماء الغالي .
وأرجح الاعتقاد ، أنه كان على زوجتي لكي لا تقوم بمثل هذا
العمل ، أن تكون بعيدة عن الموقد وعن مخلوق (الكركند)
إن هذه الحكمة من طرف زوجتي تشير إلى حركة وجهها
وجسمها الظاهرة للعيان .

إن تلك الظاهر قد ظهرت عليها آنفاً بحركة لا شعورية ،
إنعكست على أهدائها ووركها تحت ثوب السهرة الحريري
البراق .

يخيل إلي ، إن زوجتي تعرضت لمثل هذه الصدمات ،
مرات لا تحصى . وفي ظروف خاصة . وعلى أي حال ما زال
منالك حقائق ثابتة هي أن هذه الإنعكاسات كان يتلوها
سكون عميق . سكون يدل على الذهول والحيرة ولربما كانت
تخفي صرخة باطنية يتردد صداها في أعماقها دون أن تنفجر
لتحطم السكون . . .

وختاماً لقد تبين لي أن البؤس . والتغلب كانا يحدثان فجأة
ودون سابق إنذار ليحمر بسرعة البرق . لقد كانا كما لاحظت
عبارة عن خوف مرتبط بانفعالات جنسية . . .

لقد تحدثت طويلاً عن زوجتي ويبدو لي ان الوقت قد حان لأتحدث عن نفسي . اني طويل القامة ، نحيف الجسم ، ذو وجه مليء بالحיוية ، وتعلوه ملامح الرجولة لكن ربما أكون نحيفاً ويظهر الضعف على فمي وذقني . قد لا أملك نفسي في الظروف الدقيقة من التلفظ بكلام مسموم . لكن الحقيقة ان وجهي لا يدل على خلقي ، بالرغم من ظهور بعض التناقضات عليه . إنما الصفة الجديرة بالذكر والانتباه انني بحاجة الى عمق التفكير ، إن كل ما أشعر به أو أقوله يشير إلى نفسي .

ليس هناك ما أحتفظ به عند الحاجة الى التقهقر . انني بالواقع رجل يسير الى الأمام ولا يتطلع الى الوراء . ولا أشعر بحاجة الى حراسة مؤخرتي . وبعد أن تجلت أمامي هذه الامور أنصف بحق ذاتي حين أقول: أدير ظهري للبطولة وأنفعل لصفائر الامور . ان حماسي على أية حال شبيهة بحصان يقفز من فوق حاجز ويلقي بفارسه الى التراب على مسافة بعيدة . والذي أقصده بهذا القول هو أن حماسي تحتاج الى التوجيه الروحي والأخلاقي ، وإلى تحكيم العقل عند الانفعال . ليتحول

هذا الشعور إلى رغبة جامحة ، وإلى قوة منطقية . ويلزمني

www.library4arab.com/vb أن استبدل الأقوال بالأفعال .

إن قوة منطقي هي في الحديث العاطفي ، فأنا أرغب دوماً الوقوع بالحب . لذا أخدع نفسي بالتفكير بالحب ، وأجد أن كل ما عليّ هو التحدث عن الحب بشعور فياض ، رغم التحدث عنه ببساطة ، في هذه اللحظة تنهمر دموعي ، واستجمع كل عاطفة فياضة ، ورغم المظاهر العاطفية الخارجية أستجمع نفسي لأحتفظ ببعض المظاهر العاطفية المريرة ، وهذا نوع من اللباقة لكنه يجعلني مخادعاً ، يضع للواقع برقعاً من الزخارف ولكن سرعان ما تبده الحقيقة .

قبل تعرفي إلى (ليدا) كنت رجلاً معرفة يصلح لقيادة حياة هادئة . لكن كنت أضحي بمتعة هذه الحياة في سبيل التقصي عن المواضيع الأدبية الجميلة . وأعتقد أن مثل هذا العمل الذي قمت به بالنسبة للمجتمع كان يستحق الأكرام والتقدير ، ووصف بأنه كان عملاً أدبياً صادقاً على حد قول من عرفوني . ولا أذكر أنني قضيت لحظة لنفسي إلا في التنقيب عن المواضيع الأدبية . لقد كنت رجلاً معذباً فكأنني على موعد مع اليأس .

www.library4arab.com/vb هناك بين إنتاجات الكاتب (بو) ما يصور بوضوح ودقة حالتي العقلية في ذلك الوقت .

أجل . . إنها القصة التي أسرد بها مغامرة صياد السمك .

الذي انحرف بقاربه وسط دوامة في البحر . وهكذا يدور
بقاربه . حول المحيط . وفي كل جبانة من حوله بقايا سفن
تحطمت . وهي تنوي الهدف نفسه . لقد كان يعلم في أعماق
نفسه ، أنه كلما تقدم بقاربه ، يقترب لأسفل حيث ينظره
الموت .

وكان يعلم علم اليقين ، من أين أتت بقايا هذه السفن المحطمة .
وكيف تحولت إلى حطام . . ! لقد كانت حياتي أشبه بدوامة
أزلية جوفاء . يحيط بين كل ما أحب . هذه الحقائق التي
أحيا بها والتي أتخطم وإياها معاً في لحظة واحدة . لقد شعرت
بأنني كنت مدفوعاً إلى السير والتفكير بكل ما هو جميل
ووجد في العالم ولم أتوان لحظة واحدة عن التفكير بعمق الهوة
التي كانت تهدد كل من يرغب المغامرة بنهاية محتومة . ومرت
لحظات والدوامة تضيق وتضيق تستقيم وتهدأ . وتدفعني إلى
شاطئ السلامة من خلال الحياة اليومية . لكن لم تنقطع عني
التيارات العاطفية النفسية بل كانت تمر بسرعة وبعمق فكنت
معرضاً للفرق بالرغم من كل عزم ومعرفة . بيد أنني كنت
أتوق إلى التعب في أيام حياتي ، وهذه المتاعب كانت مستمرة
بالنسبة لي .

وأخلص إلى القول بكل صدق أنه لم يمر يوم واحد ما بين
العشرين والثلاثين من عمري لم أفكر بالانتحار . طبعاً لا أرغب
قتل نفسي - وإلا لكنت فعلت ما أردت - إنما تأملني الشديد

بالانتعار غير الشكل السائد لتأملي العقلي .

و كنت أفكر في ذاتي فإذا بي إنسان وضع نصب عينه

هدنين اثنين وعمل على تحقيقهما ومما [حي من امرأة والإبداع

الفني الأدبي] وما هذا التعليل إلا لإيقاح الفكرة وإبراز أهميتها .

ولا سيما أنني بلغت الخامسة والثلاثين من العمر ، بالنسبة

لأموري الحياتية . أما بالنسبة للحب فإنه لي - كما يبدو لغيري

من أبناء جنسي - من الحقوق على هذه الأرض . وبالنسبة

للعمل الفني الأدبي لقد كنت مقتنعاً بأنني منقاد نحوه بكل

جوارحي وحواسي وعقلي وفي كل الأوقات ولو كان ذلك على

حساب راحتي . .

وبالرغم من هذا كله لم أقرأ أكثر من صفحتين أو ثلاث من

أول الكتاب ولكن بالنسبة للنساء ، لم أكتف بهذا المقدار من

الشعور الذي لا يرض الطرفين وأعني [نفسي والحبيبة] ولكن

الذي أضناني هو مجهودي العاطفي وإنتاجي الأدبي أضف الى

هذا كله سهولتي بالإندفاع وبسرعة خارقة إلى المتعة . ولكن

سرعان ما يتلاشى هذا الإندفاع . فقبلة خاطفة من شفاء غاضبة ،

كانت توحني إلى " بالإنتاج الأدبي الهجين .

ولم أتوصل إلى ما أتوق إليه . ولربما التقيت مع امرأة على

صعيد حديث عاطفي ، ينتهي بإبعادها عني . وأعود لأكتب

فأعبت بالقشور والخرافات التي لا تستحق التفكير والإجهاد .

لكن لماذا أكتب هذا النوع الرخيص من الأدب ؟ أجل .. إنه

لأحياء جسدي .

إن قوة سري في بداية الأمر كانت ضعيفة . حق أنني كنت
أخدع نفسي وأخدع الآخرين . ولم يطل بي الزمن على هذه
الحالة . فإنتابني اليأس والبؤس . أريد أن أعترف بعد هذا
أنني لم أحب ولم أكتب بقدر ما أحببت أن أحب واكتب .

ففي بعض الأحيان كنت أجد امرأة على استعداد للإجتاع
معي دون أن تلجأ إلى المراوغة . فالهدف الواحد كان يقاومني
ويدعوني إلى الاستمرار إنما - على أية حال - بي شيء واحد
جميل . هو الضمير المعتدل . الذي يشدني إلى الطريق المستقيم .
ويمنعني عن القيام بأعمال سيئة . هكذا كنت أمزق الصفحات ،
ولحجة أخرى ، ينقطع وصلي بالسيدة . وبمثل هذه التجارب
الخائبة . أرى الشباب قد آل إلى الزوال ..

أسهبت في الحديث عن زوجتي ، وعن نفسي لذا بعد هذا ،
أشرح قصة تعرفي لإزوجتي وزواجي منها .
لا أذكر أين التقت عيناى بزوجتي . فلربما أكون قد
تعرفت عليها لأول مرة ، في غرفة استقبال رسمية . أو على
عين ماء عذبة .

وقد يكون بمكان آخر ، لا أجد حاجة إلى تحديده ، بوجه
الدقة . لقد تماثلت مع (ليدا) بالعمر . وكانت حياتها أقرب
ما تكون إلى حياتي فتبين لي أنني وجدت شريكة حياتي التي
أبحث عنها . وأعمل جامداً في سبيل الوصول إليها .
لقد كانت « ليدا » متزوجة من رجل لم تحبه مع أنها فتاة

صغيرة . وهذا الزواج كان ينتمي إلى (ميلان) وطنها الأم .
فاستمر هذا الزواج قرابة سنتين ثم فشل في سويسرا وانتهى
بالطلاق ومنذ ذلك الحين وزوجتي كانت تعيش لوحدها ولكن
الشيء الذي أريد أن أقوله هو أنني وجدت شريكة حياتي التي
طالما جهدت في البحث عنها .

لقد عثرت على ما أريد ، ها أنا أعرف [بليدا] كل ما
أتمناه . أجل .. إنها تصف لي تعبي في التفتيش عن الحبيب
الذي أغمره بعاطفتي سبب أدى إلى هذه المخاطر . أرغب فيه
وأخلص له شرط أن يقوم على العاطفة . التي تنبعث من أعماق
اعماق القلب . إنها ملكت قلبي بطهرها وعفافها . وفجأة
قررت بأنها يجب أن تكون زوجتي .

لا أعتقد أن «ليدا» ذكية للغاية إنما هي بذكاء متوسط .
ورغم ذلك لقد استطاعت أن تجمع بحديثها قدرتها وخبرتها
على القصص والتهمك وبذلك حققت السلطة القوية . وهذا ما
كان يبعث إلى نفسي الإرتباك عندما كنت أحاول إقناعها
بالزواج مني . أما الآن فأستطيع القول : أنها قررت الزواج
الذي كنت أباركه ، دون أن أجرؤ على إطلاعها عليه .
هكذا تمت خطوبتي منها .

ما زلنا في الأيام الأولى من الخطوبة . بيد أنني كنت أشعر
أنها طريفة وشاقة حيث كانت تدفع يدي بعيداً عنها . ثم لا
تلبث إلا قليلاً فتدفع قيدها إلي . إن هذا الأسئلام لو كان

امرأة اخرى لبدى لي إنه نوع من الطهارة الرخيصة . ولربما
يجلني حاقداً محترماً ، لكنها كانت على جانب من الإقناع
بزاياها الحسنة كالدلائل السابقة .

وبعد زواجي منها عرفت أن هذه السلطة الغامضة .
بقيت بكاملها ، حق أنها تمكنت بسبب نفوري العصبي . فلم
تتوان عن التلاعب بمشاعري فكانت تبرز بأبهى حللها إلى
جانب ذكائها الخارق الذي كان يبدو بمائلا لجمالها .

لم أكن متأكد من زواجها . ف مجرد كلمة أو إيماء يجعلني
أخشى أن أفقدها . ثانية ، وخاصة بعدما تحققت رغبتى .
ووجدت أنها تميل إليّ بشكل مرغوب بالنسبة لي . وتقودني
الأفكار بين خيبة أمل ، وفسحة من نور إلى أن تم زفافنا
وشعرت أن روابط الحب تقوى بيني وبينها . فكان لزاما عليّ
ان أعمل بكل مواهب الظاهرية والضمنية لكي لا يضمحل
هذا الحب فيما بيننا . ونقتدي إثر غيرنا ممن أحبوا قبلنا . دون
شجاعة ، أو فائدة بدافع الخوف أو عدم الاستقرار والتفكير .

كنت أشعر أن ما أقدم عليه ، هو عمل بسيط وسهل
للغاية . فقررت بالنهاية أن أطلب يدها . وأنا متأكد من أن
طلبي سينال الموافقة السريعة ... لكن خاب ظني ، وفقدت
أمل ، وما أنا ألاقي منها رفضاً قاطعاً . وكأني بافتراضي هذا
قد خرفت ، حدود السلوك السليم . وبهذا الرفض شعرت
أني توصلت إلى أعنف حد من اليأس .

تركتها مرتبكاً بعد أن فقدت كل أمل بالزواج منها . ولو
لم أكن جباناً في قضيتي لها . لأيقنت بالهلاك وشعرت بأن
الوقت قد حان لأقتل نفسي تخلصاً من أسى الحب ولوعة
الحرمان . هكذا ومن حبل الود بيننا ، وانقطعت عن زيارتها
لأيام قلائل ، ولزمت المنزل لمدة طويلة دون أن أتحرك إلى
الخارج ...

وفي هذه الأثناء انتهت عليّ الأشباح الوهمية ، فأوسعتني
ألماً وحرزناً . ويقطع تفكيري فجأة رنين الهاتف . فأستلمه
بسرعة ولشدة ما كان إعجابي عندما طرقت أذني صوت [ليدا]
تعاتبني ، بقولها : لماذا قطعت زيارتك عني ، فأعجبت أيما
إعجاب . وهرعت إلى غرفة النوم أفتح الصيوان لألبس ثيابي .
بسرعة تفوق سرعة النور . ومن ثم هرولت إليها على عجل
حتى أنني لفت انتباهي الناس على جانبي الطريق . وتمر دقائق
فأصل إليها ويبدأ السلام بالعناق . وتتحرك شفتاها بالترحاب
الحار . عندئذ قاطعتها عن الكلام معترضاً . ففكرت ملياً
وقالت : لك ما تريد فأنا أوافق على الزواج وبالفعل تم لنا
ذلك في أقل من اسبوعين .

لقد بدأنا حياة مليئة بالسعادة ولم أعهدما من قبل . لقد
أحببت (ليدا) باندفاع وعاطفة . حتى أن أفكاري كانت
توحسني إلى الخوف على فقدان هذا الحب المتبادل بيننا .
وبما أنني كنت اعلم أنها جاهلة ، أقترحت أن تخصص بعض

الوقت لدرس العلوم الادبية والفنية . محاولاً إقناعها بأنها
ستجد متعة في المعرفة وسأخاطب بثلاثها أنا خلال تعليمي لها .
لقد اكتشفت بها ما لم أكن أتوقعه من قبل ، أن قدرتها على
كسب العلم تفوق حدود الوصف .

وبموافقة متبادلة فيما بيننا رتبنا برنامجاً للدرس . وتعددت
لها بشرح الدرس وتوضيحه . وعملت على أفهامها كل ما أعرفه
وأحبه ولا أعلم لأي درجة ، وعلى أي كيفية أقدم إرشادي لها ،
حتى أنني كنت أستلهم العقل ولاداء الغرض الذي جهدت من
أجله .

وعلى أيه حالة ، يبدو لي أنني مازلت مقصراً في الوصول
إلى الواجب . لكنها بعد مضي عدة أيام أمالت عنقها بكبرياء
وهي تقول : إنني أحب هذه القطعة الموسيقية ... وهذه
المقطوعة الشعرية الجميلة ... إقرأ لي هذه القصيدة ثانية ...
دعنا نستمع إلى هذه الاسطوانة مرة أخرى . ولقد شعرت في
أعماقني أنني حققت ما أرغب فيه لها . وبالإضافة إلى ذلك كنت
أعلمها الإنجليزية لكي تشغل كل فراغنا . ولقد نجحت في إتقانها
بسرعة مذهلة لقوة ذاكرتها وميلها المتأصل إلى هذه اللغة .
ولا انكر أنني كنت أعلمها برغبة عظيمة للاستمتاع بعالم جمالها
ولطفها الذي غمرني به . أضف إلى ذلك إعجابي بعزيمتها
رحمها الاستطلاع والمعرفة .

ورغم أنها كانت هي الطالبة وأنا المعلم ، كان ينتابني خوف

الطالب وخجله حيث يتقدم ببطء ليمثل أمام معلمه . وحسي
أن أعلل هذا الخوف والخجل بأنه تابع لموضوع الدرس الذي
هو الحب . وفي كل يوم كان يبدو لي أنني أحقق أهدافاً أخرى
في هذا المضمار .

وبالرغم من كل هذا فإن الدعامة الأساسية لسعادتنا هي
حياة الحب . التي كانت بعيدة فيما مضى . وها نحن نتقاسمها
اليوم . ذكرت آنفاً جمالها كان يضل بعض الوجوم والتغلب
السريع . ورغم ذلك كله بقي هذا الحب موضع تقديري
وإعجابي . ونحن نحب بعضنا البعض .
أضف الى ذلك إن انفرادها بهذا الجمال أصبح الركنة
الأساسية التي يدور حولها تيار حياتي .

.. مراراً كان يبدو شكلها مسوداً منذراً بالفشل الذريع .
وحيناً آخر كان يبدو براقاً مغرباً يبعث الانشراح الى القلوب .
وكيف عندما أستلقي الى جانبها على السرير .. أتأمل جسمها
العاري فأطير لشدة جماله . أعجز عن وصفه . لذا تركت هذا
الوصف الى نبأه القاريء لعله يشعر به كشعوري أنا . ماذا
أقول في وصفها وهي مستلقية على ظهرها ورأسها يفرق في
الوسادة ..؟ وأنا أعبت بشعرها الجميل أبعثره وأعيد ترتيبه .
عبثاً أن أفهم هذا الشعور الغامض الذي يهب لشعرها هذا
المنظر الخلاب ..! انصبا به وجماله أم أن هناك سراً دفيناً لا
أقدر على اكتشافه ؟ وغالباً ما كنت أحرق بعينها الزرقاوين

متسائلا عن سر جمالها وعذوبتها. والتعبير الهائل بعد تقبيلها .
وما زلت أطيل النظر لأراقب بعنف . فأشعر وكأن شفتي ما
زالتا تلتصقان بشفتيها . فأقارن بين شفتي وشفتيها ، أملا في

إدراك معنى الحب الغامض .

الابتسامة الهادئة بعد كل قبلة على فمها الجذاب . ان
ابتسامتها الأشبه ما تكون الى الابتسامة التي تظهر في وجه
تماثيل آلهة اليونان القديمة ..

لقد وجدت سرا فيها .. سر يركن في قلبي وعيني وعقلي
المتفحصين للجمال . فأطير بحلمي لأصل في النهاية الى الوقوف
على معالم جمالها .

لقد بدت أنها تدرك كل أهمية للترين لأجلي تعمل بكل
دقة ومهارة وبكل تصبر للعلم .

ربما كان علي أن أكون حذراً وسط السرور التام خاصة
بالنسبة لوضع جمال زوجتي الذي ذكرته سابقاً وقوة عزيمتها
بالنسبة لي . لم يكن الحب عارماً عندها كما هو عندي . وكل
ما كان يميز تصرفاتها أنها كانت تعمل على إرضائي ومسررتي ،
حتى غالباً ما كانت تتملقني . هذا هو الواقع لكن قد لا أقع
في نفسي على معالم استهانة ، تدعوها للظهور بالعزيمة ، إنه لمن
الصعب لصاحب الارادة ، أن يعترف بالحقيقة دون أن يخفي
شيئاً ، ولو كان قد بان بشكل جلي . عمل على معاكته
وتتعب لنتائجه . شيء قد يحدث من مجرد العودة للأعمال

السابقة ، فيتحول إلى مجرد مراوغة وخيانة ، إنما كنت أقبّل
هذه العزيمة كرهان خبيث إياي ولم أظهر أي قذوم ، أو حب
للتعري عما تخفيه . أو ما معنى هذا التقلب ، لقد كنت
سعيداً بأن أكون أناًياً وعلمت أن هذه هي المرة الأولى التي
أواجهها الحب بكل اندفاع. لذا فقد كرس لها كل الاحساس
الذي يملأ مشاعري .

لم أتحدث إلى زوجتي ، عن طموحي الأدبي لأنني كنت
أشعر أنها قد لا تفهم ما أقول بالإضافة إلى أنني كنت خجلاً ،
لأنني كنت أشعر في أعماق نفسي بأن هذا لم يكن مجرد
طموحاً أو مجرد محاولات لم تكمل بالنجاح .

في تلك السنة قضينا فصل الصيف على شاطئ البحر وفي
منتصف شهر أيلول بدأنا نفكر بترتيبات تتلاءم مع الخريف
والشتاء . وصدق أنني كنت أتحدث إلى زوجتي ، فزلّ بي
لساني وصدرت مني كلمات تخبرها بيهودي الفاشلة. وربما أشرت
إلى الفترة الطويلة ، التي قضيتها عاطلاً عن العمل ، إثر زواجنا
لكنها صرخت يا [سلفيو] لماذا لم تخبرني بهذا أبداً ؟ فأجبتها
إنني أخفي عليك هذا السر لأنني حق الآن لم أوفق إلى
موضوع أرى من المستحسن أن أتحدث عنه . ولكنها بلطفها
استطاعت التلاعب بمشاعري وقالت بأنها ترغب شيئاً مما
كتبت . هذه الدعوة جعلتني أتحقق بالحال أن حسرتها جعلتها
تتلفني بشكل هائل . وعلى المدى الطويل . مع أن رأيها

بالنسبة لي أصبح مهما لرأي أي كاتب احترف الكتابة . إن

www.library4arab.com/vb

لم يكن أكثر . كنت أعلم تماما أنها كانت جاهلة . لذلك كان ذوقها لا يعوّل عليه لدرجة أن مباركتها أو لعنها ليسا بذوي أهمية بالغة . وشعرت أن الأمر الآن يعتمد علي فيما إذا كنت أصم الاستمرار بالكتابة أم لا . وعندما جذبت طلبها هذا . تصنعت الاعتراض لوقت قصير . وبعد ثذ كررت على مسمعا بأن ما كتبت لم يكن ذا أهمية بالغة . حتى أنني أهملت ما كتبت . ثم وافقت على أن أقرأ لها قصة قصيرة كتبتها منذ سنتين خلنا .

وعندما قرأت بدا لي أن القصة لم تكن سخيفة ولا رديئة كما اعتقدت سابقاً . وهكذا استمررت بالقراءة بصوت أكثر تعبيراً وأجمل إيقاعاً . ناظراً إليها بين الحين والآخر ، بطرف عيني حيث كانت تجلس صاغية دون أن يبدو تأثير القصة عليها . وعندما انتهيت من القراءة ألقيت الأوراق جانبا ثم « أردفت » كما تزين تأكدت بأنني على حق . فإني أثق أن هذه القصة لا تستحق إطالة الحديث حولها . . . وانتظرت بكل شغف لأسمع رأيها . ولكنها وقفت صامتا لفترة طويلة ، وكأنها تستجمع آراءها . بعدئذ صرخت برصانة وثبات بأنني كنت على جانب من الخطأ ، لأنني لم أعط أهمية لأرائي . ثم أضافت تقول إنها تحب القصة . رغم أنها لا تخلو من الأخطاء .

www.library4arab.com/vb

ثم أشارت إلى دواعي سرورها . ومع أن نقدها لم يكن كنقد الناقد الكبير ، شعرت بحماس وتشجيع عظيمين . وفجأة تبين لي أن أقوالها التي هي أقوال إنسانة عادية بذوق عادي ، جديرة بالاحترام ، كأقوال الأدباء اللامعين . لدرجة أنه أصبح عندي ميل لنقد نفسي مركز على نقاط الضعف أكثر من غيرها . وشعرت بأن ما أفقد إليه ، لم يكن الفكر وإنما العاطفة . حيث كانت في هذه اللحظة تقف فوق رأسي ..

النجاح هو شيء بسيط . لن يكفي أن يكون بين أفراد عائلة الكاتب أو بين البشر الذي تشدهم إليه روابط القرابة والصلة إلى الثناء عليه .

فالأم والأب والأخت هم دائماً على استعداد للاعتراف بعقريتنا . التي ينكرها بكل عناد الآخرين . ولكن على كل حال فإن مديحهم لا يرضينا وغالباً ما يسبب لنا المرارة . ولا تعتبره حكماً صريحاً . لأن هذا الحلم - وبدون أي شك - قد ينحرف وراء العاطفة . انني لم أشعر بشيء من هذا القبيل عند زوجتي ولكن بدا لي أنها بالفعل أحببت القصة دون أي اندفاع عاطفي . ومن ناحية أخرى إن إطراءها كان أقرب إلى الرصانة والمنطق . وليس من باب الشفقة .

وسألتها في منتهى البساطة . أترغبين في الاستمرار بثبات ؟ . فكري بالجواب بعض .. سبق أن كتبت لفترة عشر سنوات خلت دون نتيجة .. فإذا كنت تصرين على

الاستمرار سأفعل ذلك وإن كنت تبغين التوقف ، سأعاهدك
بأنني لن أمس القلم ثانية . نسحكت وهي تقول انك تضع
مسؤولية كبيرة على عاتقي . فعزمت بالأمر ثانية : تجنبي في
إجابتك كل صلة تربطك بي .. اعلمي رأيك بصراحة ...

فأردفت : سبق وقلت لك أن عليك الاستمرار .. أحقاً؟
نعم وبكل تأكيد . وبعد لحظة من التوقف أضافت : أنظر ..
دعنا نفعل هذا . بدلاً من أن نعود إلى « روما » علينا أن
نذهب إلى « تسكاني » لقضاء شهر أو اثنين فلربما نجد المناخ
الملائم للكتابة هناك وأنا متأكدة من ذلك .. أما أنتِ
فستشعرين بالملل .. لماذا ..؟ أنت ستكون هناك .. أضف
إلى ذلك رغبتني في تغيير مكان إقامتي من مكان لآخر .. مضت
عليّ عدة سنوات وأنا أسير بحياة هادئة .

إنني أعرف بأن تشجيعها وقوة حجتها المقنعين لي . بل
شعرت بأن هناك هدفاً يدفعني . ففكرت في نفسي بأنني يجب
أن أسمى جاهداً لتحقيق رغبتني التي هي من صالحني بالنسبة
لزوجتي .. فمن الانصاف بعد هذا أن أعترف بالحقيقة الظاهرة
وهي أن زوجتي غمرتني بحبها لعدة سنوات . ولا غرابة إذا
قلت : ان هذا الحب كان سبباً في ازدياد نتاجي الأدبي . لقد
شعرت بأنني أسير على الطريق بأمان علماً بأن فوائد اجتماعتنا
لم تؤثر إلى المدى المرغوب . ثم عانت زوجتي مديعاً إياها ..
إنها من الآن فصاعداً إلهة موضوعيتي ومصدر إلهامي . وقد

بدا عليها أنها لا تفهم التصميم .. لذا سألتني ما هو تصميمي ؟
أجبت : بناء على التراحم ستذهبين الى البيت الريفي ، بعد
فترة قصيرة لا تتجاوز أسبوعاً . وبالفعل تركنا (الريفييرا)
الى (تسكاني) .

www.library4arab.com/vb

ها نحن نطل على (تسكاني) ، ولم يبق إلا قليلا من الوقت لنصل إلى البيت . وها هي العربية تسير على مهل إلى أن انتهى بنا المطاف إلى البيت . انه يقع وسط مكان فسيح على سفح جبل متوسط العلو . ويشرف على سهل واسع ومزروع . لقد كان يحاط بحديقة صغيرة مزروعة بأشجار كثيفة ، تمنع النظر من العبور إلى الخارج ، ولو من الطابق العلوي ، حتى ليصعب على الناظر أن يرى هذا السهل الواسع الجميل بمزروعاته وأشجاره وأزهاره ونباتيه . لذا لا يستطيع الانسان أن يتصور أنه في قلب هذا السهل . وإنما عزلته الأشجار عزلة النساك .

وتقع على مقربة من البيت عدة قرى كبيرة تنبسط على التلال الممتدة على جوانب السهل . مع أن أقربها يحتاج للسير بعربة طيلة ساعة ليصل إلى قمة إحدى الهضاب التي تقع خلف البيت . ومن أكبر هذه القرى بلدة كبيرة محاطة بأسوار منيعة . وهي مليئة بالقصور والكنائس والأديرة والمتاحف . ومع هذا كانت تعاني من مرارة الفقر والحرمان مما يجعلها من أفقر القرى ، أجل إنها « تسكاني »

وأما بالنسبة للبيت فيرجع تاريخه إلى قرن على الأقل ،
ودليلنا إلى ذلك هو ضخامة الأشجار وعارها وهو يتألف
من طوابق ثلاثة ، ولكل طابق ثلاثة شبابيك ، وهذا النموذج
من البناء يدل على بساطة وقدم . وأمام البيت كان يوجد
فسحة صخرية واسعة تظلها شجرة كستناء . وينطلق من هذه
الفسحة ، طريق يقود إلى باب الحديقة . وخلفها السور القديم
فالطريق العامة .

لقد أشرت إلى أن الحديقة صغيرة المساحة لكنها كثيفة
الأشجار ، ومليئة بالفجوات المظلمة . حدودها لم تكن ظاهرة
إلا من ناحية واحدة . أما الأطراف فلم يكن فيها فجوات
لتعبر النور وتظهر النهاية . ظلال الأشجار كانت تحجب الحقول
المزروعة . ولم يبد منها إلا النزر اليسير .

وفي الجانب القريب كان يوجد مزرعتان مرتببتان بالسهل
وتقعان على أحد أطراف الحديقة ، حيث يوجد قلة يمكن من
أعلاها ، التمتع بمناظر السهل الفسيح بشكل كامل . بالإضافة
إلى ذلك يمكن لأي إنسان يقف في أعلى البناء أن يسمع أصوات
الفلاحين ، وهم يحثون ثيرانهم على الاسراع ، بينما يقصدون
العمل في الحقل . وغالباً ما كنت أشاهد دجاج المزرعتين على
باب الحديقة الخارجي . يفتش عن شيء يفتات به .

أما بالنسبة لداخل البيت فقد حوى نماذج من الآثار
القديم ترجع إلى العصر السابق . ومن بينها كرسي الامبراطورية ،

أضف إلى هذا أثاث الأثرياء . إن آخر من سكن البيت
جدتي أم والذي التي عاشت قرابة قرن ثم انتقلت إلى رحمتها
تعالى . بعد أن جمعت يحشمها وصبرها - الذي يشبه صبر
النملة - نقوداً تكفي لتشييد بناء بنفس الحجم .

فلقد اكتظت بجرارات وخزائن مليئة بأغراض متناقضة .
من بينها (الأوعية - الشرشف - بنادق - خرق - أوراق
قديمة - أدوات للطبخ - المصابيح - حافظ صوت بالإضافة
إلى أشياء أخرى لا نهاية لها . غرف النوم كانت مظلمة ومجهزة
بأربعة أسرة ، وخزائن ، وصور عائلية بالية . بالإضافة إلى
عدد لا يحصى من غرف الاستقبال . وخصصت غرفة كمكتبة
مليئة بالرفوف التي اكتظت بالكتب معظمها يبحث في تاريخ
الأجداد . ناهيك عن كثرة التقاويم والبحوث العلمية حتى أن
المكتبة خلت إلا من طاولة (بليارد) عليها شرشف ممزق .
ولم يكن هناك كرات البتة . وكان من الصعوبة بمكان أن
يستطيع الانسان التجول في داخلها من مكان إلى آخر .

فقد بدا لي أن السكان الأصليين للبيت هم قطع لأثاث .
ونحن دخلاء عليهم . على كل حال فقد نجحت في تفرغ
صالون الطابق الأول . وأعدت إليه رونقه وجعلت منه
غرفة لدرسي . وكل منا اختار غرفة لنومه . وقد اختارت
زوجتي غرفة الجلوس اليومي (كيهو) لها حيث كان على
أرضها كنبتان . لقد بدأنا حياة مرتبة منذ أول يوم ، وكأننا

في صومعة أنيقة. ففي كل صباح كان الخادم المسن يحمل الفطور على صينية وينقله إلى غرفة زوجتي ، فنتناوله سوية بينما هي في سريرها وأنا أجلس إلى جانبها . وعند نهاية الفطور أتركها إلى غرفة المطالعة ، حيث أجلس على المقعد وأبدأ محاولة للكتابة إلى أن ينتصف النهار ، فهو الوقت المناسب لزوجتي لتبرز نفسها ، بكل دقة وترتيب . وبينما هي تخلع ثياب النوم لترتدي ثياباً أخرى . تأمر الطباخ فيما يفعل خلال النهار ، عندئذ أترك عملي وأهبط إلى الطابق السفلي حيث تنتظرنني فنتناول طعام الغذاء . على مائدة صغيرة أمام نافذة صغيرة تطل على منتره جميل . وبعد الغذاء نحتسي القهوة تحت ظلال شجرة الكستناء ثم نفرق لنام بعض الوقت . ولم يطل هذا اللقاء إلى أن نلتقي ثانية - بعد الظهر فور نهوضنا من النوم - في الطابق الارضي .

لم يسمح لنا المجال بالنزهات في بلدة (تسكاني) إلا نادراً فهي شبيهة بحديقة دون مقاعد وممرات رغم أنها مزروعة ، فعندما كنا نخرج للتنزه كنا نسير متبعين آثار أقدام المارة من مزرعة لأخرى ، أو نسير على محاذاة قناة ماء مليئة بالاعشاب تخترق السهل على طوله ، أو نسير على الطريق العامة ولكن دون أن نبتعد .

عند العودة من نزهتنا التي لا تستغرق أكثر من ساعة ، أعطي زوجتي درسها الانجليزي وإذا ما كان هناك وقت أقرأ

عليها بصوت عال ، أو أذعها تقرأ الدرس لي ثم نتناول طعام
العشاء ، وقد اعتدنا بعده أن نقرأ أو نتحدث . وبالنهاية
يذهب كل إلى غرفته . ثم أتبع زوجتي إلى غرفتها . وقد
حان الوقت لإظهار حبنا .

اللحظة التي ننتظرها كل النهار !.. كنت أجد زوجتي
مرتبة دوماً وعلى استعداد وكأنها كانت تهيء مكافأة لنفسها ،
لهوايتي بعد العناء الطويل . في هذه الليلة الجميلة بينما كان الناس
يسكنون إلى منازلهم ، وركنت الطبيعة إلى السكون .
فانعكست أشعة القمر على الأرض . فسلك من إحدى نوافذ
الغرفة شعاع نحيف ، إلى داخلها . فأضاء علينا حيث يتحول
حبنا إلى لهيب يتأجج بسكون كلهيب المصابيح الزيتية التي
كانت تضيء الشقة المظلمة . فأشعر أن حيي لزوجتي يزداد كلما
مر يوم جديد ، فشعور كل مساء يبرز نفسه ليزداد قوة بشعور
الليلة الأسبق كما هي نفسها لم تستنفذ كنز صبرها الطويل خلال
هذه الليالي . ولأول مرة شعرت بازدياد العاطفة الروحية التي
هي مزيج من التضحية القوية والإحساس البناء . والتي لا حد
لوجودها حيث تبعث على سعادة صادقة حيث وجدت .

لقد أدركت لأول مرة ، الإحساس الفاشل في الزواج
حيث أن بعض الرجال يرفقون برابطة الزواج أقوالهم : زوجتي
وبنفس الطريقة التي بها يتحدثون عن البيت - الكلب -
السيارة - .. ورغم الظروف الجميلة لم يسر عملي سيراً حسناً .

كان هدفي أن أكتب رواية أو قصة حول موضوع زواجنا،
الذي أبهجني بشكل عظيم - قصتنا - قصتي وقصة زوجتي .
وقد شرت أنها لا تخرج من خيالي . وكنت أوعب أن تكون
مجزأة إلى أدوار ظاهرة لكي يكون من السهولة جمعها . ولكنني
أجلس أمام مكثي محاولاً الكتابة فتتبدد كل الآراء من
خيالي . فأهوى بكتابة ورقة أو اثنين ، كتابة سخيفة غامضة
تتخللها جمل لا تتناسق مع معناها وبهذا أكون قد كتبت
مجموعة أسطر قليلة . أو أجلس ساكناً أمام ورقة بيضاء .
وأسرح بتفكير عميق ولكن الحقيقة كنت بعقل فارغ توقف
عن التفكير . بيد أنه كان عندي تفكير . فقد قضيت بعض
السنوات أكتب نقداً للجرائد وعلمت أن عملي لم ينجح . إنما
كان يسير من سيء إلى أسوأ لقد كنت فيما مضى قادراً على
إثبات رأيي على موضوع أوسع أوسع . وهكذا أيمكن القول :
رغم أن عقلي كان مرتبطاً بالعقائد كان بنفس الوقت على
جانب من الجلاء والزهو للكتابة . لم تكن المواضيع التي أبحثها
سخيفة لكن السخافة . الضعف كل الضعف كان في الأسلوب .
بالرغم من وجود قوة شيطانية كانت تملأ صفحاتي بالجميل المتكررة
بالأمثال ، وبالجميل الغامضة . أضف إلى ذلك حكماً شق في
وصف الأماكن العامة . وكنت على معرفة . بأنني بحاجة إلى
اتباع الوزن - أقصد الطريقة المحببة التي يمكن ان تتصف بها
الموسوعة النارية كما هو الحال في الثقافة الشعرية . ومن المستحب
إليّ ان أذكر يوماً كان عندي الوزن فيه صحيحاً ، إلى درجة

معقولة ، وكافياً . ولكن سرعان ما تغير من حسن الى رديء
نتيجة الاضطرابات والضجيج . وربما كان بإمكانني إهمال عملي
بكامله ما دمت قد شعرت بحب عارم لزوجي . الحب الكافي
لسعادتي لو لم تكن هي نفسها التي تحثني على الاستمرار في
الكتابة ولم يمر وقت إلا وتسألني بكل عاطفة ودقة وحرص
كيف تسير كتابتي . ومع أن فشلي كان ظاهراً ، كثيراً ما
كنت أجيئها بالغموض ولربما أضيف إلى ذلك بقولي : ان عملي
يسير بتقدم وثبات .

وعلى ما يبدو لي انها كانت تدرك أهمية العمل . كأنه
عملها الخاص المسؤولة عنه . فكان هذا يزيد من إقدامي الى
العمل . ويدفعني الى التصبر ولو من أجلها ، فاستلهم أفكارني
محاولاً أن أنهي قصتي . وكثيراً ما كنت أوضح لها التحول
العظيم الذي أوجده وجودها في حياتي وهذا ما قلته لها عندما
عانقتها وهمست بأذنها قائلاً : من الآن فصاعداً ستكونين
معبودتي .. أجل ، باستفسارها هذا عن أشغالي اليومية وكأنها
تبعثني الى الإقدام . مثلها في ذلك كمثل سيدات الأساطير
الغابرة اللواتي يطلبن من فرسانهن قتل الأشباح الوهمية وإعادة
الاستقرار الذهني . ولن تعرف الأسطورة التي بها الفارس
المتشائم الكئيب ، يعود من مطاردة الطريفة صفر اليدين ،
معتزفاً بأنه لم يجرؤ على مجابهة التنين . إن إصرار زوجي هذا
دفعني الى الإقدام على العمل مع انها كانت جاهلة . وكل ما
تعرف ان الارادة تبعث على الايجاء الشعري وتخلق القصائد

الجميلة . في أحد الأيام كنا نسير متنزهين حاولت أن ألفت
نظرها الى الصعوبات الجمة التي تعترضني في الإنتاج الادبي لكنها
قاطعتني بهولها : أنا لست بكاتبة ولا أملك طموح الأدبية .
فلو فرض عليّ لكان عندي الكثير الكثير ومما أقوله بالنسبة
لعملك فأنا متأكدة من أنه يمكن أن أحدد رأيي على وجه
الدقة . ولقد نظرت إليّ نظرة ازدراء ، وأضافت بطريقة
مستحبة : ألم تذكر أنك وعدتني أن تكتب قصة عن حبنا ،
فعليك الوفاء بوعدك !.. أما أنا فسكت ولم أتلفظ بكلمة ،
إنما لم أستطع أن أمنع تفكيري الوثاب من الوقوف دونما ذكر
الصفحات المكتوبة المكدسة على مقعدي .

لقد لاحظت أنني بعد كل استراحة مع زوجي أجلس
للكتابة برغبة جامحة . وأسهب في الكتابة . ولكن لم يمض
إلا قصير وقت حتى شعرت بدوار في رأسي وشعرت بحاجة
إلى الاتزان والتحكم بأعضائي . ولكن الضعف سيطر علينا ،
وتعمدت العلاقات فيما بيننا حدما الطبيعي . وهذا ما كنت
اشعر به عندما أركن إلى الراحة . الغريب العجيب ... ومع
أن إرادتي عظيمة . أستقر بضعفها أمام جمال زوجي ولا
أفتق إلا مختمراً من نشوة الحب . فينتابني الكسل أثناء عملي
وأعلم علم اليقين أن هذا نتيجة ماقمنا من غرام في الليلة السابقة .
وكثيراً ما كنت أنهض من سريري فيلفت انتباهي شبح غريب
في المرأة . بنت أعصاب وجهه وازدادت حولته فأقدم بارتباك

وحيرة لأتأكد منه ولا ألبث إلا قليلاً لأعرف أن هذا الشبح
ما هو إلا أنا . وتأكدت أن ما أقدمه لزوجتي كنت استبدله
بما استوحيه منها على قدم المساواة .

إن هذا لم يكن بالفكر الدقيق ، كما أعبّر عنه هنا بل هو
العكس ، إحساس جامع وذهول مستمر ، بل بداية تشتت .
إن قوتي الخلاقة كادت تنضب من جسدي . وفي اليوم التالي
حاولت أن أنهض فاستغربت الأمر ، ها أنا أعاني صعوبة
بالغة في النهوض ، علاوة على تشتتي العقلي الذي بدأ كأشكال
خيالية . والآن شعرت بمسؤوليتي أمام نفسي .

التشتت إما أن ينتهي كالخراج دون منفذ حق الانفجار
المفزع وإن أصاب أناساً أصحاء ، يحدون وسائل كافية
للانعتاق من العناء .

وثابت على غرامي مع زوجتي طيلة الليل ، وأطراف النهار
مفكراً بأني على حق وتأكدت أنه ليس بإمكانني العمل
بسبب تعلقي به . ومن الانصاف أن أقول : أن هذا التشتت
لن يحدث أي تغيير في مجرى حياتي الزوجية أو علاقتي
الجسدية فكننت إذا ما لجأت إلى التفكير انتابتنى الانفعالات
العاطفية .

كنت أنسى الحقيقة الواضحة وأخدع نفسي بالرغبة الجامحة
الوقتية ، فيسيطر علي تفكيري بنسبي وخصمي ، ويجعلني أفكر
بأنني أستطيع أن أجمع بين غرامي وعملي . وبينما أنا أعمل في

اليوم الثاني كان يعاودني التفكير ، وما أن يحل المساء حتى
أبحث عن الغرام ثانية . وأعزي هذا التفكير ، الى الفشل
بعملي لأجد مجالاً للشغل الذي لم أستفد بعد .

وبينا أستلقي على السرير الى جانب زوجتي ، تتجاذب
أطراف الحديث شجعتني في إحدى الليالي ودعتني الى الاعتراف
بالحقيقة ، وإن كانت هذه الحقيقة تجر أهمية عندها . لذا
عليها أن تدرك مضمونها . وتأكد رفضها بأعذارى وبينما نحن
بالسرير الى جانب بعضنا البعض بدأت قائلاً : استمعي إلي .
سأخبرك شيئاً لم أخبرك إياه من قبل .

كان الطقس حاراً وكنا كلانا مستلقين عارئين فوق شراشف
السرير حيث استلقت زوجتي على ظهرها ، ويداهامتشابكتان
وراء عنقها . على الوسادة بيننا أنا بجانبها . وقلما تحرك شفيتها
بيد أنها نظرت إلي بطريقتها المألوفة لتقول: أخبرني ما تريد ..
فأردفت قائلاً : إنك تريدين أن اكتب هذه القصة ... نعم
أريد هذه القصة التي تخبر عني وعنك ... ولكن ... إذا استمر
الحال على ما هو عليه الآن سوف لا أنجح بكتابتها ... ماذا
تعني ... (والحال على ما هو عليه الآن) ؟ ترددت قليلاً ثم
قلت : نحن نقوم بالغرام كل مساء أليس كذلك ؟ حسناً ...
انني اشعر أن القوة التي أحياها لكتابة هذه القصة أستنفدت
مني وأنا معك . فإن استمررتا على هذا المنوال فمن الصعب علي
كتابتها . عندئذ نظرت إلي بعينها الواسعتين الزرقاوين . وقد

غمرها الحزن ولكن كيف يتدبر الكتاب الآخرون أمرهم ؟
لا أعرف كيف لكنني أتصور أنهم يقودون حياة عفة على
الأقل في أوقات عملهم . أجل ... لكن (أزيينو) كان لديه
عدة زوجات . فكيف كان يدير أمرهم ؟ لا أدري إن كان لديه
مثل هذا العدد من الزوجات بل إنما كان لديه بعض الزوجات
المختارات حيث تحدث عنهم الكثيرون ولكن برأيي كان يرتب
أمره جيداً ... إن عفة (بودلبر) معروفة لدى الجميع .

لم تقل كلمة واحدة . لقد شعرت أن منطقي بدا مسخراً ،
ولكن بدأت فكان عليّ الاستمرار . تابعت قولي بإيقاع
عاطفي . انظري .. اني لأستطيع كتابة القصة . حق أنني
بوجه الإجمال أجد صعوبة في الكتابة . سأتركها ليسمح لي
الوقت بكتابتها .. أرى أن الأم هو حيننا . لكنها أجابت
على الفور وهي مقطبة الجبين : إنما أريدك أن تكتبها .. أريدك
كاتباً .. لماذا ؟ أشعر بأنك تريد أن تقول الكثير .. ثم
تابعت : بالإضافة الى ذلك عليك أن تشتغل كأني إنسان آخر .
أهل ترضى السير بحياة فارغة ؟ وترضى أن تحصر طموحك
بجذبك لي . عليك أن تفكر إلى أبعد من هذا التفكير ، وأمل
أن تكون رجلاً عظيماً . لكنها كانت تتحدث بان دفاع . فبدأ
ذلك جلياً نتيجة تلعمشها بالحديث . وكانت لا تعرف كيف
تعبّر عن رغبتها . ولكن كل أهدافها تتمخض في أن تراني كما
تريد .

فأجبتها : لا حاجة لي بأن أصبح كاتباً . ولكنني شعرت
أني كنت أهدع نفسي بهذا القول ، ثم قلت : يمكنني بكل
تأكيد أن لا أفعل شيئاً ، لكن سأستمر بالعمل الذي مارسته
منذ زمن بعيد - أقرأ - وأقدر وأفهم - وأعجب بأعمال
الآخرين ، بالإضافة الى حبك ، أو على الأقل لكي لا أكون
كسولاً .. عليّ أن أبدأ بمهمة أخرى أو عمل آخر .

لا - لا - لا .. قالت بسرعة وهي ترتعش كما ترتعش نبتة
وقعت في وعاء من الماء . وكانت تصر على الرفض بكل
عزيمتها : عليك أن تكتب . و عليك أن تصبح كاتباً .. وبعد
هذه الكلمات وقفنا لفترة صامتين .. بعد ذلك قالت : إن كل
ما نقوله صحيح .. علينا أن نغير كل شيء .. ماذا تقصدين ؟
علينا أن ندع الغرام .. حتى تكون قد أنهيت القصة . وعندما
تنتهي نبدأ من جديد . وأعترف أنني وافقت سريعاً على هذا
الاقتراح المخزي الغريب . كان عنادي قوياً ، فدعاني الى أن
أنسى الأثانية ، والمراوغة المتأصلة في نفسي منذ البداية . ولكن
كبت هذا الحماس وعانقتها قائلاً : إنك تحبينني وأرى اقتراحك
هذا دليلاً عظيماً على حبك إياي . ولكن الحقيقة انك علمت أن
هذا الاقتراح هو كاف لي وعلينا أن نستمر في حبنا لبعضنا
البعض دون أن نفكر بأي شيء آخر .. لا .. لا .. لقد
قالت بدكتاتورية ودفعتني جاناً : إن هذا ما يجب أن تفعل .
هل أنت غاضبة ؟ بالحقيقة يا « سلفيو » لماذا يجب أن أغضب
انني بكل صدق أريدك أن تكتب تلك القصة ، وهذا كل

شيء .. لا تكن غيباً .. وعندما قالت هذا مشيرة الى اصرارها

الغيب ، وضعت ذراعها حولي .

استمررتنا على هذا الحال فترة قصيرة كنت أدافع بها عن نفسي ، وهي تصر بدكتاتورية ودون هوادة ، فقلت بالنهاية :
حسناً سأحاول .. قد يكون كل هذا غير صحيح وقد أكون إنساناً دون ذوق ادبي .. إن هذا ليس صحيحاً يا (سلفيو) وأنت تعلم ذلك .. جميل إذاً .. أنهيت قولي بكل جهد ، كما تريدن .. إنما تذكري إنك أنت التي ترغبين ذلك طبعاً ...
سيطر علينا السكون لوقت قصير ، ثم أشرت اليها لاحتضانها بين ذراعي ، لكن بالحال دفعتني جانباً . لا .. قالت : منذ هذا المساء وصاعداً علينا أن نكف عن الغرام . لقد ضحكت . كأنها تخفف مرارة رفضها وغمرت وجهي بيديها النحيفتين - وبرقة كمن يرفع إناءً ثميناً - وقالت : سترى الآن بأنك ستكتب كل أنواع الكتابة الجميلة . انني متأكدة من هذا . نظرت إليّ بامعان ثم أضافت قائلة : بطريقة غريبة : هل تحبني ؟ .. لا حاجة بك لسؤال كهذا . ثم أضافت : حسناً سأكون لك عندما تقرأ لي القصة ، تذكر ذلك .. لنفرض انني غير قادر على كتابتها ؟ ! عليك أن تتمكن من ذلك .. لقد كانت دكتاتورية ودكتاتوريتها عن جهل ، ودون خبرة . ولكنها بالوقت نفسه لا تلبس . ومع ذلك فقد كانت حبيبة عهدي . فكرت ثانية بفارس الأسطورة الذي طلبت منه زوجته قبل

أن تتبادل معه الغرام ، أن يقتل التنين . ولكن هذه المرة
فتز غنبي بل فكرت بكل إعجاب
انها لم تعرف شيئاً عن الشعر . كما هي الحال بمعرفتها عن
التنين . إنما بسبب إعجابي بطلبها .

كانت وكأنها بمثابة تأكيد لعمل سماوي من الأعمال الخالدة .
بالحال أصابني ذهول ممزوج بالثقة والأمل والشكر . ثم وضعت
وجهي على مقربة من وجهها . ثم قبلتها بحنان وهمست : في
سبيل حبك سأصبح كاتباً... ليس يجدارتي وإنما بسبب حبك .
لم تقل أية كلمة . عند ما نزلت من السرير وخرجت من الغرفة
بعد ذلك بدأت عملي ثانية ، بحراة جديدة . وعرفت أن
حساباتي لم تكن خاطئة . وإنه على أي حال . وحق لو لم
يكن هناك إرتباط بين الحب والعمل . والذي تأكدت منه
هو أن العناد الذي ضغط علي قد تبدد . ولم يبق منه إلا الذي
أخترته . ومن ذلك الحين فصاعداً ، كنت أشعر بقوة أكثر
وأكثر إيجابية . وعندما نظرت إلى ورقتي رأيتها خلاقة ،
وهكذا بعد الحب الذي هو طموح حياتي الذي أنجزته .
والشعر أيضاً . وقالت : مبتسمة بوجهي في كل صباح كنت
أكتب بين العشرة والإثني عشرة صفحة ؛ حيث كان ينساب
قلمي بسرعة هائلة . وبدون خطأ أو طريقة مخزية . عندئذ
بما تبقى من النهار كنت أبقى دون قهوة ، مصاباً أوشك على
الموت وأشعر إن لا شيئاً يهمني سوى عملي حتى حيي لزوجتي ،
بقي كل هذا رغم ساعات الصباح الجميلة المتبقية .

ورغم الرماد المتبقي من اللهب ، بيد أن التأجع الجديد

www.library4arab.com/vb كان بهيب في الصباح الثاني .

بقيت أشعر بأشمزاز وألم لتحويلي بكل شيء . ولقد
تأكدت أنني لو استمر على هذا المنوال ، لأنيت عملي بالحال
حق وفي وقت أقصر مما كنت أتوقع وشعرت أن علي أن
أحضر نفسي بكل طريقة ممكنة لأجمع آخر حبة من هذا
الحصاد المفاجيء الوفير . لم يكن أي شيء آخر يؤثر علي لو
قلت أنني سعيد لكان قولي ضعيفاً واكتشفت أنني لأول مرة
أغري بنفسي بعالم مستقل مليء بالواقع والغرام ، لو ان زوجي
وقعت مريضة مني هذه اللحظة لم أشعر بقلق إلا لأنني أترك
عملي . وليس لأنني لا أحب زوجتي . بل كما قلت أحببتها أكثر
من ذي قبل . إنما هي كأنها كانت منفية مهجورة مع أشياء
أخرى . ليس لها علاقة بعلمي البتة . كنت بالحقيقة مقتنماً ،
لأول مرة بحياتي . وليس بمجرد إكتشافي حقيقة نفسي وهو
الشيء الذي حاولته مرات عديدة دون جدوى ولكن أيضاً
لأن شخصيتي كانت قد أخذت شكلاً لائقاً وحسناً . وبتعبير
آخر أصبح عندي الاحساس الصحيح السليم كأديب ذي خيال
جامع إلا أنني اكتب نموذجاً .

www.library4arab.com/vb

بعد أن نهضت باكراً إلى عملي ، استمررت على هذه الحال الى المساء ، أتحسب الوقوع في عاطفة مفاجئة ، والصدمات والحيرة ، رغم أنني بمظهري كنت بعيداً عن المطالعة الأدبية ؛ كنت في الواقع أهدق في عيني إلى ما كتبه في الصباح وأفكر فيما سأكتبه في اليوم الثاني .

تركت مكثي بعدما قتلني الناس وخرجت متوجهاً الى غرفة نومي . وبينما كنت أعبر الممر وقع ناظري على زوجتي فقلت لها : ليلتك سعيدة ، ومضيت الى غرفتي ، واستلقيت على الفراش ، ثم استسلمت للنوم وأنا مغمم بثقة لم أعدها من قبل . ولقد ساعدتني الراحة الى أن أجدد نشاطي وأستعيد قوتي لأتمكن من كتابة القصة عند نهوضي من النوم في الصباح الثاني .

نهضت باكراً وقد تجدد نشاطي للعمل . وشعرت بأفكار كثيرة طرقت خيالي وكأنني استجمعتها خلال النوم ، كما تجمع أعشاب الحقل قطرات الندى وتندثرها الى الصباح . وبعد أن مكثت فترة طويلة على مقعدي ، أخذت قلبي وبدأت أكتب بأسهاب ، الى أن انتهيت من كتابة عدة صفحات ،

فبدت كأنها نقوش تفيض من عقلي لتدون بالحبر على الورق .
لم يحدث أي انقطاع أو تغيير بالمادة ، وكان داخل عقلي
شريطاً لا يفنى وبكتابتى هذه كان كل ما علي هو أن ألفت هذا
الشريط على صفحات الورق بكتابة أنيقة سوداء كما وأنه لم
يكن بهذا الشريط أشياء سجلت وفرضت إنما دار بعقلي كما
أردت له الدوران . وكان يعنى الفرغ كلما أسرع في الدوران ،
وكما قلت آنفاً كان باستطاعتي أن أكتب بين عشر صفحات
واثني عشرة صفحة ، الى أن أشعر بالتعب الجسدي ، خشية
أن يكون لهذا السيل من النشاط ، ولسبب ما ينقص فجأة أو
يتوقف كلية . وعندما أمل الكتابة أترك مقعدي برجلين
مرتعتين ودوار في رأسي وأمام هذا التعب البالغ أرى من
الحاجة أن أقف أمام المرآة لأرى ما بدا علي من آثار تعب
النهار ، فيتخيل لي أنه يمثل أمام المرآة عدة أشخاص تتضاعف
وتتقاطع ، الى أن تنتظم عندما يبدأ دوار رأسي ، فأفكر فيما
أعمل في الفترة المتبقية من النهار

بعد ذلك ذهبت الى المائدة ، لأتناول طعام الإفطار مع
زوجتي ، وكان إقبالي اليه عظيماً ، حتى أنني كنت أشبه بآلة
فرغت من الوقود وهي بحاجة اليه لتمكن من متابعة عملها ،
بعد أن انتهيت من الطعام ، حتى شعرت في نفسي برغبة
للضحك فأخذت أعبث بالضحك وبالأمور الزوجية المعنى .
إن دهشتي عظيمة ، لأن هذا التحول كان جديداً بالنسبة لي

حيث كنت فيما مضى رصيناً مفكراً . وأرى من الواجب أن

أشير إلى الحقيقة الظاهرة وهي أنني غالباً ما كنت أشعر

بضعفي لكبح جماح نفسي إذا ما دعت الظروف إلى ذلك .

وكثيراً ما كنت أشعر بنجمل بعدما أستسلم للرغبة الجامحة ولا

أستطيع التخلص منها . وكنت في هذه اللحظة أجلس قبالة

زوجتي على المائدة . ولكن رغم كل هذا كان عقلي لا يزال في

الطابق العلوي حيث غرفة درسي ، أو بالأحرى حول مقعد

الكتابة ، حتى يبدو لي أن القلم ما يزال في يدي . أما ما

تبقى من النهار فقضيته بالمرح حتى أضحي فرحى كفرح الرجل

الثلث ، ولو كنت أقل حماساً أو ثملاً . وأعترف بالحقيقة ، ان

هذه العزيمة كان مصدرها زوجتي . وأقول ذلك: وعلى خلاف

الطريقة والاستنتاج . القصة التي كنت اعمل على كتابتها لم

تكن نموذجاً ، وإنما كانت حقيقة ترسخت في ذهني . الكمال

ليس من شأن الانسان . وغالباً ما يميل إلى الادعاء أكثر من

الحقيقة ولو كان هذا الادعاء على حساب علاقتنا مع الآخرين ،

أو على حساب أنفسنا . ولكي نتجنب الادعاءات ، علينا أن

نبور الهدف لآظهاره واضحاً وهذا على ما يبدو أجدي من

الطريقة الحائرة التي نسلکہا في الموضوع الذي هو بمتناول

اليد . وتأكدت بأن أموري تسير بنجاح بعد تجارب فاشلة

لمدة عشر سنوات .

السعادة بالإضافة إلى أنها تجعلنا أنانيين غالباً ما تجعلنا دون

تفكير . ولقد ذكرت فيما مضى لقائي بزوجتي كان نقطة
الإنطلاق إلى إثارة الطريق . ومع وسوح هذه الحقبة فإني
لم أتابع .

لقد كنت مشدوداً بعملتي فلم أكرت إلا للحوادث القيمة
التي تعترضني حتي أنني كنت أجد صعوبة في الحلاقة . أو بمعنى
آخر ، إنها كانت تحدث لي قلقاً عظيماً لهذا السبب ، لم يكن
باستطاعتي الحلاقه بل كنت أستدعي الحلاق إلى البيت على
موعد محدد . إنه « انطونيو » الحلاق . الرجل الصادق الوفي
الذي يتقيد بالمواعيد ولا أذكر مرة تأخر فيها . كان يأتي من
القرية المجاورة - بعد أن يوصد باب دكانه المتواضعة - راكباً
على دراجة هوائية فيصل الساعة الثانية عشرة والنصف . إن
وصوله كان الإشارة لي للتوقف عن العمل . علمنا بأن هذا
الوقت يطابق أفضل أوقاتي طيلة النهار . حيث أتخلص من
المرح الذي ذكرته سابقاً . والذي نتج عن شعوري بجودة ما
أنتجت .

كان الحلاق قصيراً عريض الكتفين ذا رقبة غليظة ووجه
مستدير ولقد إعتدل طولاً وعرضاً . وكان وجهه يميل إلى
السمرة . وقد بدت عليه آثار مرض الصفراء . إن أكثر ما ظهر
من ملامحه ، عيناه الواسعتان المستديرتان المغمورتان ببياض
رائح وله أنف صغير وضع واسع نطبت شفتان رقيقتان صغيرتان
حق لتبدو من خلالها أسنانه السوداء ذقنه شديد الانحدار .
وبها انخفاض ظاهر يوحي بالألم . عندما كان يتحدث .

إن صوته هادىء دافىء ، ويديه صغيرتان شديداً التحول ،
وقد تاهز الأربعين من العمر له زرجة وخمسة أطفالاً . وبتفصيل
آخر إن هذا الرجل لم يكن من «سكانيا» إنما من «سيسليا»
من قرية على مقربة من وسط (سيسلي) . كان جندياً في الجيش .
وصدف أن تعرف على فتاة أحبها ، من هذه القرية . فدفعه
حبه لها للزواج منها . والسكن معها . وبعد أن أنهى خدمة
العسكرية فتح صالوناً للحلاقة وبدأ عمله به بينما تعمل زوجته
في الحقل . لكنها كانت تترك عملها لتساعد زوجها يوم السبت
في صالون الحلاقة . ليستطيع القيام بواجبه تجاه زبائنه الذين
كانوا يتوافدون عليه بكثرة لأنهم في اليوم المقبل يستقبلون
عطلة عن العمل .

كان انطونيو دقيقاً في مواعيده ؛ ففي الموعد المحدد ، أي
في الساعة الثانية عشرة والنصف كان يستلقت انتباهي صوت
خفيف دوالب الدراجة على الحجارة . وكان هذا بمثابة تنبيه
لي للتوقف عن العمل . ولا يلبث إلا قليلاً ليقرع باب غرفتي
ثم يدخل ويوصده ورائه ، يهدوء ولطف ، فيعرض علي التحية
وكثيراً ما كانت تأتي معه خادمة تحمل إبريقاً من الماء الساخن ،
ثم تضعه على طاولة بعجلات ، قريباً من الفرشاة والصابون ،
وموسى الحلاقة ، بينما أدار ظهره ليسكب الماء الساخن في
الكأس . ثم يبيل الفرشاة ويحكه على الصابون لتحل ما علق
عليها الى وجهي . إن هذه العملية كانت تطول ، وتطول ..

ولا يتوقف إلا بعد أن يكون القسم الأسفل من وجهي قد غطته كتلة من الصابون .

بعد هذا العمل يترك الفرشاة ليأخذ المومي ليبدأ بحلاقة

وجهي ..

لقد شرحت هذه الحركات العادية بإيجاز بسيط ، لكي أعطي مثلاً واضحاً عن بطء ودقة حركاته ، ولكي أوجز استعدادي لتحمل بطئه ودقته . ومع هذا كنت لا أسر بالحلاقة ، نتيجة ثرثرة بعض الحلاقين ، التي كانت تسبب إزعاجي .. إنما الوضع كان مختلفاً كل الاختلاف بالنسبة « لأنطونيو » ..

كنت أشعر ان الوقت قيم .. الفترة التي كنت أجلس فيها على مقعدي ، قبيل وصوله بقليل ، فهنا أشعر انني حر وباستطاعتي أن أفعل ما أريد . أتحدث الى زوجتي أو أقرأ ، سيات عندي .

كان (انطونيو) ساكناً لا يتكلم أبداً بينما لم أكن أنا كذلك بعد هذا الحجز والعمل الطويل كنت أشعر بحاجة ماسة الى الراحة . كذلك أحدثه بأي حديث يعن لي .. فلربما يكون عن حياة الغربية ، عن سكانها .. عن محصولها .. عن عائلتي .. عن الطبقة الراقية . ولربما أتحدث عن الموضوع الذي يسرنى أكثر من غيره . وهو المقارنة بين مسقط رأس انطونيو والبلد التي يعيش بها . لم يكن اختلاف شاسعاً بين « يسلي »

و « تسكاني » .. بالحقيقة نجحت في أخذ معلومات عديدة عن
« تسكاني » وسكانها والتي بها اعتقد اني استطعت أن أكتشف
معنى الازدراء والأصنام .. رغم كل هذا كان يجيب على الأسئلة
بخلق هادىء وبدقة متناهية . لقد كان عنده طريقة في التحدث
بشكل هادىء مختصر لاذع وبأسلوب يبدو أن لا مثيل له .
أضحك لبعض النكات وعندما كنت أحتدم غيظاً كان
يتوقف عن وضع الصابون على وجهي أو يتوقف عن الحلاقة الى
أن أهدأ ثانية .

وفي حديثي مع الحلاق لم يكن لي هدف معين . وعلى ما
أعتقد قد أوضحت هذا آنفاً . وبعد إسهاب في الحديث ؛
تأكدت أنني رغم كل الاسرار التي نلتها منه لم أتوصل إلى
معرفة آرائه ، ولم أستطع التأكد من صحتها . ورغم أنه فقير
ولديه عائلة كبيرة لم يكثر كثيراً لنقوده . إنه يتحدث عن
عائلته بتجرد . ودون عاطفة أو قوة . أو أي شعور آخر .
وكانه يتحدث عن شيء طبيعي يدور في خله .

في نفس لحظة الحديث . وبالإضافة إلى ذلك كان لا يكثر
للسياسة مطلقاً حتى أن عمله ومع إتقانه له - لم تكن به أكثر
من وسيلة للعيش . وأخيراً تأكدت من وجود غموض في هذا
الرجل . إنما كان بطريقة يختلف بها عن الكثيرين . من الطبقة
العامة التي ينتمي إليها .

وفي كل يوم بينما كان « انطونيو » يخلق لي وجهي كانت
زوجتي تأتي إلى الغرفة . وتجلس في الشمس أمام النافذة وإما
أن تحمل كتاباً أو علبة لطلاء الأظافر .

لا أعرف ما هو هذا الشعور الذي عكس علي السعادة

عندما دخلت زوجتي كالسرور الذي شملي بمجيء انطونيو
رغم اختلاف الطريقة . عند دخولها وجلسها بالغرفة التي
كنت اعمل بها قبل فترة الصيرة . إنها تساعدني على تجديد
عزيمتي للعودة إلى العمل برغبة . أعني الجو الناعم الهاديء
المنتظم الذي يدفعني إلى الإستمرار . بعلمي بنشاط وتفكير
سليم . بين الفينة والأخرى كنت اتوقف عن ثرثوتي مع الحلاق
لأسألها مداعباً: عن حالها ، أو ما اسم الكتاب الذي تقرأه ،
أو ماذا تفعل . . . ؟ . فتجيب بإمعان وهدوء ، ودون أن تقلع
القراءة إن كانت تقرأ ، أو تقلم أظافرهما إن كانت تفعل ذلك
بينما هي تجلس ، كانت الشمس تنعكس على شعرها الأشقر
الجميل والمتدلي على جانبي وجهها . بينما تطرق راسها دون
حراك حتى ليبدو منظرها أجمل من منظر الحديقة التي غصت
بالأزهار .

ان يريق الشمس على شعرها عكس ألواناً بنية فاتحة ، على
أثاث الغرفة بينما عكس موسى الحلاقة أشعة قائمة ، انتشرت
برقة على عتبة النافذة ، حتى عمم النور الغرفة بأكملها ، وانتشر
على الأثاث البالي والكراسي والطاولات القديمة .

كنت سعيداً للغاية إذ انني فكرت في أحد الأيام ان هذا
المنظر لا يمكن أن يمحي من تخيلتي ما حييت . . . والآن أجلس
على الكنبه بينا « أنطونيو » يخلق لي . النافذة مفتوحة
والغرفة مليئة بنور الشمس ، وزوجتي تجلس حيث انتشرت
الأشعة .

وفي أحد الأيام وبيننا « انطونيو » يتابع عمله بحلاقة ذقني ،
أقبلت زوجتي تتوشح بعباة جميلة وبعد أن سلّمت ، طلبت
من « انطونيو » أن يصفف لها شعرها ، وأصافت قائلة : إن
كل ما يحتاج هو لمسة صغيرة بمصفف الشعر الذي كانت قد
غسلته بنفسها عند الصباح ، وسألت « انطونيو » إذا كان
يستطيع أن يقوم بهذا العمل ، فأجابها بقوله : نعم .. فطلبت
منه أن يذهب الى غرفتها بعد أن ينهي لي الحلاقة .

خرجت زوجتي ، فسألت « انطونيو » ، إن كان سبق لك
ومارس العمل في تزيين شعر السيدات ، فأجاب بفرور : إن
كل فتيات القرية يقصدنني الى صالون الحلاقة لهذا الشأن
ومضى قائلاً : ان سيدات اليوم ، وحتى القرويات منهن يمارسن
التصفيف الدائم . انهن لا يختلفن عن سيدات المدينة . وتابع
حلاقة ذقني ببطئه المعهود ، وبدقته المعروفة . وبعد أن جمع
أدوات الحلاقة تركني وذهب الى غرفة زوجتي .

وبعد أن خرج « انطونيو » جلست تحت أشعة الشمس
على كنبه حيث اعتادت زوجتي الجلوس ، وبيدي كتاب أذكر
اني كنت أقرأ فيه قصيدة « أمنا » للشاعر « طاسو » فبدأ
بتكرار قراءتها في هذا الوقت معجباً بها ومنسجماً معها
انسجماً كلياً ، جعلني أنسى اني كنت أنتظر زوجتي بين
الحين والآخر ، وبعد أن أنهيت قراءة بعض الأسطر الجميلة
كنت أرفع نظري نحو النافذة ، وأردد هذه الأسطر

مخيلتي . وكلما تابعت هذه الطريقة كنت أشعر ان سعادتي
تزداد ، وكأنني انسان أقعده التعب فاستلقى على فراشه براحة

www.library4arab.com/vb

بقي « انطونيو » فترة من الزمن تقارب الساعة عند زوجتي
وفجأة قطع تفكيري صوته وهو يقول للخادمة : أستودعك
الله ، بصوت هادىء . ولم تمض إلا فترة قصيرة حتى سمعت
صوت دواليب دراجته ، وكلما ابتعد أكثر فأكثر تلاشى هذا
الصوت . وفجأة دخلت زوجتي فوقفت منتصباً على قدمي
لأنظر اليها ... يبدو ان انطونيو قد حل المشكلة ؛ لقد حول
شعرك الى ضفائر ، كالزي الذي ساد في القرن الثاني عشر ..
فبدت زوجتي بطابع غريب ، وكأنها قروية تلبس ثياباً أنيقة .
بدا عليها مظهر السداجة ، بيد أنه تحسن بباقة من الورود
الجميلة ، التي بدت فوق صدرها الأيسر .

جميل ! صرخت صرخة انشراح .. حقاً ، ان « انطونيو »
لساحر !.. « ماريو » و « أتيليو » وغيرهما من المزينين لا
يمكنهم المفاخرة بمهارتهم إذا وجد « انطونيو » فهم لا يستحقون
أن يعملوا خدماً عنده .. انك شبيهة بقرويات المنطقة ، وهن
في طريقهن الى الكنيسة لتأدية صلاة الأحد .. ثم أشرت الى
شعرها قائلاً : هذه الزهور في منى الجمال ، دعيني أنظر
اليك .. وما أن انتهيت من الكلام حتى حاولت أن أجعلها
تدور قليلاً لكي استمتع بمنظر الحلاقة أكثر فأكثر ، لكن

www.library4arab.com/vb

لشدة دهشتي .. لقد بدت علامات الغضب عليها ، وأخذت
شفتها السفلى ترتجف - وهذا ما يدل على غضبها - وفجأة
دفعني جانباً : أرجوك .. لا أشرب بقدرتي على تحمل المزاح
الآن .

فلم اكثرث لغضبها .. وقابعت مازحاً : تعالي لا حاجة
للخجل .. انني اؤكد لك أن (انطونيو) قام بعمل فاخر ..
انك بالواقع جميلة .. لا تخافي ستظهرين جميلة - لأول مرة -
يوم الأحد المقبل ولا أشك أنك لو حضرت حفلة رقص ستلقين
عروض زواج كثيرة .

على ما يظهر فان هذا الغضب الذي بدا على زوجتي كان
نتيجة لما فعله « انطونيو » ، وكل ما أعلم عنها هو انها اعتادت
على الصدمات . وليست هذه المرة الأولى التي يسببها مصفف
الشعر « انطونيو » . إنما دفعني جانباً مرفقة ذلك بنظرة
شدر . وأردفت تقول : قلت لك سابقاً أرجوك لا تمزح ..
لقد بدا لي ان غضبها كان سببه شيء آخر ، بالاضافة الى
غضبها الناتج عن تصفيف شعرها الفاشل .. ما هو ؟ ماذا
حدث ؟

والتفتت فجأة لتقول : ان ما حدث هو انه عليك أن
تبدل الحلاق غداً . فأنا لا أريد أن يأتي « انطونيو » الى هنا .
أصابني ذهول ! .. إنما لماذا ؟ فأجابت : انه ليس بحلاق
يتلاءم مع العصر ، فأجبتها .. وأنا أدرك هذا : إنما يخلق لي

جيداً . فيجب أن نوطد علاقتنا معه أكثر مما عليه الآن .
ولكنها صرخت بملء فيها : آه يا ساميو ألا تريد أن تفهم
علي ؟ الأمر لم يكن مجرد إجادته للعمل . . ماذا ينفع هذا ؟
ما الأمر ؟

كان ينظر إليّ نظرة غريبة . ولربما يقصد منها أهدافاً
أخرى . أنا لا أريده أن يعود ثانية .
صحيح هذا ... ماذا تقصدين ؟

يبدو أنه ما زال بصوتي وتعبيري الغرابة التي تعتريني كل
صباح وبمثل هذا الوقت . لكنها أضافت بغضب وسخرية .
ولكن ماذا يهمك إن أساء إلي انطونيو ... ؟

طبعاً لا يهمك !. ماذا تقصدين ؟ وكتت أخشى أن أكون
أغضبتها فدنوت منها قائلاً : وقد بدا علي الجد، الرجاء المَعذرة
إن أخطأت ربما لم أفهم الحقيقة منذ البداية .
أرجوك أن تخبريني بأي طريقة تصرف معك «إنطونيو»
الرجاء أن تسرعني . يبدو ان تصرفه لم يكن يخلو من
الغرابة ...

نعم في منتهى الغرابة . إن تصرفه بالنسبة لي عبر عن عدم
احترامه أبي .

وصرخت وهي ترتجس من الغضب . ثم التفتت نحو ي مرة
أخرى وعلامات الحزن بادية على عينيها . يكفي ما قلت
سابقاً ...

إنه رجل لا يستحق أن يدخل إلى بيتنا .. أطرده ...
علينا أن نجد غيره يحمل عمله فأنا لا أريده أن يدخل
منزلنا أبداً .

لم أفهم ..! عليك التوضيح . لا أعرف عنه إلا الصفات
الحميدة . فضلاً عن أنه ينتمي إلى عائلة كريمة ..

ثم مضت في حديثها بتهم وسخرية . إنه ينتمي إلى عائلة .
أعذرنى ... أنت تعلم الحقيقة . لا حاجة لك أن تسألني عما
فعل إنك تقول إنه كريم الأخلاق ، صحيح ما تقول ...
الرجاء المذرة .

فأعجبت لهذه الطريقة التهكمية وقلت : هل لك أن
تخبريني بالحقيقة .

واحتدم الجدل فترة طويلة فيما بيننا . واستمرت في
الإصرار لمعرفة الحقيقة . كيف أن (أنطونيو) لم يحترم
زوجتي . لكنها ظلت مصرة على رفضها . بالنهاية وبعد نزاع
عنيف . روت لي ما حدث .

لقد كان على (أنطونيو) ليقوم بعمله أن يقترب من
الكتبة التي كانت تجلس عليها زوجتي . وتأكدت من أنه كان
يقوم باحتكاكات مقصودة بكتفها وذراعيها . مع ذلك تابع
علا بدوء وبكينة . إنما الاحتكاكات لم تكن عنوية . لكنها
تأكدت من أنه يقصد تأسيس علاقة معها . فبسلوكها
السلوك الذي يجلب الحزني والعار .

وبعد أن انتهت من حديثها سألتها .. هل أنت متأكدة

من قصده؟ وكانت الدهشة ظاهرة على .. كيف لا يا «سلفيو»؟

أتشك بما أقول ..؟ قد يكون مجرد توم ...

توم ..؟ إنه كلام فارغ ...

يجب أن تنظر اليه نظرتك إلى رجل عديم الشرف .

ذلك الرجل الأصلع . الغليظ العنق . ينظر اليك من تحت

جفونه ثم ينظر يجرأة إلى وجهك ...

إنه رجل خبيث فقد كرامته . هل هذا صحيح ...؟

أعني أنا لهذه الدرجة ...؟

قد يكون من جراء الهدف ... إن عمل الحلاق يجبره

على الأقتراب ممن يخلق له

لا ... لا . لم تكن صدفة ... تحدث الصدفة لمرة واحدة .

أما في الاستمرار عليها فتصبح عادة .

دعينا نرى علينا أن نجرب ... اجلسي على الكرسي وأنا

أمثل «انطونيو» علينا أن نتأكد .. مع انها كانت على درجة

عظيمة من الغضب فقد وافقت على طلبي مرغمة ... وجلست

على الكرسي . أخذت القلم متظاهراً أنه مصفف الشعر .

واتكأت فوقها لأصف لها شعرها ... بالواقع بهذه الحالة

كما تصورت . كانت المنطقة الحساسة . على مستوى كتفها

وذراعها . ولم استطع الابتعاد عنها لأنني وجدت متما في هذا

الاحتكاك رغم أنه لم يكن سوى مجرد تجربة . للتأكد من

صحة ما تقول زوجتي .

والتفت إليها لأقول : نعم . إنك على حق .

إنه لم يستطع الإبتعاد عن الاحتكاك بك . لكنني أرى

أن من المتوجب عليك الإبتعاد قليلاً إلى جهة أخرى .

إنني فعلت ذلك لكنه انتقل إلى الجهة الثانية .

ربما فعل ذلك ليصفف شعرك من الجانب الآخر . ولكن

يا « سلفيو » ، أيمكن أن يتوصل إلى هذه الدرجة من الغباء ؟

يخيل إلي إنك تتعمد هذا السؤال . إنني أخبرك أنه تعمد

ذلك . والقصد يرافق كل حركاته .

كان السؤال على شفتي ، لكنني ترددت بسؤاله ..

ثم التفت إليها قائلاً : وبالنهاية . أحدث احتكاكات

واحتكاكات ؟

هل شعرت أنه عندما كان يحتك بك كان ... ماذا

أقول ؟ ملتنبهاً ؟

كانت تجلس على الكنبه وأحد أصابعها بين أسنانها

معبرة عن حيرة عظيمة بدت على وجهها الغاضب .

طبعاً لقد أجابت وهي تهز كتفها استنكاراً . حق انني لم

أفهمك أو انني لم استطع أن اوضح لك رأيي .

واصررت على سؤالي لها أنت متأكدة من أنه كان ملتنبها

نعم !

شعرت الآن أن دهشتي بسلك إنطونيو . إنها لم تكن تلك

الفتاة الصغيرة بل هي السيدة المحترمة وذات الحيرة الواسعة .

بالإضافة لهذا تأكدت أن زوجتي لا تميل الى هذه الأمور

المخزية .

www.library4arab.com/vb

كل ما استطعت أن أفهم منها هو أنها روت هذه الحادثة على وجه الدقة دون تضخم الحقيقة . وأجد أن من المتوجب عليها أن تخبرني الحادث بأسلوب تهكمي . وبدون عنف أو كراهية وبجيرة قلت : لكن هذا لا يدل على شيء . قد يحدث لغيره من الناس ولو باحتكاك غير مقصود . ما حدث معي وأنا بين جمهور من الناس . أو في القطار إذا صدف لي والتصقت بامرأة . فاستمتع دون أن أقصد ذلك . النفس تشتهي وتابعت حديثي مداعباً . رغبة في تهدئتها ومضيت أقول : النفس أمارة بالسوء آه يا الهي إنها لم تقل شيئاً ... لقد أطرقت الى الأرض وسرحت في تفكير عميق . بيد أنها بين الفينة والأخرى كانت تعض بنايها متأثرة بما يحول في خلدتها من حزن وقلق واضطراب . فظننت أنها هدأت ، فتابعت مازحاً . حتى القديسون هم عرضة للإغراء فكيف بالحلّاقين ... ! مسكين (انطونيو) لقد شاهد امرأة جميلة . ووجد الوقت الملائم ولكنه لم يستطيع تنفيذ رغبته . إن هذا العمل غير لائق له ولك - وهذا كل شيء ...

وبينما أنا أشرد في تفكيري ، وينغمري الفرح نتيجة ما

www.library4arab.com/vb

حدث لزوجتي ، وبعد أن أطلق الضحك ، اكتشفت هذا في الوقت المناسب وأرغمت نفسي على الاتزان مرة أخرى ، ثم

تقدمت من زوجتي وطلبت منها المذرة ، فأنا أعرف انني
سلكت طريقة غير مستحبة في الحديث ولكنني أقول بصراحة:
كنت عاجزاً عن السير يجدية في الحديث معها لأن « انطونيو »
هو في رأيي انسان بريء .

قالت : لا شيء في حديثك يسرنني . ان ما أبحث عنه هو
مدى استعدادك لطرده « انطونيو » وهذا كل شيء على ما
أعتقد .

لاحظت سابقاً ان سرورنا يجعلنا أنانيين ، وفي هذه اللحظة
وصلت أنانيتي أقصى حدودها ، لأنني كنت أعلم انه لا يوجد
في القرية حلاق آخر يسير بضعة أميال كل يوم ليأتي ويحلق لي
فيجب علي بعد أن حدث ما حدث أن أزيل فكرة الحلاق من
تفكيري وأحلق بنفسي . ولكن ، بما انني لم أمارس الحلاقة
بيدي في بادئ الأمر فأنا الآن عاجز عن القيام بهذا العمل ،
ومن الطبيعي أنه سيحدث في ذقني جروح وخدوش ، ولربما
تعدى الأمر ذلك . وهذا ما يسبب لي تعطيل عملي الذي كنت
أرغب له أن يسير بسرعة أكثر .

لقد كنت أرغب في أعماق نفسي في الهدوء والاتزان ،
لأن هذا ما يتطلبه عملي ليسير بنجاح وتقدم . والتفت إلى
زوجتي بعد أن تحولت إلى الجدية على أكمل وجه ، وقلت لها:
لا يمكن أن تجعليني أن أصدق أن « انطونيو » قليل الإحترام
لك .

هل نتكلم بتصميا ؟

www.library4arab.com/vb نعم ...
يعني انك لا يمكن ان ...

كيف لي ان أفعل هذا ..؟ ما هو السبب ...؟

وبأي عذر أتذرع له ...

أي عذر ؟ أخبره أننا راحلون ...

إن هذا من باب المراوغة . وسيعلم الحقيقة على الفور .

هل يهمني ذلك ...؟

كل ما يهمني . هو ألا أراه يدخل ثانية هذا البيت .

ولكن هذا ليس من المعقول ...!

إنك لا تريد أن تفعل ذلك ...! صرخت بقنوط وحزن

بالعين عليك أن تفكري يا عزيزتي بعض الوقت ... ماذا

يجدي الغيظ بدون سبب ...؟ الرجل الفقير الذي ...

هل هو فقير ...؟ إنه يتصف بأردأ صفات الإنسان .

أضف إلى ذلك ، ماذا سأفعل بالحلاقة ...؟

أنت تعرفين جيداً أنه لا يوجد حلاق قريب يمكن أن

يقوم بالعمل مكانه .

عليك أن تحلق بنفسك ...

لكن هذا صعب بالنسبة لي ...

www.library4arab.com/vb إلى هذا الحد الضعف ...؟ ألم تكن مثل غيرك من

الرجال ...؟

- لا .. لا ، أستطيع الحلاقة .. ماذا أفعل ..؟

- أطل حبتك وهذا كل ما في الأمر ..
- أرجوك لا ، لا أستطيع ، لا أستطيع النوم عندما ..

ولو لفترة قصيرة ... سكتت منبهة . وفجأة صرخت بصوت عال : انك ترفض ما أقول لك .. وتصر على رفضك ..!
- ولكن يا ليدا ..

- نعم ، انك ترفض تنفيذ رغبتى .. وانك ستجبرني أن أراه مرة ثانية . أراه ثانية .. أبدأ أبدأ .. انك تجبرني على الاحتكاك به مرة ثانية .. اني لا أريد إرغامك أن تقوم بأي عمل ..

- لا حاجة لأن تظهرني .. تستطيعين البقاء في داخل الغرفة ..

- فمن الواجب عليّ بعد هذا أن أختفي داخل بيتي .. لأنك لا تفعل ما يرضيني ..
- ولكن يا ليدا ..!

- دعني وشأني ..! وفي هذه اللحظة اقتربت منها محاولاً أن ألمس يدها ، لكنها صرخت بغضب : اتركني .. أريدك أن تطرده ، هل تفهم ماذا أريد ..؟

قررت ان من واجبي اتخاذ موقف حازم .. فقلت : اسمعي

يا ليدا .. أرجوك ألا تستعري علي هذا الحال .. ان هذا

مجرد تخيل وأنا لا أريد الاستسلام للأوهام .. إنني الآن

سأكتشف الحقيقة .. وإذا ما تأكدنا من صحة الاتهامات علينا
أن نطرده دون أن نفكر بالمصاعب
- نتأكد .. ثم وقفت بغضب ، وتركت الغرفة دون

كلام .

هكذا أصبحت وحدي ، وبدأت أفكر بالحادث ، وكنت
مقتنعاً ولا مرية بأن الأمر كما قلت سابقاً .

ان انطونيو حاول كبح جماح غريزته لكنه لم يستطع الى
ذلك سبباً . وأنا متأكد من أن الإحتكاكات العفوية . تقود
إلى احتكاكات مقصودة . وطبيعة عمله تفرض عليه ذلك . واعتقد
بأن العلاقات الجنسية أقوى من أن تقاوم ولو عمد الإنسان إلى
مقاومتها برغبة كلية .

هذه الأعتبارات القائمة على النية الحسنة بددت آخر تأنيب
للضمير . وعرفت أنني كنت أعمل بالأساس بدافع الأثانية .
لكن هذه الأثانية لاتعارض مع ما أعتبره الحكم الصادق .
كنت معتقداً من براءة « انطونيو » ، ولهذا لم أشعر بريبة
لكشف رأيي قبل الحكم لأقول : كان مجرد تخيل من جانب
زوجتي .

بعد بضع دقائق إنضمت إلى « ليدا » وجلسنا إلى المائدة
وقد بدت هادئة للغاية . كما يبدو لي .

وبعد أن فرغنا من الطعام ، وخرجت الخادمة لتتقل
الطباق إلى المطبخ التفتت الي « ليدا » قائلة : جميل إنك

تصر على أن يخلق لك «انطونيو» جميل هذا وأنا لا أشك...

ولكن عليك أنت تدبر الأمور كيلا اراه ثانية في البيت . . .
حق ولو صدف والتقيت به على الدرج ، لا أريد ان اراه
ابداً . . . عليك أن تفكر بالأمر ثم تابعت تقول : قد
يكون ما أقول مجرد وهم ، لكن مع ذلك فأنا أرى أن
خيالات يجب أن تكون موضع اهتمامك أكثر من راحتك ،
ألا تعتقد بذلك ؟

لقد كان الأمر على عكس ما كنت قد قررت، ولم استطع
أن أصر على هذا القول بعقلي، وفي هذا اللحظة دخلت الخادمة
وانقطع الحديث، وبعد فترة قصيرة تركنا البيت وتابعتنا الزهة
كعادتنا ، وفي اثناء الطريق حاولت العودة إلى الحديث ثانية،
لكنني شعرت بتأنيب الضمير ، لأنني رغبت من زوجتي أن
تكون مقتنعة بمنطقي. ولكن هذه المرة ولشدة دهشتي قالت
بلطف: دعنا ننتهي من التحدث في قصة «انطونيو» «ياسلفيو»
إذا كنت لا تمانع في متابعة هذا الحديث. فقلت: لها لا امانع
فقالت : يبدو أن الأمر قد أتعبني. وأنا لا أعرف ما السبب،
ولكن الآن بعد أن فكرت عدة مرات لم يعد الأمر يهمني
بالمرة . وشعرت بالارتياح ولا أدر ما السبب .

آه يا لفرحي لقد بدت زوجتي وقوراً إنها لم تعد تكثر
ما فدا الملاق، وما هي تدبر من خلال حديثها عن قدمها على
غضبها . . . وعند الصباح . . . سألتها هل أنت متأكدة مما

تقولين ؟ واصررت على السؤال - نعم ، يمكنني القسم بقولها...
لا حاجة للكذب بأمر كهذا . وسكتا فجأة ... ولفترة
طويلة . ثم تابعا الحديث - بمواضيع أخرى وهكذا كنت
متأكداً من أن زوجتي ، لم تعد تفكر بالموضوع مطلقاً وهي
الآن قد عادت الى ابتسامتها وتخلصت من غضبها السابق .

واليوم ، وبعد ما مرت الأيام سراعاً . وأصبحنا كأننا
استيقنا من نشوة الحلم . لا بدلي عندما أروي حادثة «انطونيو»
إلا وأن أرسمها بالنسبة لمجري الأحداث التي حدثت قبلها ،
وبعدها . يخيل الي أن كاتب التاريخ قد ينهج نفس الطريق
غير أن الأحداث تتفاوت أهميه بالنسبة للأبطال الذين أرخنا
قصصهم . وبالنسبة لجمهور المتفرجين .

عرفوا الثورة الفرنسية بأنها كانت حادثة تاريخية مهمة فلا
يمكن الربط بينها وبين حادثة بسيطة لا أهمية لها لقصة
إنطونيو ، وعندما أندلعت الثورة الفرنسية لم تأت قصة انطونيو
لتخليتي وما هذا إلا لأنني لم أكن مهياً لأعير إهتماماً لحدث بسيط
كهذا .

لقد كانت علاقتي بزوجتي علاقة تفيض بالحب المتبادل
والسعادة التامة . ولذا لا يمكن لأحد أن يصطاد في الماء
العكر ، ومن الواجب علي أن أصر على البراءة في عقلي لتزيل
الالمانية ونشير الى سهولتي . بالواقع مهما تكن الأسباب لم أحب
التفكير الذي لا يمت ، الى الحقيقة بصلة وثيقة . وأرى من

المستبعد أن أصل الى منظر من مناظر التمثيلية يريد بطلها .

وفي اليوم الثاني عندما طرق أنظوري ، عرقت درسي في الوقت المحدد بدا لي انني لم اشعر باضطراب أو حنق ، ولكنني ما زلت على طبيعتي المعروفة عني فيما سبق . وبدأت وكأنني أحل عقلياً هذا الرجل على ضوء المعلومات القديمة والحديثة والاثامات التي أوضحتها زوجتي .

لأول مرة ، وبينما يخلق لي ، وأنا أتحدث معه كالعادة ، مع انني كنت مشمئزاً من التحدث اليه ، وفي نفسي رغبة شديدة لمراقبته بعد ما فعل ما فعل . كان صاحب عزيمة كالعادة في عمله . انه يقوم بعمله بخفة ومهارة . فكرت في نفسي لو ان اتهامات زوجتي حقيقة . بالطبع سيكون ماهراً في الرياء كهارته في عمله ، ولكن وجهه المتكتل العريض يجب أن يبدو شاردأ ، يعلوه الاصفرار .

ان اقوال زوجتي ما زال صداها يتردد في اذني . انه رجل مخيف غضوب ، طفت صفاته الشاذة على صفاته الحسنة . لكن بعد تفحصه باهتمام بالغ ، كنت مجبراً على الاستنتاج بأنه لم يكن هناك ما يثير الغضب ، وإن ما به من صفات ظاهرة هي مظهر الأبوة . مظهر الأب المعتاد الذي يهتم بخمسة أطفال ، مظهر يدل على الشكل السمج المتساهل . أضف الى ذلك انه لم نرضنا بأنه عمل على ملاحقة النساء فهو لا ينجح وخاصة مع امرأة جميلة متزنة كزوجتي ، اذ هنالك اختلاف في المركز وفي

الطبيعة ، بالإضافة الى تفاوت ظاهر في الجمال ؛ فظهره مشوه

الى درجة لا يمكن معها وصف مظاهر البشاعة لديه

ان صحته لم تكن جيدة ، بالإضافة الى مظهر غريب بين

فكيه ، وعند رقبتة ؛ فقد ظهر عليه التورم ، وهو بمظهره

هذا أشبه بمظهر الثعابين التي تعيش في المناطق الاستوائية عند

غضبها . له أذنان تتدلى منها حلتان كبيرتان تتذبذبان عندما

يحرك رأسه يمنة أو يسرة . ورأسه !.. كل الغرابة في رأسه !..

انه أسود لكثرة ما تعرض للشمس . ولعل من يراقبه ملياً لا

يتألك نفسه عن الضحك . وقد غطى بشرته شعر كثيف ، فلم

يبقى في جسمه مكان إلا ظهر فيه الشعر بكثرة لا توصف ، فمن

أذنيه الى أنفه الى وجهه ، حتى لأعترف بالمعجز عن تصوير

قبحه .

بعد أن تفحصنا هذه البشاعة بدقة مبهجة وغريبة اغتنمت

الفرصة عندما أدار ظهره ليمسح موسى الحلاقة بالورقة لأقول

له : كنت دوماً أتساءل يا «انطونيو» ، فيما مضى إذا كان رجل

مثلك يجد الوقت الكافي لمغازلة النساء ، بالإضافة الى انك

متزوج وتعمل خمسة أطفال ؟..

فالتفت إليّ والابتسامة تعلو وجهه ، وموسى في يده

وقال : بالنسبة لهذا الأمر يا سنيور «بلداتشي» يمكن إيجاد

الوقت متى تشاء !..

بالواقع لقد فوجئت بهذا الجواب لأنني كنت انتظر جواباً

آخر ، فقلت له : ألم تكن زوجتك حسوداً؟

– ان كل النساء حسودات !

– هل أنت غير مخلص لها ؟ ..

وفي هذه اللحظة سحب موسى ونظر في وجهي وقال :
أرجوك ، المذرة (يا سنيور بلداتشي) إنما هذا هو عملي .
لقد تصرفت تصرفاً غير لائق فشعرت بغباوة في هذا
السؤال ان كان يجب علي أن أسأل كرئيس لمرؤوس . إنما
وصفني الآن في منزلته ، ولذا غمرني الحجل واحمر وجهي .
وكنت مرغماً على الإجابة . هذا ليس من شأنك بل هذا
شأني . ما دمت قد وصلت بوقاحتك إلى زوجتي . وحاولت
فجأة أن أغير الموقف فقلت يجب عليك أن لا تتعب يا
«انطونيو» ... لم أكن أقصد شيئاً فأجاب .. طبعاً لا
ثم وضع موسى الحلاقة على ذقني وبدأ يخلق لي ببطء وأردف
يقول ، وكأنه يريد أن يخفف حدة السؤال الأول : لماذا يا
سنيور «بلداتشي» كل فرد يميل إلى النساء . حق رجال الدين .
إن «سان لورانزو» كان عنده امرأة أنجبت له طفلين
لو استطعت الدخول إلى عقول البشر ، لعرفت . وعرفت
مدى ميل كل انسان الى المرأة لكن لا أحد يمكنه
التحدث بهذا الشأن لأنه شيء طبيعي ، يمكن في طبيعة البشر
ولا يمكننا تحديد العلاقة بين الرجل والاثني ، لأننا إذا تحدثنا
يصبح الامر مسروراً ويبدأ البشر بالقبيل والقال . والنساء كما
تعلم يملن إلى الرجال الذين لا يتكلمون .

لذا نرى من الملائم أن نسكت ولا نتكلم .

وهكذا قرأ عليّ درساً عن أهمية السر في شؤون الحياة ،
وزكني حائراً بعد أن أكد لي بأنه ينتمي إلى هذه الفئة من
الناس الذين لا يتكلمون كثيراً ، وتثق بهم النساء . لم أقل أكثر
بما قلت عن هذا الموضوع في ذلك الصباح ، بل انتقلت إلى
موضوع آخر . واندس الشك إلى عقلي بعد كل الاتهامات التي
أوضحتها زوجتي ، والتي أعتقد أن لها أساساً من الصحة .

بعد الظهر وكما يحدث باستمرار مرة في كل أسبوع كان
الابن الأكبر للمزارع (انجلو) يأتي ليحاسبني عما أخذنا منه
خلال أسبوع . انفردنا في غرفة الدرس ، وبعد أن تفحصنا
الحساب تحول بالحديث إلى « انطونيو » فسألته إذا كان يعرفه
ورأيه به .

(انجلو) هو شاب فلاح بشعر جميل وملامح جمعت بين
الذكاء والبلاهة . وبعد أن وصفته هذا الوصف القصير أعود
إلى جوابه عن « انطونيو » الحلاق .

قال والابتسامة ترافق حديثه ، ابتسامة يغمرها الحثب :
نعم ، نعم نحن نعرفه .. نعرفه جيداً ..
يبدو لي أنني سألت أو أنا خاطيء : أنك لا تهتم كثيراً
« بأنطونيو » ..

وبعد لحظة من التردد قال : كحلاق لا أشك في أنك جيد

ولكن ...

ولكن انه غريب حقاً ، تابع « انجلو » حديثه . فالإنسان

لتنفيذ أغراضه لديه عدة اساليب ، كما يعرف كل واحد ذلك في حقيقته .. ولكن ربما تختلف الأمور من بلد لآخر فتتنوع

أخلاق الأشخاص وعاداتهم حسب اختلاف بلادهم .

- طبعاً بالنسبة له لا أحد من يستطيع ان يحكم عليه .

- لماذا ؟ ..

- الحقيقة ، الأسباب متعددة . وهنا ابتسم « انجلو »

مرة أخرى وهو يهز رأسه . لقد ابتسم ابتسامة تنبعث من

أعماق القلب وتطفح بالحقد والكراهية « لانطونيو » وتابع

قوله : إن المواطنين يدركون أخطاء « انطونيو » ويعرفون

كل تصرفاته ، ولذا ينظرون اليه نظرتهم الى أشياء هزلية ..

- هل هناك أشياء عن « انطونيو » تستطيع ذكرها

كبرهان لأقوالك .

فهنأ تحول بسرعة الى الجدد .. ثم أجاب بعنف وبطريقة

مداعبة : كما ترى يا سنيور « بلداتشي » فانه دوماً يزعمج

النساء ..

- أضحيج ما تقول ؟ ..

- نعم ..

- وكيف ؟ ..

- قد لا يكون عنده فكرة .. فلا كانت المرأة جميلة أو

بشعة ، شابة أو مسنة لا فرق عنده وليس فقط في دكانه ..

بل أينما ذهب ليصفف شعر النساء ، وبالإضافة الى ذلك خارج
دكانه .. اسأل أي انسان تشاء بخبرك عنه .. أيام الأحساد
يركب دراجته ويتجول في المنطقة ويتبع النساء في الشوارع
كمن يخرج للصيد .

- ان أعماله تثير الحقد ولكن سيمر يوم يجد فيه من
يحاسبه على أعماله ، ولربما تأتي هذه الأعمال على حياته .
وتابع « انجلو » حديثه عن « انطونيو » بطريقة غير
مستحبة بالنسبة لي ، وأصبح يكرر الاقوال التي قالها سابقاً
بطريقة غوغائية فلاحية لا يتقيد فيها بالحاجة الى الكلام ..
فها سألته مقاطعاً : كيف حال زوجته ؟ .. وماذا
تعرف عنها ؟ ..

- مسكينة زوجته .. ماذا تستطيع أن تفعل ، انها
تبكي دون انقطاع ، حتى وقفت الدمعة بعينها . مسكينة !
انها تعمل في الحديقة وفي الصالون تحلق للزبائن وماذا تستطيع
أن تفعل أكثر من هذا ؟ انها تتحمل مسؤولية كبيرة ..
مسؤولية البيت ، مسؤولية الحديقة ، مسؤولية صالون الحلاقة .
وفي أغلب الايام يركب على دراجته ويتركها في الصالون
ويقول لها انا ذاهب لأحلق لأحد الزبائن . ولكنه يخذعها ،
ويذهب من مكان الى مكان يجوب الشوارع باحثاً عن فتاة
يتضي معها ما تيسر له من الوقت .
نعم .. لقد عرفت عنه كل هذا في السنة الماضية .

عرفت بعد هذا الاستغراق في الحديث ، ان « انجلو »

أعطاني كافة المعلومات التي يعرفها عن « انطونيو » ولم يبق
لديه معلومات جديدة سوى الكلام السفسطائي عن سلوك

« انطونيو » المذهل ..

وكان يريد أن يتابع لكنني قاطعته وحولته الى موضوع
آخر ، وبعد هذا تخلصت منه بسلوك حسن ومضى ذاهباً من
حيث أتى .

جلست أفكر بعدما ذهب « انجلو » وأخذت تراوادي
الأفكار فانتابني نوع من الحيرة الفكرية . ها أنا أتذكر كل
الحديث الذي دار بيني وبين زوجتي ... نعم إني انسان أناني .
لماذا أستبد في آرائي ... ؟

لماذا لم أصدق زوجتي لقد كانت محقة ... ؟

لماذا اتصرف كل هذا التصرف العفوي الابله ... ؟ علي
أن اتزن بتفكيري . علي أن افكر قبل ان أبدي رأيي .
نعم إن زوجتي علي حق . ومع هذا كنت أشك في أقوالها ...

أجل ، إن جميع الناس يعرفون « انطونيو » إن أحاديثه
وتصرفاته متناقلة على السن الكثيرين ومع هذا أنظر اليه نظرة
حسنة . مع أنه إنسان ضعيف يتربص بالضعيفات من النساء
ويستغل ضعفهن لإرضاء شهواته .

نعم إنني حولت انطونيو زوجتي . الآن أنا متأكد من صحة

هذا .

الآن لقد عرفت هذا السر، الذي كان يحدثني عنه انطونيو.
اكتشفت كنهه أحاديثه. عرفت لماذا يتم بعمله خارج الصالون،
بينما يترك الزبائن لامرأته لتتعلق لهم نعم، لقد عرفت كل هذا.
عرفت مصدر سماحته، ومصدر إهماله لعائلته. منذ فترة
خلت. قال لي: أنه لا يجب السياسة: لقد وضح كل شيء
ولم يبق سر بالنسبة لي حول انطونيو الا وانجلي لي. إنه رجل
نافه، فاسق أتقن عمله وكرس كل مايملك في سبيله. إن أخلاقه
فضة أشبه ما تكون بأخلاق الحيوانات والتي عبر عنها بأنها
محبة عند النساء.

لنتساءل من هم هؤلاء الذين يستميلهم «انطونيو»؟ اكتفي
بهذا التعبير البسيط (قل لي من تصاحب لأقل لك من أنت).
هنّ مثل انطونيو مثله في أخلاقه. في قبعة في تصرفاته
الشاذة.

انه يصف هؤلاء النسوة بكل الصفات التي يرغبها بين
ويصف حبهن له فيقول: ان تعلقن بي آت عن كتاني ما
يحدث ولكن أنا أقول: هل تخاف عاهرة من ثرثار، ولو
أنها تخاف لما فعلت ما ينسب اليها.

نعم.. لقد علمت ما علمت وانتابني اليأس والقنوط حول
هذا الرجل المسكين، الذي عمل على خدمتي فترة طويلة.
لقد أحببته كثيراً. أما الآن فقد بدأ لي وحكاية يمانني.
لقد انقضت خفاياه وتبدد السر الذي ستر حياته - بالنسبة

لي - فترة طويلة . انه رجل فقير بسبب الأذى للنساء وفيهن زوجتي ، فمن لا يصدقني به ، ومن الصعب أن ينال منهم ما يريد ، ولكن ما أدهشني بالنسبة لهذا المسكين هو اكتشاف سره بين الناس ، وحقد جميع الناس عليه ، ومنهم من ينظر اليه نظرة استهزاء .

لم أسمح لنفسي بأن أتأثر بغضب « ليدا » لهذا لم أكرمه منذ البداية . أما الآن وبعد أن ظهرت لي كل تصرفاته بشكل واضح أشعر الآن شعور الشفقة بالنسبة ، بل بالأحرى الشفقة الممزوجة بالازدراء ، شعوراً لم يحقره وحده بل يشملي معه ، حيث شعرت فجأة بأنني مجرد من المقام ومعرض لمنافسة مهينة مع رجل قروي لا يفهم من الحياة سوى مغازلة النساء .

ومن الغرابة أن أقول انه لم يجرؤ على مغازلة زوجتي ، انه فعل ذلك لكنها رفضت . رفضت أن تراه في البيت لقلة اعتبارها له . ولكنه فعل ذلك مرغماً . انه شاهد امرأة حسناء ، وحاول أن يعبر عن إعجابه بها فلم يجد طريقة أفضل من الطريقة التي سلكها . بالحقيقة كان فاسقاً ولم يكن هناك ما يبرر عمله ، بل ان هذه الاحتكاكات التي قام بها والاندفاع الجنسي الذي ظهر عليه تثبت حقارته .

ان عواطفه تطنى عليه ، كما هو الحال في الفتيان المراهقين مع انه في الأربعين من العمر . ومن المعروف ان الرجل في مثل هذه تكون غريزته الجنسية قد ركنت . ولكنه مجرد فاسق

سيطرت عليه بعض الفرائز فأصبح لديه حساسية سريعة

لا تقاوم .
www.library4arab.com/vb

سرحت في تفكيري شوطاً بعيداً، فبدأ لي بعد ان فكرت في جوانب متعددة انه رغم كل الاشياء المفروضة والمتعلقة به لم يكن يائساً أبداً ، وإنما رضي عن وضعه رضاً تاماً ، وكأنه حارب ضد هذا الوضع ولكن الرغبة تغلبت عليه وأرغمته الى المثول امام الأمر الواقع .

ان ميلي الى اعتبار « انطونيو » لا علاقة له بهذه الاتهامات التي نسبت اليه وإنما هو متأت عن أمانتي وخوفي من طرده ، وهذا الشأن يسبب لي إزعاجاً لأنه إذا ما حصل ذلك فسأرغم على الخلاقة بيدي ، وهذا في منتهى الصعوبة بالنسبة لي .
ولو صح ذلك لم أكن على حذر منه . فقد حلت الامر بإيجابية تامة وذلك بأن نسيت الروابط ما بين الايجابية والسلبية .

لأروي غروري تصنعت براءة « انطونيو » مع شعوري بالشفقة والازدراء بالنسبة له ؛ أضف الى ذلك ما أصابني من ردة فعل لصدمة زوجتي المبالغ بها ، وهنا أرى من الانصاف ألا أنكر الحقيقة فلو كنت غيوراً حسوداً لقضيت منذ اللحظة على كل دافع للحسد ، وعلى كل فإنا لست حسوداً ، وعلى الأقل لا أنكر في اني كذلك . وأنا مصمم على أن أزيل كل عاطفة تستبد بالتفكير والتأمل ، ان هذه الطريقة جميلة

www.library4arab.com/vb

ومحبة بالنسبة لي حيث تتصافر القوى الضمنية لردع قوى
الطغيان والناسي التي تسببها .

بعد أن انتهى حديثي مع « انجلو » ذهبت كالمادة أنا
وزوجتي نلتزه ، حيث نركن الى الراحة بعض الوقت وهكذا
انطلقنا في المرج الفسيح نطلق العنان للتفكير ليسير بعمق ،
ليستقصي الحقيقة ، ويبرزها بوضوح ، كوضوح مناظر الطبيعة
الجميلة .

والآن ولأول مرة أشعر بتجرد من كل عامل يشدني الى ذاتي
وأزمنت أن أخبر زوجتي بما علمته عن « انطونيو » ولكنني
ترددت في الأمر لأنني كنت متأكداً من انني إذا ما فعلت
ذلك ، اضرمت بها من جديد وبصورة أشد لهيب غضبها الذي
خمد الآن ، ولكن مع هذا كان ضميري يؤنبني . وقلت لها
بالنهاية . في وقت كانت تبدو فيه شاردة . ربما مازلت تفكرين
بان علي « انطونيو » أن يطلب منك المذرة وإذا كنت
لا تقبلين بهذا سأتخلص منه عما أعتقد لو أنها هي طلبت مني
ذلك في هذه المرة لأرضيتها لأن كبريائي قد تحطمت . ولم
أعد أثق بانطونيو بعد ما ظهر لي من تصرفاته ما ظهر ، ولا
حاجة للدفاع عنه بعد هذا كله . وفجأة رأيتها ترتجف .
فأعجبت . ما هذا يا الله ... ؟ هل هي تفكر بالحلاق ... ؟

- لا .. لا . الحقيقة قد نسيت كل شيء عنه .
- ولكن اذا كنت تريدني مني طرده سأفعل ذلك ...

أصررت على هذا ، وكان المشجع لي عدم مباليتها بالأمر ،

والشعور بأن أقوم باقتراح لا يستحق الرفض .

- لا أريدك أن تفعل هذا ..

- الأمر لا يهمني مطلقاً ..

- ما دام ان الامر يخصني فأنا أعتبره كأنه أمر لم

يحدث ..

- أتعرفين ، لقد كنت أفكر ..

- ان هذا الامر يهيك وحدك .. قالت ذلك مفكرة ،

وأضافت : والسبب في ذلك هو انك انت الوحيد الذي

يتحسب أو يفكر بمجيئه الى هنا .

- كي أقول الحق فالأمر سيان عندي ..

- حسناً ، إذا لماذا تريد التخلص منه .. ؟

كنت مسروراً بجوابها المنطقي ، ولكنني كنت أحس

بخيبة أمل بالغة . ولكن حظي في هذه الفترة دفعني لارضاء

الفريزة المتزايدة ، وهذا ما جعلني أخفق في تحليل العوامل

النفسية التي ظهرت عليّ جلية .

وفي اليوم التالي جاء « انطونيو » كعادته . وقد لاحظت

بدهشة عظيمة ان سحره الزائد ا يزيد قول « انجلو » بل ما

زال كما كان على طبيعته السابقة .. السر الذي كنت على حذر

منه قبل معرفتي شيئاً عنه ، عاش الآن معي بعد معرفتي كل

شيء . هذا السر أعيد الى منطقة أقل اتساعاً وانتهى كل
شيء . الفكر الذي راودني هو ان هذا السر كان كأي سر
آخر يمكن ان يكون عظيماً وصغيراً . ويمكن شرح كل شيء
عنه ما عدا وجوده .

www.library4arab.com/vb

هكذا كانت الايام تمر سراعاً ، وأنا اناظر على عملي بحزم وقوة ، تتزايد عزمي كلما اقتربت من النهاية ، نهاية عملي الذي بدأت منذ فترة طويلة .

وهكذا استمر « انطونيو » بمجيئه إلي ليحلق لي ذقني كل صباح .

في هذه الايام ، بعد أن خرجت من الضائقة النفسية ، أخذت أراقب « انطونيو » .. أراقبه مراقبة المكشف الذي يحاول معرفة الحقيقة .. وشعرت انه أصبح بيننا رابطة متينة ، من الممكن انها تمكنت نتيجة معارضي لاقتراح زوجتي بطرده خارجاً . واني من هذه الناحية ، وجدت ان علاقة جديدة متينة قد ظهرت ، وإنني أجد صعوبة بالغة فيما لو حاولت شرح أسباب هذه العلاقة . في بداية الامر كان بيني وبين « انطونيو » العلاقة العادية التي تنشأ بين الرئيس والمرؤوس . وبعد اتهامات زوجتي ، فان هذه الرابطة عدلت أو بالأحرى تغيرت ، فالرئيس ، أو بتعبير آخر صاحب الثلاثة ، كان شرفه قد تعرض لمهاجمة المرؤوس ، أو على الاقل كان قد اعتقد ان

شرفه قد تعرّض للتجربة . وقد كانت التجربة موجهة من
المرؤوس ، والمرؤوس هو المهاجم ، ولكن هاتين العلاقتين
كانتا مجرد اتفاق ، سار أول الامر على حالة من الاتكالية
والسلطة المشار اليها بإعطاء وأخذ الاجور ، وعلى رابطة
أخرى لا تقل أهمية . عندما اقترحت عليّ زوجتي
ان عليّ استبدال « انطونيو » وهنا من الواجب أن أرضى
بأحد العرضين دون أن أربط بينها وبين العوامل الاساسية
للقصة ، ولكنني رفضت اقتراحها . ولم تخبر « انطونيو »
بالامر .

بعد هذا شعرت ، نتيجة لرفض اقتراح زوجتي ، انه
نشأت علاقة جديدة بيني وبينه أكثر واقعية ، لأنها تأمست
على حالة سائدة ، وليست على حالة متوقعة . هذه الرابطة لا
يمكن تحليلها ولا تعريفها ، لنحصل على نتائج ايجابية لها .

لقد شعرت انني رفضت أن اسلك كما يسلك أي فرد
آخر - كرئيس وزوج - فقد أفسحت المجال لكل أنواع
الامكانيات لتسير الى مجراها الحقيقي ، بعيداً عن الاتفاقات
التي أوجدناها ، أنفسنا . فبدل ذلك لقد اقترحت وضماً آخر
على زوجتي ، وهو الوضع الذي يسوده المظهر اللائق الخارجي
عوضاً عن الوضع الذي فرضته زوجتي ، وهذه الحالة جعلت
كل واحد يقوم بدوره على وجه الدقة بشكل حر موق منظم .
ولو لم نتصرف كما تصرفنا لكانت ذاتنا معرضة للتغير ، حسب

أهواء المتحدثين ، ولربما ينسبون لنا أشياء لا تمت الى الحقيقة
بصلة .

هذه الأفكار جعلتني أدرك فوائد المستوى الخلفي
والاصطلاحات الاجتماعية ، والتي هي خارجية ، لكنها
ضرورية لمعرفة الفوضى وإصلاحها . ومن ناحية اخرى ، عرفت
انه عندما تزول المستويات الاخلاقية والاتفاقيات الاجتماعية ،
فالفوضى تعم بالقوة وتركز نفسها على الحاجة الملحة .

بتعبير آخر لو تركنا الحل الذي اقترحتة زوجتي لبعي
حل آخر يمليه الواقع الطبيعي للأحداث الحقيقية . لقد كان
كنهر محصور بين ضفتين اصطناعيتين ، أو سمح بالانتشار
بالنسبة لانحدار وتعرجات الارض ، على كلا الحالين ، ومع
اختلاف الطرق وتعدد الاحداث قد يشكل مجرى خاصاً به
ينفذ من خلاله إلى البحر . ولكن هذا الحل الأخير ، الحل
الطبيعي ، بدى وكان من المستحيل ظهوره ، ولن يظهر ،
(انطونيو) يستمر بالهجي إلى البيت . وبالخلافة لي كما واني
سأنهي عملي . وبعدئذ سنرحل أنا وزوجتي . دون أن أتأكد
من صحة إتهامات زوجتي أستطيع الآن أن أدون هذه
الانطباعات ، بطريقة منظمة ظاهرة ، الحقيقة لم تكن هذه
الانطباعات مجرد أفكاراً ، بل مشاعر غامضة تنشأ عن تغيرات
الزواج ناتجة عن الحزن . الذي احتل مكان عدم أهميتي .
قد يبدو مذهلاً أن أكون قد فكرت أو شعرت بهذه

الطريقة منذ اللحظة الأولى . عندما كان كل شيء يسير على
مراي مني . وعندما كنت عحيي الشبهة مهددة بالصاع .
إنني أرغب بإعادة ما قلته سابقاً أكثر من مرة : لقد
كنت مشغولاً بأهداف أساسية بالنسبة لي وما عدا ذلك فالأمر
سيان لدي ، ومن الطبيعي أنني لم أقلع عن حيي لزوجتي .
ومن البديهي أنني لم أشعر بشعور عادي نحو شرفي ، ولكن
الإبداع . الإبداع العظيم الغريب . هو أنني اقتعلت التسرع ،
ونقلت كل ما يحول بأفكاري على صفحات هذا الكتاب كنت
مشارباً على كتابته .

ولو أن زوجتي بدلاً من اتهام « انطونيو » بعد إحترامه
لها . شرحت لي بأنه كان يسمح موسى الخلاقة بأحدى صفحات
كتابي . لم أدرك جهله وعدم مسؤوليته . وطرده في الحال .
ومن الطبيعي أن مثل هذا الخطأ قابل للدراك السريع ، هناك
مجال للمعذرة أكثر من الخطأ المنسوب إليه . وما الداعي
لعدم إكترائي لما فعل بالنسبة لزوجتي... ؟ هل كنت أخاف
أن أضيع عملي... ؟ من هنا بدأ الغموض . الغموض الذي
أخفق « انجلو » في تحليل كافة صفاته ، والذي استولى عليّ
أكثر منه . إنه سر بعد كل ما قيل ، ورغم كل الأحاديث
لم ندرك الحقيقة بأكملها . فيجب أن نترك قشور الحادث
لنتأمل في أعماقه وفي خفاياه .

أما بالنسبة لزوجتي فلم تعد تأتي إلى غرفتي كعادتها لتجلس
إلى جانبي بينما يخلق لي « انطونيو » ذقني . لكنها كانت

تحتجرت نفسها في غرفتها طيلة الفترة التي يكون فيها
انطونيو في البيت ، إلى أن ينتهي ويمضي راجعاً الى دكانه .
ولكنني كنت أجد صعوبة في مفارقتها . وبدأ لي أنها ما زالت
متعلقة بأفكارها الأولى اولا ترغب في تبديل هذه الأفكار التي
سيطرت على عقلها فهي لا تميل إلى تحويل أفكارها الى ما
يتلاءم وواقعها السابق . لقد سألتها ... ولا أتذكر كيف .
ولا بأي مناسبة . لماذا لم تظهر عند الصباح كعادتها ... ؟
اجابت بسرعة وبدون أي تردد ، وقد بدا عليها الغضب :
انني «يا سلفيو» أشك في ذكائك بعض الأحيان ... فأنا معجبة
بما تقوله :

كيف يمكنني الظهور ... ؟

إن هذا الرجل لم يعاقب على وقاحته ... فإذا ما ظهرت
ثانية ، فسيظن اني ساعته ... ولربما يظن اكثر من ذلك
لكن عندما لا أظهر .. أجعله يفكر أنني أفضل تجنب
الخدعة وبنفس الوقت يفكر أنني لم أخبرك ...

ولا أعرف كيف أجبت . ولكنه من المحتمل أن يفكر
بانك لم تلاحظي ما قام به وهذا ما يجعل الأمر أروا مما هو
عليه . رغم كل ما تقولين ، فإنك لم تفعلي ولم تسمح لي
بعمل أي شيء . وهنا اجابت بهدوء تام :

ولكن الشيء الوحيد الممكن هو أن نظرده منذ اللحظة
الأولى .

أخيراً انبلج الفجر بعد أن كتبت آخر كلمة ، في آخر سطر في نهاية الصفحة الأخيرة . وأتيت الى نهاية الكتاب الذي حملته عصارة أفكاري بشكل قصة شيقة جميلة تتحدث عن حبي لزوجتي ، وحياتنا نحن الاثنين ، ويبدو لي أنني قمت بالواجب ، وقدمت جهداً هائلاً ، وكرست لهذا الهدف وقتاً طويلاً لا حدود له ؛ وبالْحَقِيقَةُ لَقَدْ انساب القلم في يدي قرابة عشرين يوماً تقريباً والصفحات البيضاء في يدي تتحول بين الحين والآخر الى سواد يحمل عصارة أفكاري .. نعم لقد كتبت مائة صفحة ..

لا أعرف كيف انتقلت الى النافذة أحمل الكتاب بيدي ، وبدأت أقلبه بسرعة عظيمة ، بينما الدموع تنهال من عيني بشكل مستمر ، ولا أعلم ما هو سبب هذا البكاء .. الفرح ؟ أم التعب ؟ .. هذا ما لم أستطع تحديده . نعم إنني أقرأ هذه الصفحات ، وكنت على علم من أنها أجود ما حضرت خلال حياتي ، وهذا ما يجعلني أثق في قرارة نفسي بأنني أصبحت جديراً بأن أحيا هذه الحياة بحاضرها ومستقبلها . وما زلت

أقلب الصفحات واحدة بعد واحدة ، وأنظر بامعان إليها
والدموع تتساقط فوق يديّ بغزارة فائقة .

www.library4arab.com/vb

بعد فترة قليلة لاحظت « أنطونيو » يمشي الطريق على
دراجته ؛ فهنا مسحت الدموع من عيني بسرعة بعد أن
وضعت المخطوطة على المقعد . وعلى الفور دخل « أنطونيو »
وبدأ يخلق لي ذقني ، إلى أن انتهى من عمله فانصرف على
الفور .

بعد ذهاب « أنطونيو » دخلت غرفة النوم لأرتدي ثيابي
لكنني بدأت أفكر فيما أنجزته في هذه الأيام الأخيرة .. فيما
مضى كنت أنظر إلى الصفحات التي أكتبها كل يوم ، أما
الآن فأنا أمام القصة بكاملها أداعبها بأفكاري .. بناظري ..
من البداية إلى النهاية .

في هذه اللحظة كنت أتأمل ما كتبت ، أتأمل الصفحات
التي وضعت فيها كل إمكانياتي العقلية وأجهدت نفسي حتى
ظهرت بهذا الشكل . نعم انني مسرور بها مسرور الانسان
المتعب الذي يقصد أن يرى منظرًا جميلاً .

من الطبيعي أنه يسر عندما يصل إلى المكان المقصود ،
لأنه حصل على ما يريد . إنه تعب لكنه حصل في نهاية تعب
على ما يريده ، ولذا نسي التعب وهكذا كنت أنا ، إنما هذه
الأشياء التي أكتبها أنا هي بخلاف ذلك يمكن نزعها ، ولا
www.library4arab.com/vb
يمكن وصفها . وفجأة فتح الباب ، فظهرت زوجتي والغرابة

بادية على وجهها ومنذ لحظة وصولها صرخت قائلة : يا الله ...
ماذا تفعل ...؟ الغذاء جاهز وأنا أنتظرلك منذ ثلاثة أرباع
الساعة .

في هذه اللحظة كنت جالساً على السرير. أغرق في تفكير عميق ، وما زلت أرتدي ثياب النوم . وثيابي إلى جانبي على الكرسي حيث وضعتها عندما استسلمت إلى النوم في الليلة السابقة . نظرت إلى الساعة في يدي ، إن « انطونيو » ترك المنزل حوالي الساعة الواحدة إلا ربماً . والساعة الآن تقارب الثانية ، لقد قضيت فترة تزيد على الساعة ، وأنا جالس على السرير . أحمل إحد جوربي في يدي بينما الثاني في رجلي ، وهنا التفت بسرعة زائدة وقلت متأسفاً : لا أعلم كيف حصل ذلك معي ... إنني سأحضر بالحال . وبسرعة فائقة ارتديت ثيابي . ونزلت إلى الطابق الأرضي حيث تنتظرني زوجتي ..

ومن الطبيعي أنني ركنت إلى الهدوء والاستقرار ، وزال عني الحماس بأكمله ، ولكن الأفكار لم تبرح ذاكرتي وأكثرها يحول حول الماضي وأحاديثه . فهنا تذكرت أنني وعدت زوجتي بأن أقرأ لها القصة عند نهايتها ، لأنني كنت أثق بها ثقة عظيمة ولا غرابة في أن أقول بأنني كنت أثق بها أكثر من ثقتي بـاي أديب أو ناقد ، كما سبق لي وتحدثت سابقاً ...
لم تكن زوجتي متعلمة ولا تعرف الأمور الأدبية ، ورغبتها في الأدب كانت كـرغبة إنسان عادي يهتم كثيراً بالحقائق أكثر

من الأسلوب . وعلت أن حكمها لا يمكن الوقوف عليه
بشكل دقيق فهو يقع بين الجهل والمعرفة . مع أنها ذكية ،
ذكية للغاية ، بها الإحساس الجميل . وعلى المدى الطويل ليس
بمقدورها الحجز ، لأسباب متعددة تنشأ عند الكاتب المهني .
إن حكمها ، لم يكن نقداً ليعطيني فكرة عن القيمة الأدبية
للقصة ، لكنها كانت تساعدني لمعرفة مدى حيوية الكتاب .
هل هو حيوي أم لا ... ؟ بالإضافة إلى هذا كما هي الحال
بالنسبة لأي كتاب مهما كان نوعه . إن السؤال الأول يدور
حول حيويته ككل . مع أنه يوجد كتب غير كاملة وبنائها
رديء . وبدون ترتيب ومع ذلك فهي حيوية . تقرأها وترغب
في مطالعتها دوماً . ويوجد كتب مرتبة وكاملة التفاصيل ومع
ذلك فهي غير مشهورة ، ولا لها جمهور من القراء ، والتي
رغم كمالها لا تعرف كيف نعمل بها ولذلك نرفضها كلياً .
هذا هو معتقدي بعد مضي عدة سنوات . سأقرأ وأشتغل
كناقد . لذلك أول ما ما أريد هو معرفة ما إذا كان كتابي
حيوياً أو لا . وليس لي هناك من يؤكد لي هنا أكثر من
زوجتي .

عليّ أن أقول انني جهزت نفسي لهذه التجربة ، والتي
لسبب ما اعتبرتها ذات أهمية بالغة وهدوء كامل للعقل . كان
ما زال عندي شكوك في التكامل الأدبي لقصتي ، وليس
لتكرار قراءتي لها إنما بأخذي الانطباع الذي كتبته وبسرعة
بالنسبة للحيوية لم يكن بها أدنى شك .

لو لم تتلاش مشاعر البؤس بالحنجل ، بالجهد ، بالنقص ،
بعدم الاتقان ، بالثرثرة التي كانت تؤلمني طيلة حياتي ، وما
زالت حتى الآن ، والتي ساقنتني في النهاية للنفور ، كلما حاولت
الكتابة . لو لم تتلاش هذه الأمور بسرعة لنجحت أكثر في
كتابة قصتي . لو لم أتروا في الأمور لكنت استنفذت كل ما
في صدري في لحظة واحدة ، ولو لم ينضب كل ما يراود فكري
لما تقهرت بهذه السهولة ، مثلي في ذلك كمثلي جدول ماء
صغير ، بينما أرغب في أن أكون كنهر شق طريقه بسهولة
لغزارة مياه الطوفان . لولا كل هذا لم أكن أشعر بأنني كنت
أعكس شخصيتي بما أكتب ، هل كان كل ما كتبه حول
شخصيتي ؟ .. البحوث الأخرى قادتني لمواجهة النتائج بهدوء ،
وذلك لأن محور الكتابة كان يدور حول زوجتي .

لقد خيل إلي أنه يوجد هناك صعوبة أخرى في المخطوطة
مع أنها ليست عنيفة ولا معقدة . فقد عثرت على بعض
النواقص والحواشي بين أسطرها ، وهذا ما يجعل قراءتها مملة
ومضجرة .

قد يحدث أنه كان عليّ في بعض النقاط التوقف لفحصها
لكي أضيف إلى المعنى ما ينقصه . وهكذا كنت أقطع جمال
المسود الذي كنت أتمنى ألا ينقطع بل يستمر ، وربما حصل
بسبب السرعة في بداية المسودة أن بعض التفاصيل وبعض
الآراء ظهرت لي أنها قريبة النهاية .

فيا نحن ننتقل من مكان الى آخر أنا و « ليدا » قاصدين
النزهة في المرح الفسح، وفي أثناء الطريق كنا نتداول الحديث
حول قراءة القصة . ولكنني صممت أن لا أقرأها إلا بعد
عشرة أيام ، أي بعد طبعتها .

بعد أن نسختها وجدت فيها أخطاء عديدة عملت على
تصحيحها . وهناك بعض النواقص فعلت على تلافئها ، وفي
الاسلوب حذفتم كل ما هو بال ، وأضفت ما يليق بالمكان ،
وهكذا استمرت عشرة أيام أنسخها وأصححها الى أن اقتنعت
في الأخير بجودتها .

كان لدي آلة طباعة أحضرتها معي من روما ، وكانت ما
تزال جديدة لأنني لم أستعملها إلا في كتابة بعض الرسائل
والموضوعات بمناسبة خاصة أو أثناء العمل ، وكانت هذه
الآلة أميركية ومن أجود وأدق الآلات الممكنة إيجادها ،
ومزاياها ممتازة .

خلال أيام تعطلي عن العمل ، كان يطنى عليّ الشعور
بالمراة والفشل ، كنت مجرد واحد من هؤلاء الاغنياء الذين
يملكون كل شيء : الوقت ، الراحة ، المال ، أقلام حبر ، آلة
للطباعة ، كل ما يحتاجون اليه .. لكنهم كانوا يفتقرون الى
عامل الابداع ، إذا ما مرت نكتة عابرة في أذهانهم
سيطبعونها من أولها إلى آخرها ، ويكونون أشد تأثراً بها
من أي كتاب آخر . ولكن الاحساس المرير بالعقم الذي

اعتراني بسبب آلة الكتابة الجميلة ، وكل وسائل الراحة الاخرى
في متناول يدي . لكنني أنا الذي أوجدت هذه الأشياء ،
فحياتي حياة إبداع وخلق ، أو على الاقل حياة من يفكر
بالابداع .

بعد الظهر ذهبت لأتفحص آلة الكتابة وأتأكد من صحتها،
وفجأة تبسّين لي انني تركت ورق الآلة الكاتبة في روما ،
وتأكدت انه لا مجال لأبحث عن هذا النوع من الورق في
القرية . وفي الحال قررت أن أذهب إلى البلدة وأشتري أوراقاً
حيث كان يوجد هناك كان قرطاسية يمد كافة المكاتب المجاورة
بما تحتاج اليه من أدوات الكتابة . ولكنني وجدت ان من
المستحيل الذهاب في نفس اليوم حيث كان يوجد في القرية
عربة واحدة يجرها حصان واحد مضت منذ الصباح إلى البلدة
ولا تستطيع العودة إلا عند المساء . وهكذا حكم عليّ أن
أتأخر في الذهاب إلى البلدة في اليوم الثاني . وفي المساء أخبرت
زوجتي بالرحلة التي سأقوم بها إلى البلدة في الصباح الباكر
لأتسوّق بعض الاغراض ، دون تفصيل ما سأشتري .. أما
بالنسبة لي فقد فكرت انها ستطلب مرافقتي لتتخلص من
الوحدة في البيت ، وكنت مزمماً على أن أقول لها ان العربة
صغيرة ولا يوجد فيها مكان متسع ، ولكنها لم تعلق أهمية
على كل هذا الأمر . حتى ولم تسألني عن المصروف الاساسي
لرحلتي ، ولكنها بعد لحظة سألت : ولكن متى ستعود ؟

فأجبتها حالاً : عند الظهر على ما أعتقد ..

وهنا رقت هادئة وثابتة حديثها : ماذا سأفعل لو جاء الحلاق ؟ ..

فكرت قليلاً ثم قلت : طبيعي اني سأعود قبل مجيئه .. وإن حدث بالصدفة وتأخرت ، فاطلي منه الانتظار ريثما أحضر .

لقد قلت هذا الجواب لأنني كنت أكره أن أتعامل مع حلاقي البلدة لأنهم سيستمعون لذقني أمواس زبائنهم . أما بالنسبة « لأنطونيو » فلم يحضر معي أي شيء ، فكل الأدوات المطلوبة كنت اشتريها .

لم تقل شيئاً : وتركنا الحديث لموضوع آخر . لا علاقة له بما كنا نتحدث عن الحلاق .

والآن بعد أن انتهى عملي شعرت بحبي لزوجتي ، يراودني بقوة عظيمة ولربما يكون أكثر من السابق . أو بتعبير آخر كنت أحبها كل الوقت لكنني خلال فترة كتابة القصة أزلت معالم الحب . كنا نجلس كالعادة إلى الطاولة في غرفة الطعام و « ليدا » كالعادة في لباس السهرة . ترتدي حلتها اللطيفة البيضاء . وهي بهذا اللباس ، أقرب ما تكون إلى فتية اليونان . وكانت تزين بالجواهر في أصابع يديها ، وفي عنقها ، وفي أذنيها ، وكلها جواهر ذات قيمة مينة . تعكس عن وجهها نور المصباح فيزداد جمالاً . إن وجهها كان منسقاً وجميلاً وشعرها كان مزين

www.Library4arab.com/vb
وشعرها مزيناً ومصفاً على أحدث طريقة . لا على الطريقة
التي صنفه بها - انطونيو - إن وجهها التحييف الطويل بدأ لي
يختلف عما كان عليه في السابق ، إن هذا الترتيب يقلل من
إنحداره . فشعرها المسترسل الجميل ، أحدث منظراً يختلف
عن المنظر الذي اعتدت عليه . لقد تلاشى جمالها نوعاً ما .
ومال وجهها إلى الإصفرار . إن نظرتها اللطيفة قد تغيرت
فتحولت إلى نظرة عنف وإحساس مصطنع . ولم يعد وجهها
يجماله المهود . أين هي اليوم مما كانت عليه في الماضي أين
شعورها المتماوج ؟ أين نظرتها السائحة التي كانت تظهر
على عينيها الزرقاوين . . . ؟

أين الابتسامة التي كانت لا تفارق فاهها . . . ؟ لقد تجردت
من كل هذه الصفات لذا بدت أكثر واقعية . إن مظهرها
يشبه مظهر حفيدة « بانخوس » تذكر في تواريخ اليونان
القدامية . وزخرفتهم وتعابيرهم الغامضة . فوق جباههم .
أو كمنظر جانبي لعنزة سام بن نوح . ولتؤكد هذا المظهر
زوجتي وعند حادثة « انطونيو » وضعت فوق كتفها وعلى
الجهة اليسرى من شعرها ، باقة من الزهور الحمراء الغضة الجميلة .
وبعد أن نظرت إليها ملياً قلت :

www.Library4arab.com/vb
ألم تعلمي . أنك ظهرت لأول مرة يجمال ملموس عندما
صنف انطونيو لك شرك . لقد وجدت أن هذا الزي الذي
أعطاه انطونيو لشرك يناسبك جداً . . . اني الآن لاحظت
هذا .

إنها عبرت عن ألم عميق عندما سمعت ترداد كلمة الحلاق
إنها أصيبت بنوع من التفكير العميق وأطرقت إلى الأرض .
بينما كانت تدير يديها الجميلتين . اللتين تحملان أظافر حمراء
كالياقوت . وبين أظافرها الجميلة بدت السعادة على ضوء المصباح
كأنها قطعة من ماسة هائلة صوب إليها بصبص من النور .
ولكنها قالت بهدوء إن فكرة تصفيف شعري هكذا لم تكن
فكرة «انطونيو» لكنها فكرتي أنا

كل ما عمله هو ما كنت أمره به ... فالتفت بغرابة ...
كيف تفكرين به ... ؟

كنت أصفف شعري هكذا وأنا ما زلت عذراء ، أي
منذ عدة سنوات ثم أضافت إن تصفيفه بهذا الشكل يناسب
النساء الشابات أو ... وقعت حديثها الإبتسامة . ثم تابعت بعد
أن فرغت من الضحك - المتوسطات العمر مثلي .

- ماذا تقصدين بالمتوسطات العمر ... ؟ لا تتلفظي بمثل
هذا ثانية إنها لغباوة ، إن هذه الزهور تناسبك تماماً ...
وهنا دخلت الخادمة فلذنا بالسكوت بعد أن تركنا الغرفة
وضعت شوكتي وسكيني على الطاولة ، وقلت : إنك شبيهة
بإنسان آخر ...

- بل إنك دائماً بنفس الشخصية ، ولكنك بمظهر جديد
كل مرة أشاهد من جمالك ما يعجبني أكثر من المرة الأولى . ثم
أنحيت قليلاً وقلت إنك جميلة يا ليدا ربما اكون قد

نست هذه الحقيقة بين الحين والآخر ولكن ستأتي لحظة
أنا كد من حي الجنوبي لك

لقد أطرقت دون أن تجيب ... وراقبت تعابير وجهها لم
يبدُ عليها دلائل الاحتكار . لقد بدت عليها دلائل الرضى .
وزال من وجهها كل ما يشير إلى الغضب . كانت بهذه الطريقة
تقبل المديح المقبول . وهذا ما كنت أعرفه عنها . وفجأة
اعتراني اضطراب حب لا يوصف . وعلى الفور وضعت يدي
على يدها ، وهمست : أعطيني قبلة .

- لكنها رفعت عينيها ، ونظرت إلي ، وسألت ببساطة .
هل انهيت عملك ؟

- لا ، لقد كذبت ، لكنني لا أستطيع ان أراك . دون
أن تفيض مشاعري . إني أحبك أحب أن أقبلك . وليكن
مصير عملي إلى جهنم .

عندما قلت ذلك سحبتها من ذرعها فأتكأت إلى الأمام
وقاومتني عابسة ، وبشكل جدي مفر . وقالت بصوت يفيض
بالحب . إنك أحتمى ثم نظرت إلي فجاء واعطتني القبلة .

إنني طلبتها منها بسرعة وإيجاز لكنها مليئة بالوقار . لقد
قبلنا بعضنا البعض بشوق غريب . دافعين شفاهنا إلى بعضنا
بعضاً بعنف . لقد كانت كقمة شاين ذكين . على خبرة بالحب .
تلاشت فرحتها بالعصبية لأنها لم يعرف أن يعبرا عنها . وأنا
كذلك بالقبلة العابرة التي أختطفها من شفي زوجتي . وشعرت

في هذه اللحظة كأنني عدت لطفولتي أو كأنني كنت أتوقع
خطراً مفاجئاً .

بعد هذه القبة وعلى الفور نضالنا ثانية وكأنا طفلان ،
هي هادئة رصينة ، وكذلك أنا . الخادمة لم تأت . وقابعت
نظرتي لزوجتي وأنا أضحك منها ومن نفسي . ثم ربت على
يدها وهذا جعلها تشك في الأمر . فسألت لماذا تضحك ... ؟
آسف قلت أنني لا أضحك عليك ... إنني أضحك لأنني سعيد .
أطرقت إلى الأرض ثم قالت : لصوت ودي هادىء .

بينما قابعت تناول الطعام . سألت : ما السبب الذي يجعلك
سعيداً لهذه الدرجة ... ؟

- هنا لم أستطع المقاومة فقلت : لأنها أول مرة أفال
فيها ما أريد والأكثر من هذا - هو شيء عزيز للغاية - عرفت
أنني حصلت على كل ما أريد :
- ما الذي أردته ... ؟

- كنت أطمح منذ سنوات خلت لأحب امرأة ، وهي
تحبني بدورها .

- حسناً ... الآن أنا أحبك وانت تحبني على ما أعتقد
- أليس كذلك نعم

- منذ سنوات كنت أفكر في ان أكتب شيئاً يخلد ...
شيئاً جيداً ... أدياً جيداً . الآن بعد أن أنيت القصد أستطيع
القول بأنني كتبت شيئاً جيداً أيضاً .

لقد قررت أن لا اتكلم عن القصة لزوجتي إلا عندما

أنتهي من نسخها . إننا لسادة سروري . لم استطع أن أقوم

فزلق لساني وأشارت إلى أن القصة انتهت . ولكنها علقّت على

الفور . على ما قلت فذهلت ، مع أنها تحبني وتسرت تماماً بكل

ما أعمل . . . وهل انتهت . . . ؟ صرخت بصوت عال . تريد

الاستفسار بفرح وبهجة لا حدود لهما . وكررت سؤالها .

وهل انتهت القصة . . ؟ وهنا شعرت وكأن صوتها قد سحرني

– آه يا سلفيو – ولم تخبرني بشيء . . . !

– لم أخبرك عنها بشيء ، قلت : لقد أنتهيت لكنني ما

زلت بحاجة إلى الطباعة . . إلى . . الطباعة . . ! طباعة

المخطوطة . . . !! أنتهي منها عندما أنهي الطباعة . . قالت

هذا لا يهم : . لقد أنتهيت وهذه لحظة خالدة . . يجب أن

نشرب نخب كتابك . .

إن تصرفها كان بسحر ، بعاطفة قوية . لقد حدقت إلي

بعينها الزرقاوين .

وكانها تريد أن تقول لي إنها تريد أن تعانقني . وبيد

مرتجفة صبت الخمر بكأسين فوق الطاولة وشربنا نخب

الكتاب . ثم قالت بصوت ضعيف فائرة الي . شربت

ورأيها تشرب ثم أتولت كأسها وانكأّت عليّ تقدم شفيتها .

إن هذه القبلة ، كانت قبلة طويلة وحنينية تحمل كل معاني الحب .

وما ان انتهينا منها إلا والخادمة تنظر إلينا ، وتسند نفسها إلى الخزانة . والصينية بيدها .

www.library4arab.com/vb

وهنا ناديت «حنا» لي تأتي وتشرب معنا الحمر وتشاركنا الفرحة . وقالت زوجتي ، بطبيعتها الرقيقة : إنه يوم عظيم . وأضافت تقول يا سلفيو ناول (حنة) هذه الكأس من الحمر . ثم تابعت قولها : اقتربي يا حنة واشربي نخب «السنبور سلفيو» وعلى الفور تقدمت حنة فوضعت الصينية على خزانة أدوات المائدة . واقتربت ، وتناولت الكأس . وشربت الكأس . ثم أن زوجتي بنفس الطريقة الطبيعية التي اعتادت أن تسلكها عادت للأكل مرة ثانية . واستمرت تسألني ببساطة عن عملي . وسألت في هذه المرة . هل أنت متأكد من أنك كتبت شيئاً حسناً . . ؟

- نعم بكل تأكيد . . واستطيع ان أوكد ذلك أكثر من أي شخص آخر لأنني لست بناقد يبرم نفسه من النقد لهذا فأنا متأكد تماماً . ولو لم يكن ذلك لقلت الحقيقة .

هنا أجابت زوجتي : لا أستطيع أن أعبر لك عن سروري ، أنا مسرورة للغاية ثم تابعت قولها بعد أن مكنت لفترة قصيرة ثم وضعت يدها على يدي ونظرت إلى وجهي . على الفور رفعت يدها وقبلتها . .

www.library4arab.com/vb

شكرت زوجتي لترحيبها بناً انتمائي من كتاب «الدمعة» والتي بها أظهرت لي ثانية ، كأنها مصدر حي وإلهامي الذي

حفظته لي كينبوع لا ينضب منه الماء . إن فرح زوجتي بما
كتبت يملني أشعر وكأنني مثل أسكرتة الحرة ، مع أنني
كنت أعتقد أن نقدها لم يكن إلا مجرد نقد موجه من ناقد ،
لم يكن على جانب من الأهمية ، وكنت على ثقة بأن الكتبة
وحتى السفسطائيين منهم يسرون على هذه الطريقة ، ولو مرة
في حياتهم وفي بداية عملهم ؛ في الفترة التي يأملون بها النجاح .
والكاتب في بداية عمله الأدبي يكون معرضاً لنقد كتاب قدامى
عملوا في الفن الأدبي ؛ فهو أمام عدة آراء ، ولربما تحدد
له نجاحاً أو فشلاً . وعندما انتهيت من الطعام وذهبت إلى
غرفة الاستقبال حيث تبعتني زوجتي وهي أمامي تصب لي
القهوة ..

لا أتذكر تفاصيل ما حدث تلك الليلة ؛ كما أن الانسان لا
يتذكر وجوه الناس وتعبير وجوههم عندما يريق النور يبهر
كل فرد بنظره الصاخبة . إنني أتذكر أنني كنت متحمساً ،
فرحاً ، مأخوذاً ، وأتذكر أنني كنت أتحدث عن مستقبلي
ومستقبلها . ثم شرحت لها كيف كتبت القصة ، لقد تناولت
نفسى وزوجتي كشخصيتين رئيسيتين في كتابة قصتي . ويدور
محور القصة حول موضوع زواجنا . وحللت المادة التي استعملتها
كما وضعت التغيرات والعمق التي أدخلتها إلى قصتي ، أيضاً
ذكرت بعض التغيرات ، وذكرى بعض الكتب الشهيرة مقارنة
إياها بما كتبت أنا متبعاً الطريقة التي نهجها الكتاب الأسبقون

دائماً عملي بحديث منقول بين الحين والآخر ، وأعمل في نفس الوقت على خلق أفكار جديدة .

www.Library4arab.com/vb

بالنهاية أخذت يدي إلى المكتبة وأخذت منها كتاباً شعرياً وبدأت أقرأ بصوت عال بعض القصائد لمؤلفين حديثين ، بينما كانت زوجتي تجلس على الأريكة وتضع رجلاً فوق الأخرى ، وببيدها سيجارة تلتقطها بين أصابعها وتعبث بدخانها من حين لآخر . لقد تمثلت فيها كل صفات الجمال بينما هي تجلس وأنا أقرأ وأراقبها . نعم إنها جميلة وأي جمال يقارن بجمالها ، وبينما هي على هذا الحال كنت أراقبها . انها تتصرف كل تصرفاتها بعاطفة جياشة تبقى ثابتة كما ثبت هذا الجمال الفتان . نعم إن زوجتي كالذهب لا تتغير ولا تتبدل . حفظت كل ما لديها من لطف وطهارة وجمال حتى أنهيت القصة ، بعزلة في مكتب كمكاتب القرن التاسع عشر ، ضم جميع أنواع الأثاث القديم في منطقة ريفية صعبة المسلك .. وفي الوقت المناسب أطفأت النور وأطبقت كتاب الشعر الذي كنت أقرأ فيه .

- في هذه المنطقة كثيراً ما كان الناس ما يلجأون إلى إطفاء المصابيح ؛ لأن هذه الفترة كانت تلاثم وقت قطاف الزيتون ، والناس يعملون على عصره لهذا السبب حولوا التيار الكهربائي إلى المعاصر . في الظلام بدأت أتلمس الطريق حتى وصلت إلى الناقد المظلمة على الفسحة الصخرية ، وفي الحال فتحتها . وأول ما استرعى انتباهي هو ضوء القمر الجميل

الذي عكس أشعته على الأرض فأضاء بشكل واضح. وتبدت لي الطريق وأوراق الأشجار والفسحة الصخرية ، ولم يبق ما يستره الظلام حتى كأنني في وضوح النهار . والشمس تنتشر على الأرض . وهنا وقفت صامتاً متأملاً . . وفجأة شمعت بشيء داخلي يدفعني إلى البحث عن القمر لأراه في حلقة الجميلة ، ولكن عبثاً ما كان أحاوله لقد كانت ظلال الأشجار. تنتصب دون عائقاً وتمنع الضوء من الوصول إلى الناظر .

وأخذت أراقب ، وأراقب ، إنني بشوق لأرى القمر . نعم لم أكن لأتحرك إلا بعد أن أراه ، سأقع عليه مها كلفني ذلك من مراقبة . وقطع تفكيري فجأة . ها أنا أنظر إلى الرابية الواقعة خلف المدينة القديمة . فأرى شظية فضية جميلة تبعث نوراً أبيض ناصعاً من وراء الرابية إنه القمر ؛ ظهر منه هذا القسم الصغير. وبقي ما بقي مستتراً وراء الرابية. ولكن لم يبق كما بدا لي في أول نظرة أنها أخذ يرتفع في السماء شيئاً فشيئاً إلى أن بدا واضحاً بأكمله ؛ إن القدرة الطبيعية الكامنة رسمت له هذا الشكل من المسير فجعلته يسير بما لا شيء إلى أن بلغ أوج عظيمته ، وما هذا إلا لتزداد تعلقاً به وشوقاً إليه.

إن أشعته كانت تنبعث إلى الأرض بشكل عمودي ، ويقع قسم منها على أسوار المدينة القديمة فيزيدها جمالا وروعة ، ولكن كثيراً ما يحدث تقطع في هذه الأشعة بسبب سحابة تمر تحت القمر فتحجب نوره وتمنعه من الوصول إلى الأرض ،

وفجأة تحمل الرياح السحابة فتعود أشعة القمر إلى طبيعتها السابقة ؛ وهذا أشبه ما يكون بجحاة من الجنود يحرسون المدينة القديمة ويقفون على أسوارها فترة تمر سحابة فتحجبهم وينقطعون عن عملهم ولكنهم يعودون عندما يزول العائق إلى عملهم السابق . ونسيت نفسي على هذه الحالة أراقب أشعة القمر وانتشارها على أسوار المدينة القديمة الذي أوحى لي بأجل الصور ، وفجأة قطع تفكيري صوت زوجتي التي ظلت جالسة على المقعد تنتظرني . وأخيراً ملت الانتظار وجاءت لتقول لي : لا حاجة للتفكير ، لقد حان وقت النوم ، وأن لنا أن نركن إلى مضاجعنا .. لقد مضى الشطر الأكبر من الليل ..

من الممكن أن يكون هذا مجرد اقتراح أن نذهب للفراش وننام ، لكنني ظننتها دعوة حب لأنني كنت واقعاً بحيرة فكرية ، ليس بإمكانني تحديد مضمون دعوة زوجتي على وجه الدقة . وبعد فترة قصيرة من الزمن التفت إليها وقلت : إن القمر جميل وينشر أشعته على الأرض فكأن الطبيعة مضاءة بنور الصباح الجميل .

- لماذا لا تفكر في نزهة قصيرة في هذا الهدوء ؟ ..

بدون أي كلمة أطاعتني زوجتي وخرجنا من ظلام الغرفة ،

وكانت ممروراً بهذه المواقف العظيمة منها ، وخرجنا إلى

الساحة الصخرية أمام البيت .

لقد ساد الطبيعة السكون العميق ، وكأنا في ليلة من ليالي الخريف . لم تسمع أصوات حشرات الصيف ، إذ استسلمت للسكينة وحق السنة المقبلة ، حتى أن الكلبين المستلقين في أطراف الحقل كنا ينظران إلى بعضها بعضاً بسكون دون أي حركة ، إن نظرتيها كانت تفيض بالعاطفة الصادقة لنا . وكنا يحرسان البيت والحديقة بأمانة وإخلاص .

سرتنا على الطريق متقاربين من بعضنا بعضاً نتلمس أماكن الضوء التي استطاعت أشعة القمر أن تصل منها إلى الأرض من خلال جذوع الأشجار .

في هذه اللحظة وضعت ذراعي تحت إبط (ليدا) وطوقت خصرها بيدي . فأنكأت على يدي بحنان ورقة ، وبدون أمر للعاطفة . وكان حركاتي هذه بدت تنبعث عن اللاشعور . وهكذا تابعنا سيرنا على الطريق ونحن نتمسك ببعضنا ويلتف حولنا من الجانبين صفان من الأشجار الجميلة التي انعطفت أغصانها على جانبي الطريق ، وتبعثت أوراقها ، هنا وهناك . وقد استطعنا أن نرى هذا على ضوء صغير كقبس من نور انتشر من القمر ووصل إلى الأرض من خلال أغصان الأشجار .

سرتنا على طول الطريق وعلى مسافة قصيرة من بوابة الحديقة . ثم تحولنا إلى آخر بيلك بين صفين من أشجار الصفصاف ، وخلف هذه الأشجار . يبدو السهل القسيح يتبسّط على مد النظر .

وفي آخر الممر كان الناظر يستطيع أن يرى الفراغ المضاء
بأشعة القمر ، ومن هذه النقطة يتمكن الانسان أن يرى الممر
بأكمله .

وعلى طول الطريق كانت زوجتي تعتمد على ذراعي ،
فشعرت بنعومة خصرها من خلال الثوب ، وفي نهاية الممر
حولنا سيرنا إلى طريق تفصل المنتزه عن الحقول ، حيث كان
المنتزه يتصل بنهاية طبيعية بالحقول . وكانت الأشجار الاخيرة
تمتد أغصانها عبر الطريق ، حتى أول صف من أشجار الكرم
على مسافة أبعد ، وعلى قمة التلة كانت تتربع المزارع ، وتنتشر
على جدرانها القديمة تحت أشعة القمر باناقة وجمال بالغين ،
وكانت الطريق تفصل طرف المنتزه الواسع عن المزرعة الواقعة
على التلة المحاطة بسهل تقع عليه بيادر وثلاث أكوام كبيرة من
القمح .

وتابعنا سيرنا ببطء وأشجار المنتزه الجميل تلفنا من ناحية
بينما غطت الأعشاب الناحية الاخرى حتى وصلنا إلى بيوت
المزرعة ومررنا بينها قاصدين البيادر ، ثم أخذت أنظر إلى
أكوام القمح ، فكانت إحدى هذه الاكوام كبيرة جدا وقد
امتلات بالقمح سنابلها ذات اللون الأصفر ، بينما كانت الكومة
الثانية بنية اللون ، والقمح الموجود فيها يدل على انها قديمة
أكثر من الثالثة ، أما الكومة الثالثة فقد أساطت بعمود
طويل ولم يبق منها إلا القليل القليل يحيط بالعمود كالدائرة .

وانتشرت أشعة القمر على العمود بشكل يخيل للناظر معه

www.Library4Arab.com/vb

والآن اقتربنا من الكتل الثلاث وأصبحنا نراها بوضوح لأن
المسافة أصبحت تتلاءم مع ضوء القمر المنتشر ؛ وبنظرة عابرة
إلى هذه الأشجار المصطف بعضها إلى جانب البعض يدرك
الناظر ضخامة هذه الأشجار فينسى طبيعتها الحقيقية ؛ هكذا
أوحى إليّ بتفكير غامض لا يفارقني أبداً . لقد ثبت لي ان
هذه الاشجار السامقة الضخمة باقية من عهد قبائل « آل
رويدس » ، وهي منتشرة على مسافات واسعة في سهول فرنسا
وانكلترا . عندئذ قلت لزوجتي ان هذه الكومات الثلاث من
القمح التي ظهرت تحت ضوء القمر الساطع ذكرتني بمناظر
بريطانيا ، وتابعت أشرح لها طقوس الأوثان الذين كانوا يختفون
في الهياكل : هياكل ما قبل التاريخ ؛ ولم أدر ما هو هذا
الدافع الذي حذى الرغبة في رغب المشقات فحاولت الصعود
إلى البيادر وأنا لا أدري ما إذا كان الدافع هو أن أقوم بالغرام
مع زوجتي على القمح . ومن الطبيعي أن نركن إلى الراحة
بهذا الوضع . وبنفس الوقت ، فكرت بالعودة للحب مع
زوجتي ، كما كنا نتعاطاه فيما مضى فترة أول زواجنا ، وهنا
وقفت لأقول بصدق وأمانة ، وإني إذ أقول ، أقول الحق .
أجل ان هذه الذكريات خللت مني أديباً وبعثت في روح
الإقدام وجعلتني أكتب أدباً أثار فيه بكل نبضة من نبضات

قلبي ؛ على أية حال كنت مشتاقاً جداً إلى « ليدا » وفكرت
بمبارسة الحب مستنشقين هذا الهواء الطلق ، وما أحلاها من
ذكريات والقمر في أوج عظمته ينشر على الأرض أشعته ..
وهكذا حدث ما توقعت مع انه من الغرابة أن يحدث لرجل
بسيط لا يمت إلى الثقافة بصلة .

هكذا سعدنا إلى البيادر، وتمتعنا بالمناظر الجميلة التي يمكن ان نشاهدها هناك . ومازلنا يمسك أحدها الآخر ، وظللنا نسير على أعشاب المنحدر الناعمة . حتى وصلنا المنحدر حيث وقفنا صامتين نحدق بمناظر الطبيعة : وقد امتد السهل الواسع امامنا على مدي النظر بينما انتشرت اشعة القمر على نباتاته ، فظهر كل شيء بوضوح ، السهول التي تعطىها الفاكهة، والسهول القاحلة ، والحقول المزروعة بالكرمة وقد تركزت اشعته على بعض المزارع فغطتها باللون الفضي، وعلى الأفق صف من الجبال السوداء . كونت خطأ واضحاً بين الأرض والسماء ، وفجأة سمعت هماً يأتي من بعيد وخيل إلي كأنه صوت قطار يأتي من بعيد بين المزارع والحقول في وسط هذا الريف الهادىء المتواضع الجميل .

وحدقت زوجتي بهذه المناظر الخلابة وكأنها تريد إدراك عفتها وسكونها . بدأت احدها بصوت خافت . مشيراً إلى احد الأماكن الجميلة ، وإلى منظر آخر في السهل المنبسط امامنا مأخوذاً يجمال الليل، وكنت في هذه الأثناء قد أعدت

يدي إلى خصرها مرة ثانية ، ومشينا إلى الجهة الثانية حيث
تركنا الجبل الشامق خلفنا ، وأخذنا ننظر إلى جدران المدينة
من قفنا . واقتربنا من كومة القمح على الأرض هناك ، وكان
القمح منتشراً حيث كان أبناء الفلاحين يلعبون أثناء النهار ،
وفجأة عانقتها بانفداع شديد هامساً في أذنها: أليس من الأفضل
هناك .. على ما أعتقد أفضل من غرفتنا .. وبينما أتحدث
إليها حاولت بها كي تنبسط على القمح بلطف .

ونظرت إليّ بعينيها الساحرتين الزرقاوين نظرة إغراء ،
وقالت بلطف : لا يا حبيبي القمح قدر .. بالإضافة إلى أنه
خشن .. قد يؤدي إلى إتلاف حلتي ..
- وما تمك الحلة ؟ ..

- إن عملك ما زال طويلاً .. قالت هذا بفتور مفاجيء ؛
لم أكن أنتظرها إلى هذه الدرجة . ثم تابعت قائلة : هل
انتهى كتابك ؟ .. في اليوم الذي قفني فيه نأتي إلى هنا
بالليل .. هل هذا جميل .. ؟

- لا .. ، ليس جميلاً ، قد لا يتوفر لنا القمر مثل اليوم
لا أظن أنني رأيت أجمل من هذه الليلة ..

تابعت بتردد دعني أذهب (يا سلفيو) وهنا تركت يدي
وهربت بسرعة ، تعدو إلى التلة وهي تضحك ، وكانت إبتسامتها
جميلة عديدة تبيض بالفراغ والأحراء بنفس الوقت ، فأسرعت
خلفها .. إنها رفضت رفضاً لطيفاً ، به كل معاني الحب

والإخلاص ، وقابعت سيرها راكضة أمامي على المر والمنتزه .
إنما أسكنت بها بسرعة وأخذتها بين ذراعي في هذه اللحظة
شعرت أن ابتسامتها والقبلات التي أقتطفتها من فيها كانت
كافية لردع رغبتني ، ومشيت إلى جانبها ماسكاً يدها بثبات .
ونور القمر ينتشر أمامنا ونحن نمشي متشابكي اليدين . . .
إن هذه المطاردة فيما بيننا عندما ركضت زوجتي عائدة
وركضت وراءها . دليل غرام صادق أكثر من العناق الذي
رفضته (ليدا) على البيادر وقابعتنا سيرنا حتى وصلنا أمام البيت
بين أشجار الحديقة ، في هذه اللحظة شعرنا بحاجة إلى الضوء .
لأن نور القمر لم يستطيع أن يعبر إلينا من كثافة الأشجار ،
ولكن في الوقت المناسب انتشر علينا نور الكهروباء من النافذة
التي كانت ذات مظهر جميل خلاب دخلنا البيت وصعدنا
بسرعة ، بيننا سارت أمامي زوجتي وأنا أرسم خطاها على
الدرج وقد استمتعت بمنظر جسدها الذي ظهر واضحاً بيننا
كانت ترتقي الدرج على ارتفاع مني مع أنه لم يظهر لي بالجمال
الذي عهدته فيه منذ فترة خلت . وعندما جلسنا في (البهو)
قالت مازحة والعاطفة تفيض على لسانها . إنه عملك وبعده
سندهب إلى البيادر ؛ وعلى الفور قبلت يدها ودخلت غرفتي
واستسلمت للكبرى على الفور . . .

في اليوم الثاني شعرت بفرح وغبطة بالذين . حتى بلغت
قمة سروري ، وتركت زوجتي نائمة . وركبت عربة (إنجلو)

وسرنا نحو البلدة ، وفي اثناء الطريق . ربما شعر (انجلو) أن
الواجب يدعوه لأن يحدثني ، عن وضع الريف ، ولكنني لا
أفكر فيما يقول وتركته يترددون أن أصغي إليه . حيث
كنت أشعر بأنني شارد بأفكاري ومشاعري . وسارت العربة
على الطريق العامة ، حيث تنتشر أشعة الشمس .

وكان هواء الخريف يمر على وجوهنا لطيفاً ناعماً . وكنت
أتأمل منظر الريف العاري من كل مظاهر الجمال الذي يبعث
على الحزن .

نعم إن كل ما في الكون قد تغير . . فأين الورود ، وأين
العصافير بل أين اشعة الشمس المحرقة ؟ إنها مضت مع الربيع
والصيف ولم يبق لنا من الخريف إلا تساقط الأوراق . واسراب
السنونو تمر مودعة . كل ما في الطبيعة كان ظاهراً بالنسبة لي
حتى أدق التفاصيل . واسترعى نظري ورقة حمراء تسبح مع
الهواء تركت غصن أمها الكرمة ، بعد أن ودعتها الوداع
الأخير ، وعلى جوانب الحقول كان الهواء يسوق امامه الأوراق
المتساقطة ويجمعها أكواماً اكداساً . وكانت النوافذ موصدة
وكل شيء قد تبدل . وفجأة لفت إنتباهي على جانب الطريق
حفيف اجنحة إنها (قبرة) في رحلة قصيرة ثم هبطت للراحة
بجانب تلة في حقل عار . والتلة تردد صدى الحديث . حديث
الفلاحين وصدى ضربات قلوبهم . هرعوا جميعاً يزدعون
القمح في الحقول الواسعة . وكان القرميد الذي يغطي بنايات

www.library4arab.com/vb

القرية كان مغطى بالطحالب الصفراء الذهبية .
في القرية كنيسة صغيرة ، إلى جانبها شجرة كبيرة من
البلوط تساقطت أوراقها وثمراتها على الكنيسة لقد كنت
مسروراً بهذه المناظر . حتى كان من المستحيل أن تمحى من
تفكيري وستبقى في مخيلتي ما دمت على قيد الحياة .

بعد أن قطعنا مسافة طويلة في السهل ، أختزلت الطريق
منحدر الجبل . وتابعت إرتفاعها باستمرار . واستمرت العربة
في السير . بينما كنت اراقب الجدران القديمة المرتفعة في قمة
الجبل . كانت بقية المنظر مع أنها كانت تتلألأ بضوء الشمس
وللحال شعرت بسرور بالغ يسيطر علي وكان هذه الجدران
هي منبع هذا السرور . الحقيقة ليست الرحلة القصيرة كانت
دافع سروري ولكن الدافع هو أنني صعدت العربة باتزان ،
وعندما نظرت إلى الجدران وجدت نفسي قد تغيرت عما
كنت . بل كتلة من الأفكار العابرة المتشابكة . والمشاعر
الفياضة أنتابني بهذا الوقت . فأنا الآن أقف أمام عاصفة من
التفكير تجعلني أثبت في الطريق إلى الأمام ، حيث تصور لي
أني أمام الأبطال القدماء والمفكرين العظماء الذين عملوا لمنفعة
الإنسانية بأكملها ، ووجدت أنه كان لزاماً علي أن أثار واعملي
بكل عزيمة ونشاط ، إذ قد يكتب لي النجاح وتكرس
عصارة تفكيري بين الآثار القديمة ولربما يكتب لي الخلود بعد
موتي ، لأن خلود الانسان بما تركه من أشياء قيمة ، وبما قدمه

للعالم وطلبت من الله أن يمدني بيد المساعدة والعون، لكي أقدم
إلى العالم أشياء خالدة كخلود أسوار المدينة القديمة التي كنت
أراقبها في هذه اللحظة.

وبعد لحظة من الاستغراق بالتفكير العميق . حول أبطال
الماضي الغابر وقفت أشتم هذا اليوم الموافق للسابع والعشرين
من شهر تشرين الأول لسنة ألف وتسعمائة وسبع وثلاثين ،
لأنني قد حملت فيه حملاً ذهبياً ، أموت والأمل يرافقني إلى
القبر . وما زال يتردد في أذني وقع حوافر الخيل وهي ترتقي
التلة . وراودني شعور بالفتنة الساحرة ، في هذا اليوم لذا شرحت
كل تفاصيله بجلاء . وقد وجدت فيه نوعاً من الإنذار بالبشر .
وعلى هذا الأمل . حملت إلى القارىء تفاصيل هذا اليوم الذي
أحسبه فاتحة حياة شاقّة تكتنفها المصاعب من كل جانب
بالنسبة لي .

وما زلنا نتابع السير بالعربة أنا وانجلو حتى بلغنا البلدة .
وكانت أبنيتها مزينة بمواد بناء تستعمل في البناء الإيطالي
وبقناطر يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى ، بدت ذهبية
اللون تحت ضوء الشمس . وشاهدنا الفلاحين وهم يقودون الحمير
وبأيديهم السلال يسرون على مسافة مناء . لقد كان يوماً كباقي
الأيام . وما هي سوى لحظات حتى وصلنا إلى المدخل .
وهنا الزاد أعجابني عندما تابعنا سيرنا في شارع متعذر بين
صفين من المنازل . وما إن أتينا إلى نهايته حتى ترجلت على

تقدمي طالباً من (انجلو) أن يقابلني بعد ساعة . ثم ذهبت
ابحث عن الأوراق التي أحتاجها . وكان الحانوت الذي أفكر
به بعيداً ؛ فكان من الصعب علي إيجادها . وبعد عشاء
طويل وصلت إلى الحانوت . وما كان أشد دهشتي حين وجدته
فارغاً من الأوراق التي أحتاجها ، لكنني وجدت أوراقاً
مزدوجة . فأجبرت على شراء مائة ورقة منها ، على أن أقسم
كل واحدة إلى اثنتين عند الاستعمال . وبعدئذ أخذت رزمة
الأوراق من المكتبة حيث وضعتها تحت إبطي وذهبت إلى
أحد المقاهي وكان هذا المقهى قديماً ومظلماً وقدرأ يوجد على
بعض رفوفه بعض أدوات مبهمة ، وقد خلا المقهى من الزبائن .
وبعد فترة قصيرة تركت المقهى وعدت إلى الساحة العامة
وهناك دخلت إلى مكتبة تباع فيها الجرائد واخذت اراقب
ما عرض من الجرائد والمجلات ، وبعدئذ بدأت أركز إنتباهي
على الجرائد الإقتصادية المعروضة هناك ، وبعد هذا اشتريت
جريدة الصباح ؛ ثم أخذتها معي وذهبت إلى ساحة البلدية
حيث بدأت أطلعها ، وأنا على مقعد حجري تحت الاكمام
المطوية للعائلات العريقة والحلقات الحديدية لربط الخيل .
وقد ألم بي الحزن لأنني كنت قد قلت لـ (انجلو) أن يتأخر
بالمجيء لمدة ساعة ، لكن في النتيجة عزيت نفسي بقولي : له
ما يفعل ، وعلي "انتظاره" .

كانت الساحة غير منظمة ومحاطة بقصور يرجع عهداها إلى

العصور الوسطى ، منها تعرض لأشعة الشمس ، أما القسم الآخر فمظلل لا تنفذ اليه اشعة الشمس. وكانت في شبه مهجورة تقريباً . فادراً ما كنت أشاهد إنساناً يمر بها . والسبب في ذلك يرجع إلى أن هذا اليوم لم يكن يوم تسوق ولهذا السبب اقفرت من الناس تقريباً . ولقد انقضت عليّ فترة ساعة من الإنتظار لم أشاهد فيها أكثر من عشرة أشخاص ، أكثرهم من الكهنة .

قرأت الجريدة بالتفصيل ، ومع هذا لم أكن متضايقاً ما دام عملي قد سار كما يرغب له من التوفيق والنجاح ؛ إنني لم أبدأ الطباعة هذا اليوم لذا شعرت بهدوء تام ؛ وراحة تامة . وعندما انتهيت من قراءة الجريدة بدأت أراقب أصحاب المتاجر يعملون في متاجرهم حول الساحة ، وفي هذه الأثناء ارتفعت الشمس في السماء وتلاشى الظل إلى قاعدة الصخور . وأصبحت الشمس تغمر الساحة بأكملها . وعندئذ انتصف النهار . وقرعت أجراس الدير للصلاة فهرع الناس إلى الصلاة وعمت الحركة كل المدينة ، وهنا وجدت أن عليّ أن أتحرك كغيري من الناس ، وهكذا ذهبت إلى حديقة عامة كنت اتوقع أن أجد فيها (انجلو) ، وبالواقع صح ما توقعت وقد وجدته غارقاً في الحديث مع المواطنين ، وفي الحال قفلنا راجعين من البلدة إلى قريتنا الجميلة .

وفيما نحن عائدون ، بدأت أفكر أفكاراً غريبة ربما بسبب

عبد الذي تعرضت له في هذا اليوم ، وتكاثر علي الأفكار
رجة لم أكن أتوقعها . وكنت علي ما أذكر كنت أفكر بالناشر
ي أفضله لنشر الكتاب ، وبالغلاف الذي اختاره له .
لناقد الذي سيفضله ومن سيكتب بتقريظه . ومن يكتب
جريمه . وكنت أفكر علاوة علي هذا كله بزواجتي (ليدا) ،
لمت في نفسي إنني في منتهى السعادة لأنني وجدتها ، وربما
ول مرة عند زواجنا . كنت أتحسب لكل عامل يدخل
علاقتنا مع بعضنا بعضاً أو يحاول خلق المشاكل فيما بيننا .
كنت أتمنى من كل قلبي أن تتوثق اواصر الرابطة التي تجمعنا
بانه وتماسكاً . كنت أخاف المصائب لأن حياتي بأكملها
تمددت علي مشاعرها بالنسبة لي وشعوري نحوها . كيف
مكن أن يتغير كل شيء . . . ؟ كيف يمكن فقدانها . . . ؟ ولم الحياة
دها ؟ فمن المحتمل إذا ما ألمت أي كارثة بزواجنا أن تؤدي
ياتي أو علي الأصح بحياتي وحياتها معاً .

يا الله . . . ! ما هذا . . . ؟ لقد تأملت لهذه الأفكار ، لدرجة
أتمكن أن أتحمل بعدها العذاب ، شعرت بنفسي أنني أشرفت
على الإختناق . وكان قلبي يخفق سريعاً . فعرفت بعد هذا
عبد الذي بيننا وتأكدت من متانة الرابطة التي تشدني إليها .
كيف أنه ليس بإمكانني العيش بدونها . عرفت أنني بامتلاكها
ي . أمتلك كل ما أرتعب ، فهي كل ما أريد وبدونها لا
ستطيع الحياة ، وعندما تخيلت نفسي بعيداً عنها شعرت بأني

ضعيف لا أملك القوة ، وتصورت نفسي من أكثر الناس
ضعفاً ، وفجأة شعرت بحزن عميق لدرجة لم أستطع تحمله
بعدها .

ومع أن الشمس كانت حارة شعرت بنفسني وكأنني في
رعشة غريبة كالتي تحدث لي أيام الشتاء ، وكانت تتناوبني من
أخمص قدمي ، حتى قمة رأسي وامتلات عينايا بالدموع وبدأت
أبكي بكاء مريراً كالمرأة الثكلى ، التي أصيبت بوحيدها .
وبدون وعي أو أي تفكير ، أمرت «انجلو» بالإسراع . فضرب
حصانه . وصرخت بعنف رحماك يا الله . . . أألن نصل قبل
المساء إلى البيت ؟ . . .

لكن لحسن الحظ وصلنا إلى منطقة سهلة من الطريق ،
وشعر الحصان بقربه من القرية ، فأخذ يقفز بسرعة شديدة .
وأخذت أراقب الطريق بقلق متشوقاً للوصول إلى البيت
بأقصر وقت ممكن لأنني متشوقاً لمشاهدة «ليدا» والإطمئنان
إلى راحتها . هل هي كما تركتها ؟ ألم يصبها أي شيء . . ؟
في هذا الوقت وصلنا إلى أول السهل الفسيح ، وقابعنا سيرنا
حتى بلغنا البيت عندئذ تراجلت من العربية ، ودخلت الحديقة .
وكانت مغطاة بأشعة الشمس . وعلى عتبة النافذة دخلت الشمس
كالعادة وكأنها كانت تنتظرنني هناك لسنوات خلت . إنه
شاهد لا يمكن تصديقه ؛ كانت ليديا ترتدي ثوباً جميلاً فاتح
اللون ، وبيدها كتاب تقرأ فيه بينما كانت تنتظرنني في الصالون .

تاركة النافذة مفتوحة . وعندما سمعت صوت احتكاك العجلات

العربية على منحور الطريق عرجت لاستقبالى . واقفت العربية

فقفزت منها . وبعدها وصلت إلى الأرض بدأ السلام . وبعد

أن انتهينا من السلام دخلنا إلى البيت ، وبينما هي تسير ورائي

وتتبعني قالت لي : منذ زمن طويل جاء الحلاق . إنه

بانتظارك في الطابق العلوي . فسألته ملتفتاً . . - كم الساعة

الآن . . ؟ - بعد الظهر فأجبت لقد كان خطأ « انجلو » وفي

الحال سأذهب لأحلق ذقني .

أنزل حالاً . . لم تقل شيئاً ، لكنها ذهبت للحديقة . وأسرعت

للطابق العلوي فخطينا أربع درجات في كل مرة . ثم دخلت

غرفة الدرس . حيث كان انطونيو بجانب الطاولة ، التي عليها

شفرات الحلاقة ، لقد رحب بي بأمناء . وأضاف قوله مردداً

تحية الصباح . فقلت له بسرعة جنونية : اسرع يا انطونيو . . .

لقد تأخرنا أسرع قدر ما تستطيع ، ورميت بنفسي على

الكرسي . .

عرفت أنني كنت مسرعاً بسبب الجوع ، ومن الصباح

الباكر لم أذق طعم الطعام . إلا فنجاناً من القهوة . ولشدة

الجوع شعرت بألم في معدتي ودوار في رأسي . والجوع جلب

لي معه نوعاً من العصية ظهر واضحاً عندما « انطونيو » بدأ

يربط لي المنشفة ببطنه المعروف حول عنقي . إلا تستطيع

السرعة . . ؟

فكرت قليلاً ثم أخبرته أنني على عجلة ... أرجوك ان
تسرع .. إن البطء كان يسرني في الماضي أما الآن فبزعجني
لدرجة بالغة . ولكن انطونيوم يسرع بل تابع عمله كعادته .
وهذا ما أغاظني من جديد ولكنني لا أستطيع التكرار
باعتباري قلت له في مرة سابقة . وعندما أدار ظهره وبدأ
بهبز الفرشاة في ماء الصابون الموجود في الإناء الخشبي تابعت
حركاته بعين قلقة اعد الثواني . جوعي يزداد من فترة لأخرى .
وسرعتي تتناسب طردياً مع جوعي ، لذا كانت تتزايد
باستمرار ...

بعد أن انتهى من إذابة الصابون ، وبدأ يغمر وجهي
بالرغوة . وقد كان لا يضاهي بتركيز كتلة من رغوة الصابون
على وجه زبائنه . كتلة من الرغوة البيضاء الكثيفة ، ولكن
في هذا اليوم أغاظتني مهارته وفي كل مرة يدير الفرشاة على
وجهي كنت أعتقد أنها آخر مرة لكنني كنت دوماً على
خطأ . وفي كل مرة كان يلصق على طرف فرشاته قشرة من
الرغوة على وشك أن تسقط . وعندما بدأ «انطونيوم» عمله من
جديد وبنفس الحركة المنتظمة ليغطي وجهي من جديد . لا
أعرف لماذا . لكن فكرة رقودي هناك ، والرغوة تغطي
وجهي أعطتني شعوراً باليأس . والأردأ من هذا كله أن
انطونيوم كان يود انزعاجي ... إن آخر شك كان محزياً وفي
الحال رفضته ، لكن دون أن أظهر أن جوعي أضنانني . في

النهاية تبين لي أن حركة الفرشاة مستمرة فترة أطول من التي
مننت . ولكن بالحال قلت : أسرع . ثم من الوقت تحتاج
لإرغاء وجهي ؟ رأيت انطونيو يلقي علي نظرة سريعة من
عينيه المستديرتين الساطعتين ، ثم ودون أدنى كلمة أنزل الفرشاة
في كأس الحلاقة وتناول الموسيقى .

لكن قبل أن يدير ظهره ، وبعد أن تكلمت ، لم يكن
بإمكانه أن يقاوم ، آخر خفقة على خدي الأيمن . شعرت أن
هذه الحركة منه عدم إطاعة ، لا بل يمكن تسميتها وقاحة .
وهنا تجاوز غضبي حده العادي .

وقف لحظة يشهد الموسيقى ثم انحنى فوقي وبدأ يخلق لي ،
بخفة ومهارة أزاح القسم الأكبر من الرغوة عن خدي الأيمن
ثم انبطح إلى الأمام ، ليبدأ بالخد الأيسر ، وبينما هو يتابع
عمله شد جسمه على ذراعي وأنا لأول مرة منذ بدأ يخلق لي
كنت قلقاً ، من هذا التصرف . وبنفس الوقت لم أستطع
تذكر اتهامات ليدا . لم أكن أشك بها أبداً إنها حقيقة واضحة .
ونتيجة لهذه الشدة التي قام بها على ذراعي وكتفي استطعت
أن أتحمس نعومة القسم الأسفل من معدته ، حتى أنني اشعر
بالأعصاب والعرق مغطاة بشباب داخلية أشك بنظافتها وكل
هذا شعرت أن نفسي تفيض بدافع من الكراهية لهذا الرجل .
وعندئذ استطعت أن أتأكد من مدى كراهية زوجتي له .
كانت هذه الكراهية مستوحاة من تصرفه الذي قد يكون

تصرفاً عفويًا لكنه في النتيجة يمكن أن يسبب نوعاً من
الثوران الجنسي، ويصبح يمارس هذا النوع من الوحشية بدافع
داخلي .

طال بي الصبر منتظراً أن يتحزح عن وضعه المزعج لكنه
لم يتحرك أبداً . وفي هذه اللحظة استطاع غضبي أن يتغلب
على الصبر وبسرعة رجعت إلى الورااء. فشعرت ببرود الموسى .
الذي كان في هذه اللحظة قد نزل على وجهي ، وبالحال استولى
عليّ غضب بالغ بالنسبة لإنطونيو ، ولا أعرف كيف حدث
ذلك ولربما أشك أن اللاشعور قادني إلى هذا التصرف .
هنا وقف انطونيو فجأة مأخوذاً مستغرباً بعد أن سحب
الموسى في يده . وفي الحال وقفت ورفعت يدي إلى وجهي .
فوجدت الدم يتدفق بشكل غزير .. !

– ماذا تفعل أيها الحقير .. ؟

– هل أنت مجنون .. ؟

– لكنك تحركت من مكانك يا سنيور (بالدثشي) .

– أنت تحركت ... أنت تحركت بعنف .

ولكنني قاطعته قائلاً ليس هذا صحيحاً ...

ولكنه أخذ يتقدم مني مستعدراً ، حيث كانت دلائل

الخوف قد بدت عليه ، وأردف يقول : كيف يمكن لي أن
أجرحك لو لم تتحرك .. ؟ صدقني أنك تحركت ، لكن هذا

ليس بالكثير ... إنني في غاية السرور إذا لم يحدث أكثر مما

حدث لأنني توقعت جرحاً خطيراً للغاية ، ثم انتظر لحظة يفكر فيها وذهب إلى الطاولة ، فتح وجاجة صغيرة وأخذ قطنة . ثم بللها بالكحول ، ومع أنني كنت في حالة من الغضب الشديد . أخذت القطنة من يده . وصرخت صرخة قوية .
يا لك من غبي .

– ماذا تعني بقولك إنني كنت أتوقع أن يكون الجرح أعمق .

– إنه جرح بليغ .. وفي الحال أخذت القطنة . وذهبت إلى المرأة . وشعرت بألم شديد من جراء استعمال الكحول ، ودب اليأس في كل أوصالي . وفجأة رفعت قطعة القطن التي كانت قد تلطخت بالدماء . وصرخت : إن هذا ليس بالكثير .. أمتأكد أنت من صحة ما تقول ... ؟ إنك لا تعرف بما تتحدث ... يا انطونيو .

واشرت إلى وجهي قائلاً : انظر هنا ، الأفضل أن تنزل من البيت .

– لكن عليّ قبل كل شيء يا سنيور بلداتشي ان أنني لك الحلاقة ... لا يهم .. !

– اذهب ولا ترني وجهك ثانية .

إنني لا أريد رؤيتك هنا ثانية ألا تفهم ما أقول .. ؟

– لكن يا سنيور بلداتشي ...

- كفاية اذهب ولا تدعني أراك ثانية . أبداً بالمرة ...

اخرج .. ألا تفهم .. ؟

www.library4arab.com/vb

- لا غداً ولا بعد غد.. ولا في أي يوم آخر.. وكفاية..

لا أقول لك أكثر مما قلت ..

وهكذا وقفت أصرخ وسط الغرفة : والمنشفة ما تزال
مربوطة حول عنقي، بعدئذ رأيتة ينحني إنحناء ساخر أتممتاه؛
كما تريد . ثم خرج إلى الباب ومضى ولم أشاهده فيما بعد .
وبينما كنت وحدي انقطع سيلان الدم تدريجياً . فأخذت
المنشفة ومسحت الرغوة . الباقية على وجهي وتملت نفسي
بالمرأة . وهكذا كانت هذه الفترة هي الفاصل الأخير بيني
وبين انطونيو ، وهكذا فصمت الروابط فيما بيننا . وأخيراً
أخذت قطعة من القطن وبللتها بالكحول ، وبدأت أمسح بها
وجهي حيث ظهر فيه الجرح بشكل واضح كبير .

بعد هذا بدأت أفكر في نفسي عن الثورة التي دفعتني إلى
طرده انطونيو . وعرفت أن الجرح كان مجرد وسيلة لطرده
انطونيو الذي أرغبه منذ زمن طويل ، وهكذا طرده بعد
أن أصبح طرده لا يسبب لي ولا لزوجتي أي أذى .

ووقفت بعد أن طردت انطونيو أمام تائب الضمير ، لأنني
كنت منذ البداية اتصرف بدافع الأنانية الداخلية ، وما زلت
على هذه الحال حتى تم عملي فاخترت سبباً لطرده انطونيو .

مع أنني رفضت طلب زوجي لطرده عدة مرات . وهكذا
تأكدت من نفسي ، أن الأثنية تسيطر علي . رجعت في قرارة
نفسي أنني لم أسلك سلوكاً جيداً مع زوجي ، وفي هذه الأثناء
كنت أرتدي ثيابي . وعندما انتهيت نزلت إلى الطابق الأسفل
حيث كانت تنتظري زوجي ، فوجدتها جالسة قرب المائدة
تنتظر حضوري ، وعندما بدأنا تناول الطعام بهدوء ، حق
إذا قاربنا النهاية - قلت لها : أتعلمين يا ليدا أنني طردت
انطونيو ..

- أصبح ما تقول .. ؟

ودون أن ترفع نظرها عن صحنها ، سألتني قائلة : وماذا
ستفعل لتحلق ذقنك .. ؟

- سأحاول الحلاقة بنفسي لعدة أيام لأننا سنترك هذا المكان
بعد فترة قصيرة من الزمن . أليس كذلك .. ؟ ولا أدري
ماذا حصل له اليوم إذ جرحني جرحاً بالغاً .. انظري إلي
وهنا رفعت عينيها بسرعة ونظرت إلى الجرح . وعلى الفور
سألت : هل وضعت مطهراً على الجرح .. ؟

نعم ... لكن تأكدي أن الجرح كان مجرد وسيلة لطرده
انطونيو ، وبالواقع لم أعد أستطع أن أتحمل من تصرفاته أكثر
ما تحملت ، إنك علي حق يا ليدا ..

- وماذا تعني بهذا ... ؟

- لقد جمعت معلومات كافية حول هذا الرجل ، وقد

اخبرني عنه «انجلو» ما فيه الكتابة ، وتأكدت من أنه رجل فاسق . لا يقاوم غريزته . وهو معروف بهذه الصفة بالمنطقة بأسرها ، إنه يلتبع النساء في الشوارع فهو عامل إزعاج بالنسبة لمن . الآن تأكدت من أنك قد تكونين على حق ؛ ومع ذلك ، فقد تذرعت بالجرح لطرده .

لم تقل شيئاً ، فتابعت قولي : إنه غريب لدرجة لا يمكنك أن تتصورها . نعم إن هذا صحيح .. لكن لا أعرف ما رأي النساء به .. إنه كره للغاية ، بل لا يوجد إكره منه .. - هل وجدت الأوراق المطلوبة في البلدة .. ؟

- لا ، ليس بالضبط . ولكن اشترت أوراقاً عوضاً عنها تسد الحاجة . وهنا تبين لي أن موضوع «انطونيو» ، لم يكن على جانب من الأهمية بالنسبة لزوجتي ، لذا غيرت محور الحديث . وتابعنا الحديث عن الكتاب ، اذ سألتني زوجتي متى سأبدأ بالطباعة . فأجبتها قائلاً : أنني سأبدأ بالطباعة اليوم . وسأعمل القسم الأكبر منه هذا اليوم لكي أنتهي منه سريعاً وبأقرب وقت ممكن .

كانت زوجتي في هذه الأثناء ساكنة لا تقوه بكلمة . واستمرت بتناول الطعام باطمئنان ، وتابعنا حديثنا أكثر فأكثر عن كتابي وعن مخططاتي : ثم قلت : سأخصص هذا الكتاب لك ، لأنك لولا حبك لم يكن باستطاعتي كتابته ، وأخذت يدها . وعلى الفور رفعت عينيها وابتمت لي إبتسامة

تفيض بالعاطفة والمحبة الصادقة وقد لمست هذا بنظرها التي
توهي لي بكل معاني الحب والإخلاص . حتى أن الأعمى
يستطيع أن يتأكد من صحة ما أقول : وما زلت أمسك
يدها . لكن حماسي قد هدا في هذه اللحظة وكانت « ليدا »
تبتسم لي . كما تبتسم الأم لطفلها الصغير ، ابتسامة تدل على
المحبة ، ابتسامة تنبعث من القلب ، ابتسامة تدل على الفرح .
إبتسامة الحبيب للحبيب الذي لا يريد إزعاجه . ثم لا تلبث
ان تتكلم بصوت عذب جميل ، يفيض بالرقه ، وتقطعته النهيدات
كصوت الطفل الصغير ، يناجي أمه . عندما أكبر يا أماه
سأعمل على مكافأتك .

وبعد هذا الهدوء ، قالت « ليدا » : وماذا ستكون
المكافأة .. ؟ فأجبت بأرتباك : مها كانت الهدية . سأجدها
بسيطة زهيدة بالنسبة لـ « ليدا » لـ زوجتي .. لماذا ..
- اتريدين إهداء هدية أفضل ...
- لا ، لم اقصد ، أي شيء ...

- من هذه الفترة كانت ليدا تفكر بأشياء أخرى ، بعيدة
كل البعد عن مدى نظرينا . بينما كنت أسحب يدي بلطف من
يدها سرحت في تفكير عميق ؛ وبدأت انظر من خلال الشباك
إلى الأشجار النائمة في الخارج . كنت أفكر أن إنساناً سيقطع
هذا السكون ، لكن لم يحدث ما توقعتم . وظلت صامتة
فترة طويلة حتى ليخيل إلى الناظر أنها كانت تريد أن تظل

صامته سواء بأفكارها ام بلسانها ، أم بشفافها ، ولم تقبل
بأي طريقة لتغير الموقف ، ولكي لا أظهر فشلي حاولت أن أصرخ
فقلت : هل تعلمين أن أجل إهداء من الكاتب هو ما يقدمه
لزوجته .. ؟ سأهديك هذا الكتاب ليخلد حبنا إلى الأبد .
وسأكتب عليه : الى زوجتي . التي لولا وجودها لما استطعت
أن اكتب ما كتبت الآن .

بعد هذا الحديث التفتت إلي مبتسمة لي ابتسامة باهتة .
فأضفت بسرعة ، مع أن الوضع قد تغير .. لم يكن باستطاعتي
كتابته لولا حضورك .

- وفي هذه المرة لم تبتم لذلك ، بل قالت : إذا كنت
لا ترغب في ذلك فلا نضع أي إهداء بالمره .

وظهرت عليّ ملامح الغضب والمرارة ، لأنها بدت تجمع
نفسها بجهد . ثم أخذت يدي ثانية وقالت : يا سلفيو كيف
تتصور أنني لا أريد الإهداء .. ؟ ولكن العزيمة كانت واضحة
هذه المرة . كانت كعزيمة أم لأبنها عندما تعود إليه ثانية بعد
أن تصفعه وهي تقول : إذا كنت تريدن سأصبح جنرالاً ..
فأجابت هي . أنا اريدك هكذا . وأريد أن تربح معارك
ضخمة ، وعظيمة اكثر من هذه التجربة . وشعرت بغضب
كالغضب الذي كنت قد شعرت به (مع انطونيو) والذي
عزيبته للجوع . ووقفت حائرة لأقول : أظن أن حنة أخذت
القهوة سابقاً ولم تعد .

بعدها انتهينا وتركنتي زوجتي ذاهبة إلى غرفتها طلباً للراحة . صعدت إلى غرفة درسي وثبت الآلة على المقعد . لكي أبدأ بالطباعة . بعد ان فتحتها ووضعت الغطاء على الأرض ، ووضعت إلى جانب آلة الطباعة من ناحية اليمين المخطوطة . وإلى يسار الآلة وضعت الصفائح البيض ، وأوراق الكربون ، وبعد أن جهزت العمل على اكمل وجه ، أخذت صحائف بيضاء ، ووضعت بينها صحيفة من الكربون . ووضعتها جميعاً بالآلة ، ومن ثم كتبت العنوان لكن الورقة كانت مائلة ، ولم أرتبها بإحكام ، وبالإضافة إلى ذلك نسيت أن أطبع العنوان بحروف كبيرة ؛ وأخذت الأوراق الثلاث من آلة الطباعة . ووضعت ثلاثاً أخرى هي مكانها . وفي هذه المرة كان العنوان تماماً في الوسط ، لكنني عند التدقيق وجدت أنني قد وضعت ورقة الكربون وجهاً لا ظهراً ، وهكذا تلفت النسختان ، ولم يعد بالإمكان استعمالها ..

غضبت غضباً بالغا ، ومزقت الأوراق من الآلة ثم وضعت أوراقاً غيرها مكانها .. ومع هذا وقعت هذه المرة بغلطين

أو ثلاث وجه التقريب حتى غدا من الصعوبة بمكان أن يقرأ
العنوان. وفعأة أنتابني شعور من الخوف، ونهضت عن الكرسي
وبدأت امشي في الغرفة ، من مكان إلى آخر اراقب
المطبوعات المعلقة على الحائط في الغرفة التي اعمل بها . إنها
مناظر جميلة خلافة ، فعلى هذا الحائط جثم منظر جميل لقلعة
(كميرسي) ومنظر آخر جميل لبلدة (ويمر) ولفت إنتباهي
منظر جميل لعاصفة تمر فوق بحيرة (سناربرغ) بالإضافة إلى
منظر شلالات (الراين) . وكان البيت يسوده الهدوء التام .
فدرفات الشبابيك كانت نصف مفتوحة . ويتسرب من الخارج
إلى الغرفة شعاع ضعيف من النور . وفي الحال شعرت بأرهاق
بالغ ، ونعاس لا أقوى على مقاومته . ولذا تركت المكتب
قاصداً غرفة أخرى أشد ظلمة ، وتمددت هناك على مقعد
خشبي قاسي ، في زاوية من الغرفة أشد ظلمة . وبينما أنا استلقي
بهذا الوضع مددت يدي إلى طاولة تقع إلى جانبي . وأخذت
عنها جلدأ أحمر ومفكرة . لقد كانت المفكرة قديمة يرجع
تاريخها إلى سنة الف وثمانية مائة وستين . إن صاحبها القديم
زين كل صفحة منها بصورة جميلة لمناظر طبيعية تعكس أسلوبهم
القديم للطباعة الذي كنت أبحث عنه في كل مكان . وكانت
هذه المناظر مرسومة بخط شبيه بخط القلم الانكليزي وكتب
إلى جانبا حكم باللغة الفرنسية ونشرت إلى هذه المناظر
وقرأت من الأخبار التي كتبت إلى جانبها ، سواء أ كانت

فكرية أو عاطفية . وفي هذه الأثناء سيطر عليّ النعاس ،
بشكل لا يطاق ، وأخذ التلأوب يتردد عليّ بين اليقظة
والأخرى ، فأعدت الكتاب إلى مكانه على الطاولة واستلقيت
على المقعد ورحت في سبات عميق .

– نمت قرابة ساعة ، وفي أثناء نومي كنت أنهض بين
الحين والآخر . لأراقب المقعد ، والآلة الكاتبة ، وكل الأدوات
التي كنت استعملها . وكانت الأفكار تقودني إلى أنه يجب أن
أعمل . لكنني كنت لا أقوى على العمل وقد ألم بي الومض .
ولكن بالنهاية نهضت من النوم . لم يعد بإمكانني النوم مرة
ثانية في مثل هذا الوقت .

كانت الغرفة مظلمة لدرجة لم أكن أستطيع منها التحرك
من شدة الظلام ، ولكن رغم كل هذا ، تلمست الطريق إلى
النافذة وفتحتها . كان النور منتشرأ ، لكن الشمس مالت
نحو الغروب . وسقط شعاع منها إلى داخل الغرفة . وفي
الحال . ودون أن أفكر بشيء آخر . جلست على المقعد
وبدأت الطباعة .

طبعت صفتين بسرعة عظيمة ، ولكن قبل أن أبدأ بطبع
الصفحة الثالثة ، توقفت عن العمل . وسرحت بتأملات بعيدة

وفي الواقع كنت حزينا ، لأنني عرفت وقرأت كل ما
كتبت خلال بضعة أيام . إن كل ما كتبت لم يكن سوى
كلمات عاطفية ، وتبدو لي أنها بلا معنى ، كلها أجزاء منقطعة

بدون موضوعية ، بيد أنها أجزاء مرصوفة إلى جانب بعضها بعضاً على الصفحات ، ولا يمكنني القول بأنها أكثر من ذلك .

قطع هذا الصمت الرهيب صوت زوجتي مرودة التحية ،
وبعدها قالت بلطف :

– ما رأيك في فنجان من القهوة يا عزيزي ؟

فرحبت بقدمها الذي جمع أفكارى المشتتة ، وبقترحتها الذي عرضت فيه عليّ فنجاناً من القهوة ، ولربما كانت مرسلة إليّ من عالم بعيد لتخلصني من السخافات التي اعتدت عليها خلال كتابتي لأطروحتي .

وهكذا مضت « ليدا » لتحضر لي القهوة ، لكنني تبعتها على الفور إلى الطابق الأسفل ؛ فوجدتها تلبس فستاناً كانت ترتديه أيام نزهاتنا . وكانت القهوة على الطاولة . وتقدمت يجهد إلى الطاولة حيث كنت أشرب بتعب بالغ . وجلست أحسني القهوة ، وفي هذه الأثناء كنت أمارح زوجتي بطريقي الخاصة . وفي أثناء الحديث بدت لي « ليدا » بشوشة فرحة ، لأنها تخلصت من العزلة بوجودي إلى جانبها . وهذا ما سرني جداً ، وبعد أن انتهيت من القهوة . نهضنا من الغرفة ، وخرجنا إلى الباب الخارجي المؤدي إلى الطريق العام ...

وكما قلت سابقاً ، كنت أقوم بنزهاتنا أنا وزوجتي إلى المنطقة المجاورة . وبعد مسير بسيط على الطريق العام سلكننا

طريقاً خاصة كنا قد اعتدنا عليها ، وكنت أنا أسير في
المدائن ولدينا تتبعني ، وحق هذه اللحظة كان عالي وسائر
مشاعري تحت ضغط المرارة والحاجة للفهم الذي أثارته
أطروحتي ، ولقد قمت يجهد بالغ لكي أتوصل إلى القول
الحقيقي ، لكنني مع هذا كله لم أتوصل إلى النجاح بشكل
نهائي ، لكي أزيل التفاهات القديمة التي عرقلت كتابتي
بشكل محسوس .

في هذه الأثناء كنا نتابع سيرنا على طريق تناسب أمامنا
بين المزارع بشكل متعرج ، لكي تمر على هذه المزارع بأكملها .
وأحياناً كانت تمر بين البيادر ، وأحياناً أخرى أمام الأكواخ
المعزولة ، ثم تتعرج بين منطقتين محدودتين ، أو تتجنب
حفرة بالقرب من حديقة خضار ، أو تتعرج مع صف من
أشجار الكرمة على جانب حقل ..

وبينا كنا نسير كنا نتمتع أنظارنا بالمناظر الطبيعية الظاهرة
لمسافة بعيدة ... نعم .. إن الخريف قد كشف كل معائب
الطبيعة . فها هي تبدو عارية جرداء . خالية من كل ما هو
جميل . أين الزهور ؟ أين الفراشات ؟ أين الفتية الذين يمرحون
في الحقول .. ؟ أين النحل التي تجمع الرحيق من الأزهار .. ؟
أين كل هذا .. ؟ لم يبق إلا الأشجار العارية الجرداء .

فأدتنا الطريق إلى جسر قديم ، فوقفنا أمامه بينما تابعت
زوجتي السير أمامي ، وكانت على ما أعتقد ترتدي معطفاً

من القماش الرمادي، مطرزاً بألوان مختلفة منها الأحمر والأخضر والأزرق، والأصفر. عندما كنت أصدق فيها، وهي تسير على مقربة مني، كنت خائفاً، بحيث تبث لي أنها وحدها التي أحببت كلمات أطروحتي. وهي لا تشكل سوى نقطة فراغ واسع. هنا قلت بلطف: «ليدا»، وشعرت أن ما كنت أقوله هو أسخف ما في الوجود، لكن مع هذا تابعت القول: إن إسمي هو «سلفيو بلداتشي»، لقد أحببت امرأة وتزوجت منها اسمها «ليدا». وبعد إن وصلت إلى هنا بحدِيثي، فكرت فيما قلت فوجدت نفسي لم أقل شيئاً بالمرّة.

راودت تفكيري فجأة عدة أفكار، فوجدت أن الطريقة التي يمكن بها أن أتخلص من هذا الجو، هي أن أشد زوجتي من شعرها، وألقي بها على الحجارة الصلبة في الممر. كما أنها هي بالمثل. ترسل لي بضربة من رجلها على قصبة رجلي، وبهذه الطريقة قد يتأزم الخلاف إلى شيء أعظم من هذا وأمزق الأطروحة وألقي بها في النار. وأتخلص بذلك من كل التقصير الموجود فيها.

هذه الأفكار خلقت في داخلي شعوراً جديداً يفيض بالنشاط وهنا وقفت متسائلاً: ألم يكن بالإمكان أن أكون ذاتي...؟ وذاتية الآخرين إلا من خلال الألم...؟ ولكن عزيت نفسي بالمكرة. إن كانت هكذا، وإن لم تكن كما كتبت بالضبط. ويكفيني من زوجتي أنها تحبني وأحبها. وشعوري بالفشل

لا يعتمد على الطريقة التي كتبت بها على ذاتي .

كانت زوجتي تبحث عن مكان تجلس فيه ، لكن هذا الأمر كان شاقاً لأنه لا يوجد مكان في الحقل بدون زراعة . وكل مكان له ما يلائمه . وكل ذر من التراب بها بذرة . وفي النهاية وصلنا إلى وادٍ يسمى « إس » كان يقسم السهل إلى شطرين محدثاً في الوسط بركة بدت كالمرآة الكبيرة . وكانت الضفتان مغطاتين بالعشب . وتنحدران بشكل سريع ، ومياهها كثيفة خضراء ويوجد ضمنها ثلاث أو أربع أشجار من الحور . ومحاطة بمجدران من الاسمنت ، وعلى جوانبها أماكن تدل على انها كانت تستعمل لنشر الملابس . وهذا يعني أنها كانت تستعمل مكاناً للغسيل ، وفي هذا الوقت استلقت « ليدا » على العشب وهي تقول : إن نقطة في هذا الريف الصغير يستفاد منها . أن لا يستعمل أي شيء حولها ...

وظفقتنا نتكلم بهدوء في هذه اللحظة قبل غروب الشمس حيث كان كل ما في الطبيعة قد ركن للهدوء ، وفي مثل هذا الوقت يسمع الصوت لمسافات بعيدة .

واقطعت زوجتي نباتاً صغيراً يؤكل ، وطفقت تأكله بينما كانت ما تزال جالسة على ضفة النهر . وكنت أنظر إلى الظلال . ظلال اشجار الحور المنعكسة على المياه الصافية تحدث أحاديث مختلفة ، ومن جملة ما تحدثناه أنني سألتها عما إذا كانت ترغب في الصعود إلى الجبال في فصل الشتاء .. هنا

بدأت « ليدا » تقص علي قصة حياتها التي حدثت في مصيف جبلي قبل سنتين .

لقد دام أول زواج تزوجته « ليدا » فترة قصيرة ، كما شرحت سابقاً ، ثم مني بالفشل الذريع . وبعدها عاشت فترة طويلة تناهز عشر سنوات لوحدها . وفي هذه الفترة كان لديها كثير من الأحبة ، أخذت تحدثني عنهم بتفصيل وإسهاب دون أن تترك أي غموض في حياتها بالنسبة لي . وكانت متأكدة من أن هذا الأمر لا يهمني كثيراً ، لكن السؤال الذي يراودني هو لماذا تصرفتي زوجتي هكذا ؟ .. لا أدري .. ربما كان ذلك بسبب الغرور ، أو لظروفها الحالية المختلفة التي تحياها ، أنا لا أقول إن هذه القصص أفرحتني ، مع اني توقعتها . وشعرت بدهشة بالغة لم أكن أتوقعها . وهذه الدهشة على ما أتوقع هي ناتجة عن الحساسية التي لم أكن لأتوقعها بي فيما مضى .

أما بالنسبة إلى « ليدا » فانها عندما جلست تمضغ النبتة الصغيرة على ضفة النهر كانت تفكر تفكيراً بعيداً وقد عزلها هذا التفكير عني روحياً ، وجعلها تتحدث معي بطريقة لاشعورية ، وعندما جلست على ضفة الغدير ، كانت عرضة لشعور قوي .

والآن أخذت تعبر عن هذا الإحساس العميق بصوتها الدافئ ، اللين للحساسية ، كانت تحدثني عن أشياء واقعية ، عن أشياء حدثت فعلاً ، وكنت أستمع لها مع أن مجمل ما حدثتني

كان سيئاً بالنسبة لي وحق أن هذا الحديث بالنسبة للرجال
الأخرين من أعني العصبيين منهم قد يسبب كراهية عظيمة .
أما بالنسبة لي فلم تكن كل هذه الأحاديث التي حدثتني بها على
جانب من الأهمية ، فكنت أستمع الى حديثها بكل بساطة ،
فقد حدثتني كيف كانت تسمح أن يتقدم منها الرجل الذي
تريده ، وكيف تسمح لرجل ما بتقبيلها .. وكيف تقضي
أوقاتها مع الرجال .. لقد كان حديثها بالنسبة لي كمنبه
وكجرعة من السم أعطيت إلى مريض خطير فنجى من الموت
وعاد الى الحياة .

لقد أخبرتني « ليدا » عن مغامرة صادفتها في « الألي »
مع شاب ذي شعر أحمر ، وتابعت قولها بهذا الشكل :

- كنت في الجبال في شهر آذار ، أنزل في أحد الفنادق ،
حيث لم يستطع أحد أن يصل إليه إلا نادراً . وفي ذات يوم
وصلت جماعة من الرجال يلبسون في أرجلهم « قباقيب »
التزلج على الثلج ، وفي حال وصولهم إلى أمام الفندق ،
نزعوا القباقيب من أرجلهم ؛ وكأنهم يريدون الدخول إلى
الفندق ، وكان بينهم ضابط شاب ذو وجه أحمر ظهر عليه
النمش وله عينين زرقاوين لا يعتمر قبعة ولا يلبس معطفا .
لكنه يرتدي قمصاً أخضر فاتحاً فقط . وعندما انحنى ليحل
حقيبته رأيت ظهراً يدل على كل معاني الرجولة ، وعندما
وقف ينظر إليّ ونظرت إليه ، فانتابني الخوف من أنه لم

يفهم ماذا أعني بهذه النظرة ، لكن تبين لي أنه فهم علي .
وعلى الفور دخلت الغرفة الرئيسية بالفندق ، حيث وصل هو
مع رفاقه وجلسوا جميعاً إلى طاولة . وقد جلس هو معهم
مولياً ظهره للنافذة ووجهه للغرفة ...

وبعد أن جلست قليلاً من الوقت ذهبت إلى البار وطلبت
كأساً من الشاي ، ثم جلست إلى طاولة مقابلة لطاولتهم ،
لقد كانوا في هذه الأثناء يمازح بعضهم الآخر ويتحدثون .
لقد وقفت كالمجنونة أحاول استرعاء انتباهه إليّ ،
لكنه لم يفعل ذلك ، وقد أخبرني فيما بعد أنه لم يستطع حتى
إلقاء نظرة عابرة نحوي .

لقد اعتقدت أنه لم يلاحظني ، لكنه بالنهاية نظر إليّ
وعندئذ وضعت أصابعي على شفتي وأرسلت قبلة إليه كما تفعل
الطفلة الصغيره .. لقد رأيته أفعل هذا ، ومع ذلك لم يشر
إلى أنه أدرك ما أعنيه .

لقد بدأت أشعر بأنه لم يعجب بي . ولذا خلعت معطفي ،
وتظاهرت بأنني أريد نزع الحزام عن كتفي لأظهر له قسماً
من كتفي ، ولكنني على الفور شعرت بغضب وتركت الغرفة
عائدة إلى مقعدي على ظهر البيت أما هم ، فقد جلسوا فترة
أطول يشربون الخمر ، ثم خرجوا بعدها ليأخذ قباقيب التزلج
وليقلموا أما أنا فقد جالست جالسة بخرقتي .

غابت الشمس . وكنت ما أزال في مكاني منتظرة أوبتهم

ولكن دون أن يتحقق حلمي ، وكنت في هذا الوقت أرتعش
من شدة البرد .

لقد ألم بي القنوط ، وبكيت ما بكيت ، عندها ظهر
فجأة ينزل من أعلى الجبل .

تركت مقعدي وهرعت إلى ملاقاته وأنا أشعر بسعادة
غامرة ، وعندها قال لي : كان علي أن أخترع بضعة أعدار
ومع هذا منهم من لا يصدقون ما أقول ، على كل هذا لا يهم .
هذا ما قاله إلي وكأنني أعرفه منذ وقت طويل .. ولم أجيبه
إذ كنت مسرورة لدرجة لم أستطيع معها الكلام ، وخلق
قباقيب التزلج على مهل ثم أخذته بيده وقده على مهل إلى
غرفتي في الطابق العلوي .

- تصور .. ! حق أنني لا أعرف اسمه .. !

لقد أوردت القصة إيجاز ، كما روتها زوجتي لي ، بعدوبة
صوتها ، بحركاتها الشيقة ، ولعلك تجد فيها من الغرابة ما لم
تسمعه قبل الآن ..

وعندما انتهت من سرد هذه القصة بدى لي أنها كانت
أكثر حيوية من أي إنسان مها كان ، وانني أنا نفسي كنت
بحاجة للتبرين على هذه الحيوية . كان من الواجب علي أن
أخفي بعض الانطباعات التي ظهرت علي بشكل واضح ،
ولكنني مع هذا لم أكن زوجاً يصني بعقل . لتعلقه بحب

زوجته ، بل كنت أشبه ما أكون بتلة من التربة خلصت من
الإذابة إلى تراب ، وذلك بهطول الأمطار في وقتها الصحيح ،
فنظرت إليها وهي تجلس هناك ، شاردة الفكر ، تمضغ نصلة
النبته ، وعرفت هناك أنني لم أعد مهتماً بشعوري بالواقع
المرير .

عدنا ببطء إلى البيت ، وكنت هادئاً سعيداً بقضاء أفضل أوقاتي، وتحدثت أثناء هذه الفسحة إلى زوجتي وناقشتها بكل ثقة بنفسني . وعندما وصلنا إلى البيت كانت الساعة متأخرة عن الوقت المعتاد، ورجعت زوجتي من توها إلى غرفتها لتبدل ملابسها بملابس النوم ، ولتذهب بعد ذلك إلى المطبخ حيث تجلس إلى المائدة لتتناول الطعام ، وفي هذه الفترة وضعت اسطوانة مسجلة بالمذياع ، بأربعة أنغام - وجلسنا على الكنبه فشعرت بفرح غامر وكأنتي بوضع سكري مبهج .

وحالاً عندما بدأت الموسيقى بلحن جهوري جميل . وبمقدمة تتساءل وتجيّب بإيقاع عذب جميل ، خيل إليّ ان وراء الأكمة ما وراءها ، وإن الأمر أكثر من اسئلة واجوبة ، بل أكثر من سؤال من شاب تجيبه شابة بصوتها الرقراق الذي يسحر الأبواب، بل كان هناك وضعان : الأول سلمي ، والثاني إيجابي ، احدهما ممنوح ، والآخر ممدوح .

إن الألحان اوحى بالعلاقة الثابتة خلال الزمن الطويل ، والتي لم تأبه لعصر ، سواء أكان هو العصر الحاضر أم العصر الماضي القديم .

رقصت زوجتي على هذا اللحن ، كما رقص عليه العديد
من الناس في العصور القديمة ، وبينما أنا أسبح بأفكاري لم
أشعر بمرور الوقت ، وقد ذهبت لرؤية (ليدا) فظهر أمامي

بجلتها التي ارتدتها في الليلة الماضية . لقد أوقفت الفوتوغراف
بينما الاسطوانة لم تنتهِ بعد قائلة بجدّة : لا أريد أن اسمعه ..
أنها لا تدري لماذا : بل قالت كل ما أشعر به هو أنني لا أود
سماع الموسيقى هذه الليلة. وبعد أن جلست على حافة الكرسي
سألني بلطف : هل ستبدأ طباعة قصتك هذه الليلة ... ؟

وبعد هذا السؤال نظرت زوجتي إلى المرأة التي كانت في
حقيبتها اليدوية ، ثم أصلحت باقة الزهور الجميلة الموضوعه
بظفائرها ...

أجبتها برضى : نعم سوف أبدأ الطباعة الليلة وسأستمر
بذلك حتى منتصف الليل .. أريد أن أعمل بنشاط كي أتمكن
من اكتمالها خلال بضعة أيام .

وهنا وضعت يدها على شعرها وهي تقول : حتى منتصف
الليل ... ؟ ألا تظن أنك ستشعر بالنعاس ... ؟

- لماذا ... ؟ إنني معتاد على المثابرة على العمل إلى ساعة
متأخرة من الليل ، انني أريد الانتهاء .. وهنا وضعت يدي
حول خصرها النحيل ، وقابعت قولي إنني أريد الانتهاء بسرعة
لا يمكن تكريرس وقني بأكله لك وبعد أن وضعت المرأة
بحقيبتها سألت : لماذا .. ؟ ألا تظن أن العلاقة كما هي الآن

متينة فيما بيننا ؟ ، فأجبت بصوت يفيض بالبرقة : لا ليست

كما أرتب أن تكون .
فأجابت « ليدا » : آه لقد فهمت ، وقفزت واقفة

وبدأت تسير هنا وهناك ، بطريقة تدل على الغضب مما دعاني

إلى الاستفسار : ماذا تعني بهذه الحركة .. ؟ أجابت بصوت

حاد النبرة انني جائعة ... ألا تشعر أنت بالجوع ؟ .

– حقاً، لكنني لا أريد تناول الطعام . لثلا أشعر بالنعاس

على الفور .

– أراك مهتماً بنفسك .. ؟ وهنا غضبت غضباً شديداً

لأنني لم أكن أتوقع سماع هذا القول .

– ماذا تعنين بقولك .. ؟ بدأ سألها بهدوء ولاحظت

أنها أغاظتني ، فوقفت على مقربة مني ثم لمستني برقة لتقول :

آسفة ... إن الإنسان يصبح حزيناً عندما يشعر بالجوع ...

أرجو ألا تعلق أهمية على قولي :

– حق ما تقولين ، بل هو عين الصواب . هنا تذكرت

قول « أنطونيو » : الجوع يجعل الإنسان حزيناً حاد الطبع .

– حسناً ، إلى أي مدى تستحسن هذا الجلباب . ربما

أرادت هنا تحويل نوعية المحادثة ، لأنه كما قلت كان نفس

الجلباب الذي ارتدته في الليلة الماضية . ولقد شاهدته عدة

مرات رغم ذلك قلت مداعباً : حقاً إنه جميل ويلائمك تماماً .

غيري إتجاهك لعلمي أرى بشكل واضح .

لقد استدارت بكل سرور لتريني نفسها . وعلى الفور

لمست بعض التغير . عن الليلة الماضية .

في الليلة الماضية ، كانت تشد خصرها بحزام هو بزي

أميركي مصنوع من الحرير والمطاط . نعم كانت تضع الحزام
لتحتفظ بالزي المناسب لجسما .

- إنني لا أرغب برؤية هذا الحزام أبداً ، لأنه كان ضيقاً

يشد خصرها وكأنه مشد طبي .

لاحظت ان الحزام قد اختفى ، وانها الآن أكثر بدانة

من ذي قبل .. وقلت لها يبدو أنك مرتاحة من استعمال الحزام
الأميركي هذه الليلة .

نظرت إلي نظرة خاطفة ، ثم أجابت . لم أضع هذا

الحزام لأنني ملته ... ولكن كيف لاحظت ذلك ... ؟ في

الليلة الماضية بينما كنت تشدين خصرك به كان واضحاً .

وهنا لم تجاوب « ليدا » ، لأن الخادمة دخلت على الفور

لتخبرنا بأن الطعام كان مهياً ، ودخلنا غرفة الطعام وبدأت

زوجتي الأكل على الفور .

لاحظت أن زوجتي كانت على خلاف مما ادعته ، من انها

لا تحس بالجوع أبداً . لقد صبت القليل من الطعام ، الذي

قدم إليها .

عندما صبت الطعام لنفسي قلت : لقد كنت تشكين من

الجوع ، ومع ذلك لا أراك تقدمين عليه برغبة ، عندما قدم

اليك .

لقد نظرت إليّ بسخط ، وكأنها غضبت كما يبدو عليها من

www.library4arab.com/vb

– لقد كنت على خطأ .. أنا لست أعاني من الجوع .

والواقع ان رؤية الطعام تسبب لي دواراً .

ألست بخير ؟ .. بذا سألتُ بقلق ..

وهنا ترددت قليلاً ثم أجابت مسرعة وبصوت خافت :

أعتقد اني بصحة جيدة لكن ... لكنني لست يجائعة .

لاحظت أن صوتها كان خافتاً متقطعاً ثم صمتت وأخذت

تجوب بشوكتها في أنحاء صحنها ، وتتنهد من أعماق قلبها ،

واضعة يدها على قلبها .

– إنك لا تشعرين بسرور .. قلت هذا خائفاً ، ولكنها

اعترفت على الفور قائلة بصوت خافت وكأنها على وشك الاغماء :

لا ، إنني أشعر بحزن شديد .

– هل تريدن الاستلقاء بعض الوقت ؟ ..

– لا ..

– هل أصرخ للخادمة ؟ ..

– لا .. أعطني بما تشربه ..

وصببت لها بعض الحمرة ، فشربت منها قليلاً مما أعاد اليها

نشاطها ثانية .

www.library4arab.com/vb

وأحصرت الخادمة الفاكية ، لكن « ليدا » لم تأكل منها

شيئاً ، أما أنا فأكلت عنقوداً من العنب ، بينما أخذت تراقبني

كلما رفعت حبة إلى في ؛ ولما انتهيت من أكل العنقود ووضعت

على الأرض قفزت واقفة لتقول : انني ذاهبة للفراش ..
- ألا تريدن بعض القهوة ؟ .. سألتها ذلك وأنا خائف

لأنها كانت في أغلب الأوقات تصرخ بعنف ، كما تبعتها إلى
غرفة الاستقبال .. فأجابت بصوت جهوري قائلة : لا ، لا
أريد القهوة بل أريد النوم ..

كانت تقف على الباب عندما كانت تجيبني بصراوة وقساوة ،
وهي تضع يدها من مقبض الباب .

وطلبت من الخادم إحضار القهوة إلى الطابق العلوي حيث
تبعث زوجتي ، التي فتحت لي الباب . وشقت طريقها إلى
السلم ، فرافقتها ثم قلت لها : الآن أبدأ عملي . فأجابت دون
أن تلتفت نحوي : أما أنا فأنام

- هل أنت متأكدة أنك خالية من إرتفاع في الحرارة .. ؟
ووضعت يدي على جبينها .

ابتعد عني وقالت : انك يا « سولفيو » تخلط دوماً الجد
بالهزل . إنني لست بحاجة طبيعية . وهذا كل ما في الأمر .
ووقفت صامتة والحزن قد ألم بي ، وعندما وصلنا إلى
غرفة النوم أمسكت بيدها ، وكنت أريد تقبيلها ، لكنني
ترددت لأقول لها : أريد أن أطلب منك معروفاً .

www.library4arab.com/vb
- وأي معروفاً . صرخت بصوت شديد الغرابة .

- أريدك أن تأتي إليّ لحظة .

وقلت بارتباك : لتطبعي قبلة على أول صفحة من قصتي ..

وهذا سبب لي السعادة والنجاح .

وضحكت ضحكة طويلة تفيض بالفراشة ، ثم دخلت

بسرعة غرفة الدرس وهي تصرخ : كم أنت خرافي! .. كم أنت

أبله! .. لكن سأقوم بما تشاء ..

أطفأت لها المصباح ، واختفت بالظلام وراء مقعدي .

- أية صفحة؟ .. قل لي أي صفحة تريد أن أقبلها ..

كانت تردد هذا القول كأنها أصيبت بنوع من الحمى العصبية .

اقتربت منها أسلمها أول صفحة ، التي لم يكن عليها سوى

العنوان « الحب والزواج » .

أمسكت الورقة وقرأت العنوان بصوت عال وأعقبت

بتعليق به من التذمر ، لم أدرك سببه ؛ ثم رفعت الورقة إلى

فمها وطبعت عليها قبلة وهي تقول :

- هل أنت راض الآن؟ ..

وتحت العنوان تماماً حملت الصفحة آثار شفافها على شكل

هلالين أحمرين كأوراق الزهر .

فنظرت إليها بنوع من الرضى لأقول أخيراً :

- شكراً يا عزيزتي .. ورفعت يدها وربتت على وجهي

ثم سارت نحو الباب لتقول بسرعة : أرجو لك حظاً سعيداً

بعملك هذا ، ثم التفتت إلي قائلة : أنا ذاهبة للنوم ، انسي

غاية في التعب ، أرجوك ألا تقزع باب غرفتي مهما كان السبب .

إنني أريد أن أتم الآن ولا شيء سواه .. وحق الصباح ..

www.library4arab.com/vb

عندها ..
- حسناً حق الصباح ..

وخرجت تسير نحو الخادمة التي كانت تحمل لي القهوة
وبعد أن ذهبت زوجتي أشعلت سيجارة ، وجلست على مقعدي
وتناولت فنجان القهوة ، ونزعت غطاء الآلة الكاتبة .
الآن ينتابني الهدوء الفكري وبد لا في الفكر الملبد
بالتعب والآراء المتضاربة ، وظهر في عقلي عوضاً عنها أفكار
سليمة صحيحة مضبوطة كالساعة ، بعيدة عن الغرور والتكبر
والخوف . كما وكانت آلة الكتابة سليمة فمكفت على العمل
أملاً في إنهاء كتابتي .

وبينما كنت أدخن ، والسيجارة في فمي . وعينا تطوفان
فوق الورقة ، بدأت الطباعة لكي أتم الصفحة التي سبق
وبدأتها .

لقد أخذت السيجارة من فمي ووضعتها في المنفضة . ثم
سحبت المطبعة جانباً ، وأخذت القصة ، وبدأت وكما قلت :
كنت أشعر براحة فكريه تامة .

بعد أن طبعت أربعة أسطر ، بدأت أشعر بالخطأ . وبتعبير
آخر ، راود مخيلتي أن القصة لم تكن كما توقعت لها من النجاح
لكنها بدأت لي رتيلاً .

www.library4arab.com/vb

ذكرت سابقاً أنني كنت على جانب من الذوق الأدبي ،

والأفكار المركزة تجعل من الكتابة مسرحية .

الكلمات كانت بين يدي ، وكنت أتفحصها كما يتفحص عالم الآثار قطع المعادن ، لمعرفة تاريخ كل منها . هكذا كنت أتفحص القصة بتجرد تام لا أتأثر بشيء ، بل أنظر إليها كما ينظر إليها أي إنسان آخر لا علاقة له بها . وفي أثناء مطالعتها عرضت عن قراءتها كيلا أتعرض لقراءة تسلسل القصة . لذلك كنت أقرأ فيها قطعاً متفرقة من هنا وهناك . وكلما قرأت أصبحت أشد قلقاً .

تأكدت أن كل ما كتبه كان خاطئاً . القصة رديئة للغاية . فجأة أخذت ورقة بيضاء ، وقلماً وبدأت أدون ملاحظاتي تماماً كما فعلت عندما قمت بمراجعة الكتاب .

وبرأس الصفحة كتبت : إنها ملاحظات «سلفيو بلداتشي» حول القصة المسماة «الحب والزواج» . ثم وضعت سطرًا تحتها وبدأت أدون الملاحظات

لقد تبعت في أثناء عملي . الطريقة التي كنت أتبعها عندما أقوم بالنقد ، وهي تحليل الموضوع على دفعات من ثم أجمع هذه الملاحظات .

من الطبيعي أنني أقصد أن أكتب مقالاً عن نفسي إنساناً أن أحقق بشكل معقول عن الدوافع التي جعلتني أعتقد بفشل القصة . كما إنني أردت عقاب نفسي لاعتقادي أن القصة من

الروائع. وفضلاً عن ذلك أردت تحقيق نتيجة حول طموحي

الأدبي الذي كنت أجهد في سبيل نجاحه .

- هذا ما كتبت على الصفحة .

- أولاً : الاسلوب . وتحت هذا الموضوع كتبت .

- إنه اسلوب رقرق جميل به من السلاسة والرنه والعدوية

الشيء الكثير ، ولكنه يشذ عن هذه القاعدة في بعض

الاحيان فهو يميل إلى الاسهاب في الشرح ، عن الموضوع . في

المواضيع التي لا حاجة فيها لذلك ، ويميل إلى الإيجاز في

مواضع يمكن الاسهاب فيها .

ثانياً - المرونة : لا يوجد لها أثر في القصة .

- إن ما يوجد في القصة هو سبك الأحداث ، وليس

تصويرها بقالب يظهر روح الأحداث . بل كان القصد الكتابة

وليس التصوير . لذلك احتاجت إلى الحقائق الثابتة القيمة .

ثالثاً - شخصيات القصة .

- ينجل إلى القارئ أن شخصيات القصة لا يمتون إلى

الثقافة بشيء ، إنما هم أشخاص عاديون بدائيون . انهم اغبياء

قليو الملاحظة ، بدون شعور يعارضون أنفسهم ، ثم يتلاشون

بسرعة بحيث لا يبقى منهم سوى مدلول اسمائهم بالحقيقة ينجل

للقارئ أنهم مجرد شخصيات .

رابعاً - الأثر النفسي للقصة :

- رغم اللف والدوران ، والتعابير والاصطلاحات فالأثر

النفسي بهذه القصة يكاد يكون معدوماً ، يشعر القارئ أن المؤلف . ينتقل من موضوع إلى آخر . دون أن يسلك طريقاً لكشف الحقيقة . إنه يعتني بالسفسطة والأسباب .

- خامساً : المشاعر : تعني كلمة مشاعر . مدى تأثر أبطال القصة بأدوارهم . ويمكن أن أقول في هذا الصدد م يلي : إنها مشاعر جافة ؛ رغم المشاعر التي تظهر جائشة في بعض الأحيان . إن كل هذه المشاعر ، ما هي إلا مشاعر مصطنعة ، تكمن وراء التهويل والتضخيم

سادساً : العقدة ، لا توازن بها ولا بناء . والعقدة ظاهر لا تحتاج إلى الإجهاد والتفكير للوصول إلى الحل الصحيح خيوطها قليلة ، وكلها قريبة لنهاية ظاهرة ، والتحول الفكري فيها يسير سيراً آلياً ، بحيث لا توجد قوة دافعة .

سابعاً : النظرة العامة حول الكتاب ، إنه كتاب لكاتب كبير رغم انه معروف بذكائه وثقافته ودقته ، فهو في هذا الكتاب يفتقر إلى الشيء الكثير ولكن مع هذا فان الكتاب يحمل بين طياته مواضيع جديدة ، ومشاعر جديدة وبالإضافة إلى هذا ينحيل إلى أنه مأخوذ من عدة كتب وهذا يأتي بالدرج الثانية أو الثالثة من حيث ميزاته .

النتيجة النهائية : السؤال الذي يراود العقل هو : هل هذا

الكتاب يستحق أن ينشر ؟

نعم ، ولم لا ؟ .. يمكن طباعته ونشره بكل ثقة بعد أ

يلصق اليه الطباعة الحجرية التي يعدها فنان أو أي إنسان آخر . وبعد مقدمة ملائمة يصبح من عداد الكتب المحترمة . رغم كل هذا يبقى الكتاب زهيدا . هذه الجملة الأخيرة تنطبق تماما على قصتي ، فهذه حقيقة دائمة إلى الأزل ، رغم أن الكتاب قد أخرج الى حيز الوجود بسعادة تامة وحماس بالغ . .

يكفيني على وجه التقدير هذا الإيجاز . وبعد هذا أعدت المخططة إلى حافظتها . وأخذت الأوراق من الآلة الكاتبة وأقفلتها . وبعد هذا وقفت أتجول في الغرفة بينما أشعلت بيدي سيجارة ، فخيّل إليّ أن الأحلام التي كنت أحلم بها في الماضي قد قادتني إلى مشاكل متعددة حتى أصبحت كالمحموم . بعد أن حكمت حكما صارما على إنتاجي الأدبي فإن الجلاء بقي راسخا في عقلي كرسوخ ضوء القمر فوق بحر هائج ، حيث تقوم قطعه كبيرة وصغيرة من حطام سفينة . وهكذا تركز تفكيري على حطام طموحي . فظهرت كل خفاياه جلية واضحة .

- هكذا كانت الأيام تمر وأنا أأزم مكتبي أكتب القصة . لقد انصرفت فترة طويلة للكتابة . واعترضتني مصاعب جمة ، لقد سيطر علي هذا التفكير . فرميت السيجارة إلى الأرض ، التي لم تكن إلا فترة قصيرة على أشغالها . وبحركة لا شعورية رفعت يدي لأضغط بها على صدغي .

لقد ثبت لي أن فشل الكتاب سيجر فشلاً أوسع . بل إن حياتي بأكملها ستتعرض للفشل .

كما واني تحققت من أن وجودي بأكمله يعارض هذه النتيجة ، لدرجة صعب علي تصوير شعوري .

لقد بدا لي وكأن جميع الآراء القيمة قد تبعثرت هنا وهناك . كما شعرت بأنني أهوى إلى نقطة بطلان وسخافة علاوة على ذلك ، لقد عارضت تصوير شخصيتي من خلال ما ورد في الكتاب .

نعم . لم أكن أرغب في أن أظهر ضعيفاً صغيراً أو عاجزاً ومع ذلك فقد عرفت أن التصوير كان صادقاً لأنني أعارضه . أمام هذا اليأس ، وهذه الأفكار المتزاحمة شعرت بوهن ألم بي بشكل واضح . حق انني لم أعد أتمكن من الانفراد داخل الغرفة ، وشعرت بأنني أسير بلا شعور بل كأنني ورقة صفراء ذابلة تساق أمام دوامة عابثة من الرياح . لم أنتبه للحركة التي قمت بها كما وأنني لم أنتبه للأفكار التي داعبت مخيلتي .

ودون أي شك ، فقد راودتني فكرة الاستغاثة بزوجتي لأنني كنت أعتقد أن وجودي إلى جانبها ينقذني من هذه الأفكار التي غررتني ، وهكذا ، وجدت نفسي بعد بضعة دقائق أمام باب الغرفة التي ترقد فيها زوجتي . وعلى الفور رفعت يدي وطرقت الباب .

- لاحظت أن الباب كان مفتوحاً قليلاً ، وترك بدون

أن يوصد . ولذا اعجبت . لماذا ترك بهذا الوضع؟ أين التوقف
والباب كما هو الآن .

- لم يجب أحد على ضرباتي . ثم أعدت الكرة وضربت
الباب بعنف . ومع ذلك فالنتيجة واحدة . وبعد أن
انتظرت فترة قصيرة دفعت الباب ودخلت .

- كانت الغرفة مظلمة ، فأضأت المصباح . وكان أول ما
لفت انتباهي بهذا الضوء الخافت ، هو حلة زوجتي الملقاة على
السريـر . أكامها ممتدة منظمة . والسريـر مرتب

- لقد ظننت أنها لم تكن قادرة على النوم فنزلت إلى
الحديقة . هذا بالإضافة إلى نوع من المضايقة النفسية قد أصابني
كان من المفروض أن تدق باب غرفتي لتعلمني ... لماذا
تذهب وحدها؟ ..

- نظرت الى الساعة . فعرفت أنها تشير إلى مرور ثلاثة
ساعات بين هذه اللحظة واللحظة التي قبلت فيها زوجتي
أول صفحة من قصتي ، لكن الأحداث التي توالى دعمتي
أفقد الشعور بمرور الوقت . فكان يخيل إلي أن الثلاث
ساعات قد مرت كما تمر فترة وجيزة من الزمن ، وبعد هذا
تركت الغرفة ونزلت على السلم .

- لقد كان الزجاج الأزرق والأحمر - زجاج غرفة
الاستقبال مضاء . حتى بدا أن كل من في البيت لم يناموا .

دخلت إلى الغرفة متأكداً أنني سأجد زوجتي هناك . لكن
الغرفة كانت فارغة إلا من الأثاث .

وكان الكتاب التي تقرأ فيه زوجتي موضوعاً على الطاولة
ومقلوباً وجهاً على عقب ، وكان زوجتي وضعت هكذا وهي
لا تزال وسط مطالعتها ، وإلى جانب الكتاب كانت توجد
منفضة للسجائر امتلأت بأعقاب السجائر . وكل هذه الأعقاب
ملطخة بأحمر الشفاه .

كان واضحاً أن زوجتي نزلت السلم بعد أن تركتها ،
وقضت الوقت تقرأ وتدخن في غرفة الاستقبال ، بعد ذلك
يجب أن تكون خرجت تتنزه في الحديقة . ولم يكن قد مضى
طويل وقت على خروجها من الغرفة ، لأن هواء الغرفة ما
زال مشحوناً بالدخان ، مع ان النوافذ مفتوحة . ربما كان
بإمكانني اللحاق بها ما دامت قد خرجت منذ فترة قصيرة ،
لذا أسرعحت أفتش في الحديقة أمام البيت .

لقد عدت بتفكيري إلى الوراثة . فتذكرت نزهاتنا على
الطريق في ضوء القمر الجميل ، وفجأة تراكت عليّ الهموم
فتغلبت عليّ رغبتني وطرق تخيلتي أنه يجب عليّ في هذه الليلة
أن أنفذ غرامي مع « ليدا » على البيادر وسط هذا الكود
الذي ينعم بالسكون ، وتمت أشعة القمر المنيرة .

ومن المؤكد أن ما أوحى لي بذلك كان محرراً طبيعياً
عادياً منطقياً . وكنت هذه المرة مقتنعاً وبأنه يجب عليّ أد

طلق العنان لنفسي لتسير حسب ما تريد دون قيد أو شرط
ومثلي بذلك مثل الفلاح الذي تعب من جراء عمله طيلة النهار،
فعاد إلى البيت يطلب عناقاً مريحاً مع زوجته .

www.library4arab.com/vb
بعد ما حل بي ما حل من مشاكل ومصاعب اعترضت
سبيلي فقدت أملي أصبح من المفروض عليّ أن أقبل ظرفي ، كما
هو الحال عند الآخرين .

بعد هذه الليلة كنت واثقاً من نفسي بأن أكون الانسان
اللبق الذي تمثلت فيه صفات الذوق الأدبي الذي ينظر الى
الأمر بشكلها الطبيعي ، فيدرك حقيقة نفسه قبل أن يدرك
حقيقة الآخرين ، والانسان المحب لزوجته والمحبوب منها .

قد تكون زوجتي الموضوع الذي أحاول تدوينه بقصائدي
وقد أعيش غرامي فيما يكتبه قلبي ، رغم أنني لا أجيد
التعبير عنه . إن النساء يحببن الرجال الناجحين الذين أهملوا
كل طموحهم إلا أنهم لم يهملوا ما يسرهن .

- وهكذا كنت أتابع سيري مطرقاً برأسي إلى الأرض
أغرق في تأمل عميق . بعدئذ رفعت رأسي من الأرض ، فلاح
لي شبح على مسافة بعيدة مني ، وكان هذا الشبح هو شبح
(ليدا) نعم إنها ليدا زوجتي بثوبها الأبيض الجميل برقبتهما
العارية وشعرها الذهبي الجميل ، وبعد لحظة تلاشت من أمامي
وراء رابية من الأرض . ولم يعد بإمكانني مشاهدتها .

www.library4arab.com/vb
أجل إنها ليدا ... ! ليدا في طريقها إر الغربة ..

لقد سرني تفكيري بأنها كانت تسير إلى نحو البيادر

www.Library4Arab.com/vb

وكانها كانت تنفذ موعداً دون أن تعلم أن هذا الموعد كان لي وعدادت السير فقطعت المنعطف ، واستطعت رؤيتها ثانية . وعندما تحولت إلى طريق فرعية ، تقود إلى ممرين المنتزه و الحقول .

كنت بين الحين والآخر ، أصرخ إليها مفكراً باللاحاق بها لأحضنها بين ذراعي .

كنت سائراً على الطريق ، بينما هي كانت على مسافة بعيدة مني في الممر الفرعي ، فأسرعت وراءها على نفس الممر في هذا الوقت كانت قد وصلت إلى الرابية التي يحتم عليها بناء المزرعة . لقد كانت تسير مسرعة . ولأول مرة عندما مرت بين ظلال الأشجار المظلمة ، وجهها العابس أثار بي شعور غريب .

وهكذا تابعت سيري إلى أن وصلت بناء المزرعة . هناك كفت عن السير ، نتيجة أفكار لم استطع تفسيرها . لقد استطعت أن أشاهد « ليدا » تتسلق المنحدر الشديد العميق نحو البيادر حيث أكوام القمح .

وبينما هي في طريقها إلى البيادر صادفتها انخفاضات في الطريق فزلت قدمها ، وأوشكت على الوقوع على الأرض لولا أنها تمسكت ببعض النباتات . واستعادت قواها وتابعت سيرها

بسرعة حتى ليخيل إلى الناظر ، كأنها أشبه ما تكون بمنزلة

www.Library4arab.com/vb

شاردة تنتش عن الكلا .
ولم تتوقف عن المسير إلا بعدما وصلت القمة . واسترعى

إنتباهي في هذه اللحظة رجل يحاول أن يتربص بها . لقد
أراد أن يوقفها ، وانحنى ليمسك بذراعها . فظهر لي وجهه
فعرفت أنه (انطونيو) .

- لقد أصبحت على بينة مما يجري . لقد انتابتني رعشة
ودهشة . لم أرَ لها مثيلاً من قبل ، منذ ثلاثة أسابيع عندما
دخلت غرفة زوجتي لأراها مهجورة وقد طلبت مني زوجتي
طرد انطونيو الحلاق .

- هذه الدهشة المزوجة بكآبة مريرة كادت تختفي وتجرح
لي قلبي ، ولكنني لم أرغب في النظر إليها ، ولولا أن احترامي
لنفسي الذي جعلني أنظر إليها بآلم .

لقد ظهر البيدر وكأنه مسرح سينائي . تدور فيه مأساة
تجرح قلبي . ووجه إليه ضوء خافت وهو ضوء القمر .

وفي مشهد من هذه المسرحية رأيت ليدا ، تقاوم الرجل
وهو يحاول ضمها إلى صدره . وبينما استدارت قليلاً تحاول
التخلص لاحظت على وجهها علامات الأسى والحزن . تظهر
بشكل واضح .

www.Library4arab.com/vb

كان (انطونيو) يحاول ضمها إليه بينما هي تقاومه وتبتعد
عنه ثم أنني لا أعرف كيف أدارت له ظهرها وطفقت تلف

وقد يرد نفسها محاولة التلصص ، وإبعاد فيها عنه . ولكنها
أخذت تقاوم مقاومة المستميت ..

ظل هذا الجهاد فترة قصيرة بينها ، وكانا في بادئ الأمر
الواحد وراء الآخر ، ثم تغير الوضع فأصبعا جنباً إلى جنب
وتمسكه بذراعيها من صدره محاولة صده ودفعه إلى الورا ،
بينما كان ذراعاه حول خصرها ، ورأسها قد ألقى إلى الورا ،
بيد انها انزلقا الى الورا وأصبعا وجهاً لوجه . وفي هذه
المرّة سحبت رأسها الى الورا ، فأمسك هو بخصرها ورفع
ثوبها فأبان ساقها بشكل واضح .

ولأول مرة أحسست أن هذين الساقين ساقا راقصة ذوا
لون أبيض ، مشدودان بأعصاب متينة ، يرتكز على أخصيها
قدمان مستطيلا الشكل . لقد وقفت بسرعة بينا وقف هو
بهدهوء محاولاً معانقتها .

لقد انتشر ضوء القمر عليها فظهرا وكأنها يقومان برقص
عادي . لقد كان منتصباً دون حركة بينا هي تدور حوله .
إنها لرقصة دون موسيقى ودون ايقاع . وبالنهاية لا أدر ما
حصل ؛ أهي أرغمته على فقدان توازنه ؟ .. أم هو فعل هذا
مختاراً ، فقد وقعا الى الورا معاً ، واختفيا في ظل أحد

الأكوام .

لقد تأثرت لرؤيتها مختلفيان وراء أكوام القش لأنني في هذه اللحظة كان بإمكانني مشاهدتها بوضوح لأن ضوء القمر كان منتشرأ بشكل جيد ، ولا يعيق عن النظر لأول مرة خيل إليّ بأنها غير زوجتي والحلاق اللذين رأيتها بل إن ما رأيت لم يكن سوى شبحين حسبتهما يرقصان تحت ضوء القمر .

لقد وضعت زوجتي بتجربة قاسية ، لقد تذكرت أنه في الليلة السابقة . أوحى لي ضوء القمر بالحب التائه على البيدر ، وسط السكون الذي يلفنا من ناحية ، وشعرت بدافع داخلي وكم كان شعوري مصيباً .

لقد راود تفكيري شك بأن محاولتي الوقوف إيجابياً إنما هي على حساب كرامتي المجروحة . لقد خدعت بمرارة . لقد خدعتني زوجتي بالحلاق وهذه الخديعة وقعت بيني وبين زوجتي . وهذا التفكير ساقني إلى شعور مرير ، لقد عرفت لأول مرة بعد أن رأيت «ليدا» بين ذراعي «انطونيو» بأنني أقف أمام الدور الذي حكم عليّ فيه وهو دور زوج لزوج

عائنا ، ونفس الوقت كنت أشعر بأنني غير قادر على تلبية
هذا الوضع ، بالإضافة إلى ذلك لم أكن زوجاً كباقي الرجال
بل كانت علاقتي بزوجين كما أريد وليس كما يفرضها قانون
الزواج ، وهكذا يجب أن تبقى . يجب عليّ أن أبقى ضمن
المنطق والإدراك . وكانت هذه دعوتي ، ولن يستطيع الخدا
أن يسيطر عليّ لغير هذه الدعوة وحينما عدت للبيت ، بدأت
أركز ذهني على الأحداث التي جرت بيني وبين زوجتي وبدا
انطونيو .

كان من المؤكد أنه رجل فاشل لكن كان من المحتمل أ
لم يكن في بادئ الأمر قد قصد السوء بتصرفاته ، فأول احتكا
له بزوجتي كان عن طريق الصدفة ، هذا بالإضافة إلى أ
زوجتي لم تكن راضية عن تصرفاته التي أطلقت عليها اسم
الحاجة للإحترام عند الحلاق ، ورغم ذلك فقد أخفت حزني
في بادئ الأمر . وهي تخفي حقداً بالياً .

وبالواقع فإنها عندما طلبت مني طرد الحلاق طلبت أ
أدافع عنها وأن ألومها أكثر من أن ألوم الحلاق ، انني لم أفهم
القصد ، وسبب ذلك أنانيتي التي دفعتني إلى الاقتناع التام
إنها لم تستطع تمييز الانانية بسلوكي ، كما أنها لم تستطع
التعبير عن الأسباب التي دعبتها إلى أن تطلب مني طرد
انطونيو ، بل أخفت في نفسها كل مظاهر الألم .

هكذا تحملت «ليدا» وضماً سمحت فيه للحلاق بالاستمرار

بالجهد إلى البيت كل يوم ، ومررت عدة أيام على هذا المنوال ،
حق كأننا في هدنة مصطنعة لكي أنني عملي لقد كان من
جراه ذلك زاع وإثارة لبعض المشاكل . وبعد ثلاثة أسابيع
أنهيت عملي وفي هذه الأثناء كانت زوجتي قد وصلت إلى ما
تريد لتحقيق رغبتها الحفية .

في هذه الأيام كنت أنزل إلى القرية أنا وزوجتي وما ذلك
إلا رغبة في تعريف زوجتي إلى أهل القرية ، ومدى احتقارهم
للحلاق .

لقد وصل « انطونيو » إلى البيت وأخفق في إيمادي
عندئذ تقابل مع زوجتي على السلم أو في غرفة الدرس ، فكان
بالنتيجة أن هجم عليها بعنف ولربما هي تصورت ذلك .
على أية حال لقد نشأ تقام قوي فوري كامل بينها ، ومنذ
ذلك الحين تغيرت تصرفات « ليدا » واتسم سلوكها بعدم
الليونة .

وهكذا كانت على موعد مع « انطونيو » بنفس المكان
الذي حاولت به في الليلة السابقة ، إشباع شهوتي منها . وبعد
أن طرد منها . وبعد أن طرد « انطونيو » من البيت أصبحت
تتصرف تصرفات غريبة وليست كزوجة تحب زوجها .

لقد كانت متأكدة بأنني في عملي تلك الليلة ، حيث تذهب
لموعدها وقد مثلت في حياتها منذ دور المرأة مع النار عندما
أخبرتني عن مفامرتها مع الضابط (الفيلبني) وقد أوحى لها

www.library4arab.com/vb

بالقصة لقاؤها مع « أنطونيو » ذلك اليوم .

وعندما حان المساء غيرت ملابسها ولم تلبس الحزام
الأميركي لتكون أكثر سرعة ، أكثر عراء ، وعندما كنا
نتناول الطعام لم تحاول إخفاء غضبها محتضرة الخداع الذي في
مثل هذه الحالات يلفظ الأوضاع .

وبينا كنت متوحداً في غرفة الدرس كانت بدورها تجلس
في الطابق الأرضي ساعات ثلاث . وهي في هذه الأثناء تدخن
السيجارة تلو الأخرى وتعد الثواني والدقائق وعندما دنا
الوقت أسرع لتنفيد موعدها .

إن الرقص الذي مثل أمامي كان نتيجة تفجر عظيم
لشهوته المكبوتة ، وبقي علي أن أعترف بالحقيقة وهو أنني
تأكدت من سلوك « ليدا » المخادع . فتارة نجدتها تفيض
بالشهوة حتى إذا ما أصبحت كالنهر السائب بالصحراء .

لقد حدث كل هذا بينها وبين « انطونيو » مع هذا لم
تتغير علاقتها معي ، لقد كنت متأكداً من أنني إن لم أقل
شيئاً ستستمر على حبها لي ، كما كانت في السابق .

بل وأكثر ، وإنما ستقوم بخطوات تتخلص معها من
« انطونيو » في اليوم الثاني ، هذا إن لم تكن فعلت ذلك ..

إن هذه الفكرة لم تكن لتريجني بل زادتنى غماً وكأبة . لقد
كانت برهاناً آخر على عدم قدرتي ، على رضائي ، وعلى

عجزتي .

لقد كان الانتاج الأدبي وزوجتي بالنسبة لي العاملين الاساسيين
الذين تركز عليها حياتي ، ومما عاملان لعاطفة عظيمة تجيش
في قلبي ، وتوقست لها نهاية فاشلة . بالنسبة للقصة لم تكن
ذلك الإبداع الادبي النادر ، وبالنسبة لزوجتي ليست مثال
الطهر والعفاف والحب الصادق الذي تتصنعه لي .

بينما الأسى يملأ قلبي عدت من التنزه الى البيت فارتقيت
اتخرج ، وعدت الى عملي ، جلست والقلم بيدي والورقة أمامي
حيث كتبت في أعلاها « أعز ما لدي ليدا » . لقد كانت
رسالة وداع لزوجتي كتبتها والدمع يذرف من عيني .
لا أدر كم بكيت ، بل كل ما أذكر أني كنت أكتب
والبكاء المرير يملأ عيني ، ويتساقط الدمع على الكلمات فيزيل
بعضها .

لقد كنت أريد أن أعلمها أن كل شيء قد انتهى فيما بيننا ،
وأن من الأفضل لكلينا الانفصال ، لكنني عندما كتبت هذه
الأشياء شعرت برابطة متينة تشدني اليها ، وازداد ألمي وذرفت
عيناها دمعاً غزيراً ، يعبر عن الحيرة الملمة بي والأسى الذي
استولى علي ؛ لقد شعرت بأنني متعلق بها لدرجة أن الأمر لا
يهمني مهما كان تصرفها ، وإن كانت تخادعني . وأكثر من ذلك
فقد شعرت بالافرق لدي إن هي قامت بالمغامرات مع من
تشاء شرط أن تحتفظ لي بنصبي من حبها .

أخذت أتصور كيف تكون الحياة بدونها ، عرفت أنني

رغم التفكير بالانتحار لسنوات خلت ، فان الوقت الآن
يدعوني للانتحار الفعلي ، ومع ذلك ثابت كتابتي وبكائتي
إلى أن أنهيت كتابة الرسالة ووقعتها .

عندما عدت لقراءتها ثانية أحسست بأنني لا أملك
الشجاعة التامة لإرسالها ، وهنا أدركت مدى ضعف شخصتي
المبنية على المرارة والأفانية واعترفت بذلك بالحال .
لقد عرفت بأنني بعد تلك الليلة ، سأكون أكثر اعتدالا ،
على الأقل سأقوم بتغييرات من شأنها إصلاح ذاتي . لقد عرفت
الكثير عن نفسي خلال تلك الليلة ، لقد بدا لي أنني عرفت
بها أكثر مما عرفته في السنوات الماضية عن حياتي . وهذا
ما هدا من ثوري النفسية .

تركت المقعد ودخلت إلى غرفة النوم وغسلت عيني
المتورمتين من البكاء ، ثم عدت إلى غرفة الدرس ووقفنا
أمام النافذة انظر للحديقة أمام المنزل .
وقفت هناك مدة ربع ساعة دون أن أفكر بشيء ما
بل ساد تفكيري هدوء وورصانة تامة ، حتى أن الهدوء
على روحي .

وفي هذه المرة لم أكن أفكر «بليداء» ، وقد ذهلت عند
رأيتها تظهر على أحد جوانب الحديقة ، سائرة نحو البيت
وكانت لكي تسير بسرعة ترفع بكفتي يديها تروها الطويل
وبدت تركز على الطريق المضاءة بنور القمر مما جعلني أ

أن حيواناً مفترساً تصدى لها ، وقد ملأ جسدها بالجراح
فتلطنخ الثوب بالدماء .

www.library4arab.com/vb

هذا الشعور أثر عليّ لدرجة تصور لي أنها تحولت إلى
حيوان ، ورغم هذا الشعور لم أستطع إخفاء الابتسامة الطويلة ،
وبعد أن ركضت مسافة طويلة ، اقتربت مني وقد رفعت
رأسها وعينها نحوي ، وأنا ما زلت أقف أمام النافذة .

لقد نظرت إليّ فوجدتني أحرق اليها فتقابلت نظرانا ،
ولقد تأكدت في حقيقة نفسها أن هذا المشهد لا يخلو من الكتابة
فأطرقت برأسها إلى الأرض ، ودخلت إلى البيت ، بينما انسحبت
أنا من أمام النافذة لأذهب وأجلس على المقعد داخل الغرفة .

www.library4arab.com/vb

بعد لحظة فتح الباب ، ودخلت الى داخل الغرفة . لقد
عرفت ان هذه الكآبة الظاهرة عليها ما هي إلا لتغطية
واقعا ، وهنا لم أتمكن من الابتسام ثانية .

كانت ما تزال تمسك مقبض الباب عندما سألت : ماذا
تفعل .. ألسنت مستمراً بعملك ؟ ..

وبدون أن أرفع رأسي أجبتها : لا ..

– خرجت أتزه في الحديقة ؛ إذ لم أستطع النوم. وأخذت
تشرح لي ما لم أسألها عنه : ما بك ؟ ..

وكانت بنفس الوقت تقترب نحو المقعد، وتتنظر الى الاوراق
المبعثرة ، فأجبتها يجهد ، وضبطت أعصابي : لقد قمت هذا
المساء باكتشاف ... اكتشاف مهم .. سيلعب دوراً مهماً في
حياتي .

فنظرت إليها وكانت ما تزال تجلس على المقعد تحديق
بالآلة الكاتبة ، عابسة يغمر وجهها الإنكماش والغضب ، وبعد
هذا صرخت بصوت عالٍ وقالت : ما هو الاكتشاف ؟ ..
تأكد لي أن « ليدا » على استعداد للنقاش . لقد ذكرني

وضعها ببعض الحشرات التي تقتصب على قدميها الخلفيتين
عندما تقع في خطر مهددة بقتل عدوها ، وهذا الوضع يسميه
عاباء الطبسيات (الوضع الخيالي) ، فحينئذٍ أتني أسمعها
تصرخ بصوت عال : نعم : لقد أسلمت نفسي للحلاق ، وأنا
أحب الحلاق .

- حسناً ، إفعلي ما تريدن ، ثم تنهدت وقابعت قولي
لقد اكتشفت ، عند قراءة القصة بأنها قصة حقيرة ولا أمل لي
بالشهرة ككاتب .

- رأيتها ما زالت تقف ساكنة هادئة ، وعند سماعها ما
لم تكن تتوقع بدت لي مرتابة ، لا تصدق ما سمعت أذناها ،
وعندها وبصوت يفيض بالعنف أخذت تصرخ : ماذا تقصد...؟
فرددت عليها :

- إنني أخبرك الحقيقة ، لقد كنت أخدع نفسي ... بينما
كنت أكتب القصة كانت تبدو إلي كإحدى الروائع ، لكنها
بالحقيقة تافهة ... وأنا لست سوى رجل بسيط عادي .

وهنا ضربت يدها على جبينها ، ثم اقتربت لتجلس إلي
جانبي ، وكان من الواضح أنها تقوم بجهد للعودة إلى الدور
الذي كانت مجبرة على تمثيله ، قائلة : يا « سلفيو » لم تؤكد
ذلك...؟

إنني الآن متأكد مما أقول ، وكثيراً ما كنت أفكر

بالانتحار وبينما أقول هذا وعلى حين غرة رفعت رأسي ونظرت

البيبا .

وفي هذه الأثناء وبينما كنت أتحدث عن القصة كنت أفكر

في « ليدا » ، وقلما كانت تؤثر علي رداءة القصة . لكنني لم

أستطع نسيان الطعنة في قلبي عندما رأيتها تداعب « انطونيو » ،

وما زالت الآثار ظاهرة عليها ، لقد كان شعرها محلولاً ، وما

زالت بعض قطع القش عالقة به ، وباقية الورد التي كانت تزين

بها شعرها وقعت على البيدر . لقد تلاشى لون شفيتها إلا من

بعض البقع الحمراء المنتشرة هنا وهناك ، والذي كان سبباً

لإظهار وجهها بهذا المظهر القبيح ، كما كان ثوبها ممزقاً ، وعلى

الركبة كانت توجد بقعة من الوحل ناتجة عن وقوعها إلى

الأرض .

وهنا تأكد لي ان « ليدا » على معرفة بهذا الوضع ، بيد

أنها كانت تتعمد أن تظهر هكذا ، وإلا لكان من السهل أن

تذهب الى غرفتها وترقب نفسها ، وتلبس عوضاً عن ثيابها

الممزقة ثياباً أخرى جديدة ..

شعرت بهذا الموقف وكان « ليدا » تجيب : لماذا تتأخر

بقتل نفسك ؟ ..

ترجمت هذا كله بأنه ناتج عن الانحراف عن الحق .. لأنني

لم أستطع مقاومة الإغراء فقلت : بالنسبة لي هذه القصة على

جانب من الأهمية .. ومع هذا أعرف الآن أنها قصة فاشلة ..

ولدي البرهان على ذلك .

وفي هذه المرة أدركت ولربما كانت هي قدرك وتحاول

هداعي ، فنظرت إلى الأرض بارتباك ، وكانت تضع يدها
على خصرها ثم أنزلتها إلى ركبتها لتغطي بها بقع الوحل .

وبهذه اللحظة وقعت بارتباك إذ كان من الصعب عليها

إعادة توازنها إلى طبيعته لتلعب دورها المعتاد كزوجة محبة

مخلصة . كنت خائفاً من أن أتحدث حديثاً غير لائق ، فقلت

في نفسي : في هذه المرة سأقول لها الحقيقة ، ثم تخيل إليّ

أنني أسمع صوتها تتساءل : لماذا الفشل ، يبدو إنك لم

تفكر بي .. ؟

لقد صبرت على الشعور بالدهشة الذي سببته لي كلماتها ،

وقد سألتها بعد ذلك : ماذا يمكنك أن تفعلي لي .. ؟ ربما

تستطيعين منحي السجبة التي أحتاجها .

- لا .. -

بذا أجابت بطريقة لا تخلو من الخداع ، وأضافت قائلة :

لكنني أحبك . ثم مدت يدها نحوّي تبعدت عن يدي ، محذرة

بي طيلة الوقت ، بعينها اللتين ظهرتا أكثر نقاوة وإثارة

حيث ارتاح شعورها وهدأت عصبيتها . فأخذت يدها وقبلتها

ثم ركعت أمامها ، قائلاً : إنني أحبك أيضاً ، لكن يجب

عليك معرفة هذا .. لكنني أخشى أن الحب ليس كافياً

لإبقائي حياً ..

كنت أصدق في ساقها اللذين رأيتها قبل وقت قصير

www.Librarary4arab.com/vb
عارفين على البيدر . ربما كنت حائراً بمعنى كلامها ، واستطعت
أن أستخلص ما معناه : لقد أخطأت لأنني سرت وراء
رغبتني ، لكنني أحبك ، وهذا كل ما يهمني .. آسفة لن
أفعلها ثانية .

وهكذا كان كل شيء كما تنبأت له أن يكون . وهنا لم
أشعر بأنني قادر على رفض حبها ومها وهبتي منه شحيحاً .
وتابعت تقول : عندما تسيطر عليك نوبات اليأس فعليك أن
تحاول التفكير بي ... وعلاوة على ذلك فنحن نحب بعضنا
بعضاً وهذا هو الأمر المهم .

- أتريدين أن أفكر بك ؟ وهل أنت تفكرين بي دوماً؟
كنت مقتنعة من أنها لم تلجأ إلى المراوغة ، من المحتمل أن
تفكر بي دوماً . حتى وقبل قليل عندما كانت تستسلم
لأنطونيو على البيدر .

لقد ظهر على وجهها الغضب والحزن من جراء الطريقة التي
اتبعتها معها في الحديث ، الطريقة التي لم تمنعها من مخادعتي .
مع ذلك فكرت بإقناع نفسي بأنها بالفعل تفكر بي ، وكأنها
كمن يفكر بأمر مستعص .

ربما كانت تشير إلى عزيمتها ، لكنّ هذه العزيمة قادتها
لأن أزمي بنفسها في أنطونيو . ولهذا أرى أن علينا
على نقيض خلقي ومنطقي مع الآخر .

إنني لا أعلق أهمية على العزيمة ، قدر اهتمامي بالسجية

الخلقية التي هي مصدر الحب ، والتي بدونها لا يوجد حب ولا أدب ، وعلى النقيض من ذلك فإن (ليدا) كانت تكبر العزيمة ، وتعتبرها أفضل ميزة لها ، بينما رفضت السجية ظناً منها أنها غير كافية لإثارة الحب والإنتاج الأدبي .

لقد شرحت الوضع قائلاً: إن الإنسان يجب ما ليس لديه. لكن ما رأيك بالأدب .. ؟ هل يمكن خلق مقطوعة أدبية دون غريزة .. ؟ وهل هو إنتاج عزيمة فقط .. ؟ لقد كانت تحلل كل ما أقول ، وعندما قالت : تعال إليّ .. أتعرف ماذا سنفعله الآن .. ؟ سأذهب وأخلع ثيابي وأستلقي على سريري .. وأنت يمكنك اللحاق بي لتقرأ قصتك .. وسنرى إن كانت حقاً على هذا المستوى من الرداءة. وعلى الفور بعد أن انتهيت من كلامها نهضت بحركة خفيفة ، أظهرت معالم جمال جسدها الفضي الجميل .

ووقفت كذلك شاعراً بأن الأمر لا يحتاج إلى كل هذا من المشقة للمعرفة بأن القصة كانت رديئة للغاية ، وإنه ليس بالإمكان العمل على إصلاحها . وحاولت أن أتكلم ، لكنها وضعت يدها على فمي صائحة . امضي الآن ... ما زال هناك متسع من الوقت للحكم .. إنني ذاهبة إلى غرفتي ويمكنك أن تتبعني بعد فترة ، وقبل أن أتمكن من الإجابة كانت قد خرجت .

ووقفت وحدي في الغرفة ، وفجأة امتدت يدي إلى المخطوطة ، وهكذا اعتقدت بأن عزميتها كانت تنمو ، ولم

أجد مجالاً للشك ، بأنها عزيمة - بديرة بالثقة .
هل يمكنني أن أتوقع بأن هذه العزيمة ستنتصر على الإغراآت
الأخرى ؟

إن المستقبل وحده كفيل بالرد على هذا السؤال .

أشعلت سيجارة ووقفت بدون حركة الى جانب المقعد ،
وعندها شعرت بأن الزمن يمر ، وقد مضى عليّ وقت ليس
بالقصير ، وهكذا زابت الغرفة والمخطوطة تحت ذراعي ، ثم
ذهبت الى غرفة « ليدا » وعندما وصلت شرعت أطرق الباب
فأشارت إليّ بالدخول بصوتها العذب الجميل .

كانت مستلقية على سريرها وتتردى ثوباً للنوم الجميل
المطرز بألوان جميلة زاهية .

وكانت الغرفة مظلمة ، ما عدا رأس السرير ، وكان مناراً
بقنديل يوجد الى جانبه ، و « ليدا » تتكئ على الوسادة بينما
امتدت ذراعها الى الامام وأمسكتنا بورقة تقرأ ما كتب
عليها .

لقد ظهرت عليها دلائل الجمال يجدها السائبة فوق كتفها
تكملها باقات الورد ، وباقات أخرى تكمل صدرها حتى
بدأت جميلة للغاية . وافتتحت بها كل العجب عندما نظرت
اليها ، عندما فكرت بوجهها النير الجميل الذي كان قبل وقت
ملطخاً بعار الشهوة .

وبينا هي تبتم ، صرخت لي تقول : أريدك أن تبتم .

لقد أصغيت بكل جوارحي إليك .

فأسندت ظهري الى أحد جوانب السرير . وقلت : إنني

أقرأ لك لأنك أنت راغبة بذلك .

- لقد سبق وقلت لك أن القصة رديئة .

- لا يهم أبداً ... فأنا أصغي إليك .

وشرعت بالقراءة من أول صفحة في القصة متابعاً إياها

حتى أتيت عليها بأكملها ، دون توقف إلا في حالة إلقاء نظرة

خاطفة على زوجتي ما بين الفينة والفينة . كما كانت بدورها

تصغي إلي بكل جوارحها .

وعندما قرأت كنت أؤكد لها رأيي الأسبق . لقد كانت

القصة قيمة ، رغم أن القيمة لم تكن الميزة التي أتوخاها .

إن هذا الإنطباع العدائي لم ينقذني من متاعي ، وكنت

أتساءل دائماً : ماذا ستقول زوجتي في القصة ..؟ عند نهاية

القراءة ظهر لي أن لديها منفذين .

الأول : أن تصرخ على الفور : يا « سلفيو » ماذا تقصد ؟

إن القصة رائعة الجمال .

والثاني : هو الافتراض بأن القصة لا بأس بها ، الأول

كان خداعاً ، وذلك بمحاولة منها لتجعلني أدرك أن القصة

جميلة . بينما هي تدرك حقيقة فشلها ؛ ولا خلاف في أنها تومي

بذلك إلى أهداف بعيدة ، لذلك ستكون العلاقة رديئة

فيما بيننا .

الطريق الثانية : هي طريق الحب ، حتى ولو كان هذا

الحب من النوع الذي أظهرته سابقاً ، والذي هو مبني على

العزيمة والعاطفة وكان موقفي يتحدد منها على الشكل التالي :

فإن هي قالت : القصة جميلة ، صمت على أن أقف صارخاً

وإن قالت القصة رديئة ، فيجب أن أطلعها على حقيقة نفسها

فأقول لها : لست أنت إلا امرأة عامرة ...

لقد قرأت القصة بأكملها وهذه الفكرة تراود ذهني ، وكلما

اقتربت من النهاية أبطأت في القراءة لأنني كنت أخشى مما

سيحدث .

وفي النهاية ثابت على القراءة حتى أتيت إلى آخر جملة

فقرأتها وقلت : هذه القصة ، وهذا كل ما كتبت ونظرت

نحوها .

وتلاقت العيون ، وعندما نظر أحدها إلى الآخر ، شعرت

بأن وجهها قد تغير ، ودلائل الخداع قد ظهرت عليه .

كان من الطبيعي أن تفكر بالتغريب وبأن تصرخ قائلة :

إن القصة جيدة ، وبهذا تظهر بظهورها الحقيقي وتعود إلى

الراوية والكاذب . ولكن هذه الفكرة تبددت بالخال ليحل ،

مكانها حبها إلي ، الحب المبني على الصدق والاحترام .

تهددت قليلاً ثم نظرت يمينه ويسرة ، وبعد هذا اردفت

تقول : والفشل يبدو على حديثها ، ربما تكون على حق إنها لم تكن كما توقعت .. ولكنها مع ذلك ليست بهذا المستوى من الرداءة ، كما تعتقد الآن لكن على كل حال . ومن المستحب سماعها .

تغير الجواب بين شفتي وأجبتها بمرح . ألم أقل لك هذا...؟ ولكنها استمرت تقول : إنها مصاغة بدقة : ولا يتوقف الأمر على أن تكتب بجودة .

- لكنها أضافت : كان من الواجب أن تعني بها أكثر .. فإن أعدت كتابتها ، فستكون في النتيجة أفضل مما هي عليه الآن ، وتصبح كما ترغب لها أن تكون .

- وتابعت قولها : ان العزيمة هي التي تخلق الانتاج الحسن وعليك أن تتجنب كل شيء وتركز في كتابتك على الإيجاء . وإن لم تتقيد بهذا العامل فإن مصيرها الفشل .

صرخت بمودة .. بهذا يكمن ضعفك ، إنك لا تهتم بالعمل ولا تحسب حساباً للفشل ، في حين إنها في الواقع عنصران مهمان ، وبهذه الطريقة تكتمل الأشياء . - إن الأعمال ما هي وليدة معجزة .

واستمر النقاش ما بيننا وقتاً طويلاً ، وكل منا يدافع

عن وجهة نظره الخاصة ، ويدافع عنها بأبلغ الأساليب التي يعرفها ، وبالنهاية طويت المخطوطة ، ووضعتها في جيبى قائلاً :

حسناً ، حسناً ، دعنا نترك التحدث عن القصة .

ورغم السكون فندرت من الزمن ، وكنت في هذه الأثناء
أنظر إلى زوجتي بينما هي تطرق برأسها إلى الأرض حتى قطعت
السكون قائلاً : ألا تمنعين ان يكون زوجك من الكتاب
الفاشلين .

فأجابت على الفور على : إنني لا أفكر بك ككاتب مطلقاً .
وكيف كان تفكيرك بي إذن ؟ ..

- لا أدري .. قالت ذلك وهي تبسم وازدادت : كيف
يمكنني الإجابة على هذا السؤال ؟ .

- لقد عرفتك جيداً الآن .. لقد عرفت جوهرك وأنت
ستبقى على هذه الحال سواء أكنت كاتباً أم لا ..
- لكن لو طلبت منك أن تحدد رأيك بوجه الدقة .
فماذا تقولين ؟ ..

فرددت قليلاً ، ثم قالت برصانة : الانسان لا يستطيع
ان يبدي رأيه بمن يحب ، لأن العاطفة تعمي العيون ، وتضلل
الألباب عن الوقوف على الحقيقة .

وهكذا لبثنا نتحدث حول النقطة الأساسية ، لقد كانت
إحتجاجها تعبر عن حبها إلي ، هذا الحب الذي أزعجني ،
فأخذت يدنا وقتلت : إنك على حق .. وأنا أيضاً .. رغم
كل ما أعرفه عنك لا أستطيع الحكم عليك . لأنني أحبك .

وظهرت إشارات الذكاء على وجهها ، وصرخت بصوت

عالٍ : أليس الأمر كذلك ؟ .. عندما يحب الانسان إنساناً
آخر يجب كل مزاياه ، حتى سيئاته .

كنت أرغب في القول لها في هذه اللحظة بكل انخلاص

إنني أحبك رغم كل تصرفاتك ، أحبك بما أنت عليه الآن .
أحبك حيث تجلسين على السرير بكل رصانة بثوبك الجميل
بضفائك الجميلة ، بباقات الزهور التي تزيدها جمالا . أحب
عينيك البراقتين الجميلتين .

- أحبك والحب يعمي عيني ، أحبك كراقصة تجيدين
فن الرقص ، أحبك ترفعين رداءك وتفرقين في اللذة مع
(انطونيو) ، سأحبك دائماً ، إنما لم أقل شيئاً من هذا ، لأنها
علمت بأنني أعرف كل ما ذكرت ، وكل شيء أصبح في منتهى
الوضوح فيما بيننا ، بل قلت عوضاً عما كنت أرغب في قوله :
ربما سأكتب في يوم من الأيام القصة التي أرغب في كتابتها ،
وذلك عندما أشعر بقدرتي على التعبير عن نواح معينة .

- إنني أرغب في إعادة كتابتها بعد مضي بعض الوقت .

وقبلتها قبلة الوداع ، ثم تركتها متوجهاً إلى غرفة النوم .
ومرت لحظات ، فإذا بي أستلقي على الفراش وأغرق في سبات
عميق ؛ وفي نومي هذا كنت أشبه ما أكون بطفل حكم عليه
بالعقاب من أبيه ، فبكى حتى ألم به العياء ، وبعد هذا كله
سمح عنه ففرق في سبات عميق .

وفي صباح اليوم الثاني ، تأخرت في النهوض من النوم ،

www.Library4arab.com/vb
وعندما نهضت حلقت ذقني وذهبت إلى المائدة حيث كانت
(ليدا) تنتظري من أجل الإفطار ، فتناولنا الطعام معاً .
وبعدها اقترحت على زوجتي أن نقوم بنزهة قبل الغداء .
ووافقت زوجتي على الاقتراح ثم خرجنا معاً . وعلى مقربة من
المزرعة ، كانت نزهتنا ، ومن هناك تسلقنا قمة جبل آخر
كانت توجد عليه آثار قديمة لكنيسة صغيرة . وعندما وصلنا
هناك تجولنا داخل الكنيسة . وبعدها جلسنا على مرتفع
متوسط العلو يطل مناظر خلابة .

لقد ثبت لي إن الكنيسة ترجع لعهد قديم ، مستدلاً بذلك
من الآثار الموجودة على الباب الخارجي التي لم يبق منها إلا
النزر اليسير كأجزاء من الباب الخارجي ، وآثار البرج .
كانت ساحة الكنيسة الخارجية معبدة بحجارة رمادية
اللون ، تنمو فوقها الاعشاب ، ومن خلال هذه الابواب القديمة
المحطمة يمكن رؤية الاشجار بشكل واضح ، وبواسطة أشعة
القمر .

بعد ذلك نظرت الى الكنيسة فاستطعت أن أرى وجهاً
منحوتاً على أعمدها ، وقد استنتجت من خلال نظرتي إلى هذا
الوجه أنه يرجع إلى عهد بعيد ، ولذا صعب علي تمييزه بشكل
واضح .

www.Library4arab.com/vb
وفيا كنت أراقبه شعرت بذهول بالغ للسبب الذي بينه
وبين زوجتي عندما كانت عابسة في الليلة الماضية .

نعم ، لقد كان نفس البؤس الذي اعترى زوجتي يظهر على هذا التمثال القديم . وحولت نظري الى « ليدا » فوجدتها محرق بنفس المشهد .. وأخيراً حولت عيني نحووي لتقول :
إنني كنت أفكر بقصتك أثناء الليلة الماضية ، وعلى ما أعتقد توصلت إلى حقيقة فشلها وعدم إتقانها .

- ولم ذلك ؟ ..

- لقد حاولت تصوير نفسك وتصويري ، ألم تفعل هذا ؟

- نعم ، إلى حد ما ..

- حسناً ، إن الحقائق كانت خاطئة .. لكي أبدأ : ان

الذي أقصده هو أن القارئ يشعر بأنك عندما كتبت القصة لم تكن تعرفني جيداً ، حق ولم تكن تعرف نفسك ..

- ربما لم يحن الوقت للتحدث عن علاقاتنا ...

- وبنوع خاص عني أنا .. إنك لم تتوصل إلى إظهارني

على حقيقتي لأنك جعلتني رمز المثالية ..

- هل من شيء آخر ؟ ..

- لا ، ليس هناك شيء آخر .. وأعتقد أن من الواجب

عليك بعد أن نعرف أحدهنا الآخر أكثر ، عليك أن تعيد

كتابة القصة ، كما قلت لك هذا في الليلة الماضية ، وأنا

متأكدة من أنك عندها ستكتب قصة جميلة ..

أم أقل شيئاً ، بل كنت أنظر إلى كتبها ، وأتأمل وجربها

الشرير العابس ، حيث خلصت بعد هذه التأملات إلى النتيجة

التالية : على كل كاتب ، قبل أن يبدأ كتابة قصة حول فئة
معينة من الناس أن يكون على علم بكافة صفاتهم ليستطيع
تحقيق موضوعية قيمة شاملة ، وإلا كان الإخفاق نصيبه .
وأجبت . إن هذا يحتاج إلى وقت طويل .. وأنهيته
حديثي بهذا القول الجميل .

انتهت

www.library4arab.com/vb

الحبيب التعس

حياة الانسان أشبه ما تكون بسفينة تشق عباب الماء إلى نهاية محتومة . وفي أثناء عبورها في البحر تتعرض لمصاعب وأزمات: فلربما تنهار أمام أمواج البحر وتهوي للهلاك بمن فيها.

وهكذا على مقربة من بيتنا وأمام ناظري كانت تدور حوادث حياة « ساندرو » الذي كان يعيش في نفس المدينة التي أعيش فيها .

كان ساندرو يعمل جاداً لارساخ معالم الحب بينه وبين زوجته ، وما ذلك إلا بالاحترام المتبادل والخدمات الجلى التي يقدمها « ساندرو » لها .

لقد بدأ « ساندرو » حياة حب كانت موضع إعجاب من أحس بها. انه يحسد حقاً على الهناء وصفو العيش الذي ارتشفه « ساندرو » في بداية عهد زواجه . كان هذا تغليق العديدين من اصدقائه ، بل كان ساندرو وكأنه أصبح مضرب مثل في

حبه لزوجته « إيلينا » . لم يمض اسبوع على هذه الحالة حتى كانت الصدمة القاسية .

كثيراً ما حاول « ساندرى » كسب مودة زوجته التي
طلقت لا تعد، أهلاً . وهذا تنكسر سهام الصدمة في
أحشائه إلى أن مل الحياة ولم يعد يطيق صبراً على هذه الحال ،
لقد صمم على ترك المدينة إلى جزيرة في البحر تقع على مقربة
من الشاطئ .

نعم ، لقد صمم على الرحيل إلى جزيرة . واستمر في حياة
مفعمة بالقلق إلى ان اقبل شهر حزيران فشد الرحال إلى
الجزيرة ، وعندما وصلها لم يفكر في السكن في الفنادق لأنه
كان يعلم عنها الكثير ، ولأنه كان يثق بأنها تعم بالضوء .
ولهذا كله قرر السكن في اطراف المدينة حيث الهدوء التام .
لقد استأجر غرفة عند سيدة كانت تشرف على ترتيبها
بنفسها . كما كانت تشرف على ترتيب بضع غرف اخرى .
كان المنزل يشرف على حديقة جميلة ، بها من الأشجار
أجملها ، وفيها من الثمار اطيبيها ، حتى بدت كأروع ما يكون
من المناظر الجميلة . ويلى هذه الحديقة منحدر جميل تنتشر فيه
بنايات كثيرة جميلة شيدت على احدث طريقة في البناء .
وبين هذه البنايات ينتشر كثير من الحدائق والحقول المزروعة
بأشجار الزيتون المعمرة ، حيث يرجع زمنها إلى قرون غابرة ،
وفي الحقول الأخرى توجد اشجار كثيرة من الاجاص اشتهرت
بجودة ثمرها ونكهتها .

وبعد هذا كله فللجزيرة نهاية محدودة . فعلى مقربة من هذه

الحقول الغناء يتهادى البحر إلى شاطئه جميل ، وعندما يقف
« ساندرو » امام باب غرفته وينظر إلى البحر متأملاً جماله
وروعته ، انه يرى مياحه العذائية كأنها الزجاج أو كالماس
المتأجج تحت ضياء الشمس .

يا له من منظر جميل يستمتع به « ساندرو » فيفرق في
احلام جميلة ، بينما يتأمل جمال البحر ، وكثيراً ما كان يصعد
إلى سطح غرفته ليزداد انمشاقاً في تقييد جدران الغرفة ،
وبينما هو على هذه الحالة يتنعم بالهواء الطلق ويستمتع بالمناظر
الخلابة فخيّل اليه كأنه يسكن الجنة ، وليس بالكثير هذا ،
إنه يعيش في اعلى قمة سعادته .

في الليلة الثانية بينما كان « ساندرو » يستمتع بمنظر البحر
والحقول الجميلة وقع نظره على فتاة جميلة لم ير يجالها قط تسكن
الغرفة المجاورة لغرفته . إنها جميلة ... جميلة جداً وجمالها
جعل من الجمال الذي ترويه الأساطير حقيقة واقعة . انها
كعروس البحر في أساطير الاغريق وهذه المناظر الثلاثة الجميلة
وهي منظر البحر ومنظر الحقول الخضراء ثم منظر الفتاة
الحسنة شغلت تفكير « ساندرو » حتى أصبح كأنه كتلة
متحركة من الأفكار . والواقع لقد صدق من قال (أحب من
الجمال الماء والطبيعة في فصل الربيع ، والشكل الحسن) بل
هي السعادة كلها تكمن وراء الاستمتاع بهم جميعاً . لن تنتقص
السعادة - سعادة المرء - إلا بتقصان أحدها أم عند فقدانها
جمعاء .

هنا ضاق «ساندور» ذرعاً، ولم يعد يعرف كيف يتصرف

أمام هذه الفتاة المسننة . نعم أحبها من دون أن يكذبها .

لكن هذا لا يكفي . فعليه أن يعمل جاهداً للتوصل إلى

حديث معها وهنا وقف بحيرة أمام تحقيق ما يصبو إليه

واستلهم كافة قواه العقلية للتوصل إلى حل للمشكلة ، أنه يريد

أن يتحدث معها ، فما هو يستلهم الله قائلاً : ساعدني يا الله

كيف الوصول إلى ما أريد ؟ . ما هو السبيل للوصول إلى

حديث معها ؟ . هل هي مستعدة للإجابة على أسئلته ؟ . وأي

تواضع منها أن ترد له التحية ؟ . كل هذه الأفكار كانت تجول

في ذهن « ساندور » ولكن البعيد الاحتمال . والذي لم يفكر

به هو أن تكون هي البادئة في الحديث .

ربما يكون عامل التواضع قد زاد جمالها جمالاً ... ولربما

يحدث عكس ما كان يتوقع .. بالواقع صح الاعتقاد الأخير .

وما هي تقف مقابلة له وتسأله بضعة أسئلة فيجيب عليها

باندفاع وحماس شديدين .

السؤال الأول . كان لمعرفة ما إذا كان استحم . فأجاب

«ساندور» على السؤال بكل لطف . نعم لقد استحمت .

لقد ذهول «ساندور» بعد هذا السؤال ، لقد شعر بعاطفة

حب طاغية نحوها ، إنها عاطفة قوية جامحة لم يشهد مثلها من

قبل ، إنه يجابه الحب هذه المرة بإندفاع تام . ما هو يتصور

صوت الفتاة الشقراء تتكلم إليه . إن هذا السؤال لا زال

يتردد صدها في أذني « ساندرو » سيبقى إلى الأبد .

لم يعد ساندرو يشعر بالمتعة في الجلوس على السطح إلا إذا كانت الفتاة الشقراء جالسة على الشرفة المقابلة .

شعر « ساندرو » أن لا قيمة لكل المناظر المحيطة به إن لم تكن الفتاة واقفة على الشرفة المقابلة له . وهنا يبدو له أن وجودها واستمرارها في البقاء عنصران أساسيان يدفعانه إلى الشعور بالجمال الخارق . وهنا نرى أنه ينهض من غفلته الفكرية محاولاً الكشف عن العوامل التي جعلت من شخصيتها الشخصية الفريدة في مزاياها البارزة ، هذه المزايا التي لم يتمكن من تحديدها بعد .

وهكذا ظل « ساندرو » على هذه الحال ، ولم تمر إلا فترة قصيرة حتى وجد نفسه غارقاً في دوامة من الأفكار والتأملات ، وبقي على هذه الحالة حتى وصل إلى درجة صعب عليه بعدها الاستمرار في التفكير على هذه الحالة . وقرر بعدها العودة إلى جمال الطبيعة المحيطة به لعل في ذلك الراحة له .

لقد شعر « ساندرو » بأن حياته لم تكن مجدية إذا استمرت هكذا ، لذا قرر أن ينهج طريقاً آخر من الحياة وهو الحياة الجميلة المنظمة التي ستعبد إليه حيويته ونضارته . ولقد وضع برنامجاً يسير عليه حياة أيام الصيف .

كان يقصد البحر عند الصباح ، وما أن يصل هنا إلا

ويستلقي الحال على الرمال ليتخلص من اجواء المسير ويركن الى الراحة ، ويستمر على هذه الحالة الى أن ترتفع الشمس الى قبة السماء وتنعكس على الأرض أشعتها اللافتة ، فترتفع حرارة الماء ، وعندئذ يخلع ملابسه ويغطس في الماء بين الفينة والأخرى ، ثم يصعد الى الشاطئ ويستلقي تحت أشعة الشمس أو إلى جانب صخرة كبيرة فيستظل بها .

هكذا مرت بضعة أيام ، كان « ساندرو » يقضيها بين الماء والشاطئ ، بعيداً عن كل متاعب الحياة ومشاكلها حيث يسرح بأفكاره كيفما يشاء دون تحديد أو تقييد ، ويظل على هذه الحالة الى المساء ، فيعود عندئذ الى البيت حيث يستسلم للنوم فور وصوله الى غرفته .

رغم كل ضروب التسلية ، ورغم كل مجالات اللهو ، كانت العاطفة تراوده بين الفينة والأخرى فيتذكر حبيبته ولن تبرح من مخيلته أبداً .

فيؤله البعاد - بعاد حبيبته ويقع في صراع لا حدود له وكلما يقوم بعمل - ومهما كان نوعه - كالسباحة أو الأكل ، أو الاستحمام بالشمس . في هذه الأثناء كان ينجح في دحر الأفكار عن نفسه ، الأفكار التي كانت توسعه ألماً لكنه في ساعات فراغه كان يتعرض لمحنة الضمير ويعاني منه الأمرين وكأنه على موعد معه . وعند المساء حيث كان يجلس داخل غرفته منفرداً . فتنتابه أفكار كثيرة فيصاب بهذه اللحظة

بنوع من الدهول مقرون بالخبول .

قضى اسرعين وهو على هذه الحالة . يتعرض إلى المزيد
www . Library4arab . com / vb

من الصراع الفكري واليأس والملل .

وفي أحد الأيام بينا كان على هذه الحالة تراءى له فجأة
قدوم ساعي البريد وكأنه يحمل له رسالة .

ترى ماذا تحمل الي هذه الرسالة ؟ . ومن المرسل ؟ . ومن
أين وردت ؟ .

في فترة قصيرة من الزمن راودت أفكاره كل هذه التساؤلات
وعلى الفور وصل ساعي البريد وسلمه الرسالة وتلاشى الضباب
وظهرت الحقيقة ووضحت لعيني « ساندرو » ..

كانت الرسالة من سيدته التي سكنت قربه لم تبعد مسافة
كبيرة عن مكان إقامته . لقد حملت له هذه الرسالة اسم «إلينا»
وعنوانها وكانت هذه الرسالة عبارة عن دعوة منها باستئناف
العلاقات بينها من جديد .

لقد قرأ الرسالة واعداد ، لعدة مرات إنه مسرور للدرجة
بالغة . إنه يفكر فيما يجب . بل ما هي الأفكار التي يشرحها
بالرسالة إلى حبيبته ؟ . بأي طريقة يستطيع أن يعبر عن
حب جديد عظيم .

وبينا استلقي إلى فراشه طلباً للراحة . أخذ يفكر
www . Library4arab . com / vb
« بالينا » فلم يستطع النوم ، ولذا نهض إلى المنضدة فأخذ
قلماً وورقة ، وشرع يكتب رسالة إليها ، واستمر في الكتابة

قراءة طويلة ، وبعد أن انتهى من الكتابة ترك الرسالة على

الطاولة واستلقى في الفراش ففرق في نوم عميق . وعند الصباح الباكر استيقظ من نومه وأخذ يعيد قراءة الرسالة التي كتبها في عشية أمس . لقد ضمن رسالته هذه كل شوقه وحنينه التي كتبت إليه تكاشفه عن حبها العظيم له .

لم يمض أسبوع على رسالة « ساندرود » التي بعثها إلى حبيبته حتى استلم جواباً عليها . نعم إنها كتبت له رسالة جميلة تضمنها حبها إلى حبيبها وخفايا شوقها المستعر في صميم قلبها . وهذا ما دعا « ساندرود » إلى إصابة حبيبته على الفور . طالباً لقاء قريباً .

هكذا كان « ساندرود » ينتظر يوماً بعد يوم إلى أن مرت فترة طويلة من الزمن ، وظل على هذه الحالة يقاسي لوعة الحب والحرمان إلى أن مر اليوم الذي طلب فيه لقاء مع حبيبته ولكنها لم تحضر ، وفضلاً عن ذلك لم تجاوبه على الرسالة التي أرسلها إليها ما عساه أن يكون أصابها ... ؟ ما هي العوائق التي تمنعها الحضور حسب الموعد المحدد ... ؟ هل تحولت بحبها عنه ، إلى حبيب آخر . !

وأما هذه الظروف الحرجة التي تمر بحياة « ساندرود » كان يتغير مع تغيراتها . من مصائب كثيرة . إلى تسعة من الأمل إلى أن يقضي طيلة أوقاته بين الحزن العظيم ، والفرح الشديد . وأمام هذه التيارات الفكرية المتضاربة نراه يركن إلى الهدوء

والسكينة والفرح العظيم . ما هو فجأة يستلم رسالة من حبيبته
تعلمه فيها بأنها ستعمل في الغد الباكر إلى المكان المحدد . في
تمام الساعة التاسعة صباحاً .

وعندما أقبل الظلام وسكن كل إلى بيته حاول «ساندرو»
النوم مراراً وتكراراً ، ولكنه لم يفلح . وظل مستلقياً على
السرير فترة قصيرة ثم لم يلبث أن نهض ، وأخذ الرسالة من
درج طاولته وبدأ في قراءتها . ومرت بذهنه عدة تساؤلات
عما سيحدث في الغد ، هل ستوافيه حبيبته حسب وعدها ..؟
ألن تفعل كما فعلت في المرة السابقة ..؟ هل هي تحلم بأن
تلتقي به كما يحلم هو ..؟ ثم بعد هذا التفكير قصد السرير
طلباً للنوم ولكنه عبثاً يحاول . وظل كما هو وعاد إلى هذه
الحالة بعد فترة قصيرة من الزمن ، ولبث هكذا إلى أن انبج
الصباح فعاد إلى ثيابه يرتديها على عجل ليقصد المكان المحدد ،
وكان الموعد على الشاطئ فتابع سيره إلى هناك ، وعندما
وصل كان منهوك القوى من عناء المسير ، فجلس على الفور
يراقب البحر والقوارب التي تصل إلى المكان ، وكان كلما أبصر
قارباً ، قال : لربما تكون في هذا القارب إلى أن مضت فترة
طويلة من الزمن وهو على هذه الحالة ، وبين اللحظة والأخرى
كان ينظر إلى الساعة المشدودة على معصمه ، ثم يزرأب
قائلاً : لماذا التفكير بهذا الشكل ..؟ ما زال هناك متسع من
الوقت لوصول القارب الذي يقفها .

www.Librarary4arab.com/vb
والتطل به الحمال في الجلوس على الشاطئ ، لكنه
قرر العودة إلى البيت ، وبالفعل عاد إلى البيت وصعد إلى
شرفة غرفته يراقب البحر ويتفحص ما إذا كان من خطر على
حبيته ، ولكنه تأكد من أن البحر هاديء ولا خطر عليها .

إن هذا التفكير والتفحص من قبل « ساندرو » جدد
الإطمئنان في نفسه ، وجلس على مقعده مرتاح البال دون أن
يحسب لأي مكدر حساباً .

وكالعادة ، بينما هو يجلس على شرفة غرفته وقفت جارته
على الشرفة المقابلة له ثم بادر بالقول بسرعة : كم هو جميل هذا
اليوم .. ؟ وكأنها متأكدة من أن « ساندرو » سيغادر المنزل
لذا بادرت بهذا القول لعله لا يفكر بعد بالذهاب من البيت
ويفكر بها . رغم هذا فقد دخل « ساندرو » إلى غرفته بعد
أن قال لها يبدو لي أن هذا اليوم من أجل الأيام . نعم إن
« ساندرو » أحب هذا اليوم لأنه اليوم الذي يجتمع فيه بحبيته ،
ولذلك أضاف قائلاً : حقاً لا يوجد يوم أجمل من هذا اليوم .

وبعد ان استبدل ثيابه للمرة الثانية نزل إلى الغرفة ليقضي
بعض الوقت لأنه كان يتوقع ان الوقت سيطول به لوصول
قارب حبيته ، لقد كانت الساعة مبهوتة ، لا يوجد فيها أحد
والطاولات عارية ، لكنه لاحظ جماعة قليلة من الناس في
طريقهم إلى الكنيسة فرحين باشعة الشمس الجميلة ، وشاهد أن

أصحاب الحوانيت يرفعون أبواب حوانيتهم ، ثم جلس كل منهم

www.library4arab.com/vb

أمام حانوته ينتظر زبائنه ليدهم ما يريدون .
فجأة ظهرت أمامه امرأة تكاد تكون عارية ، تضع على
عينها نظارتين شمسيتين ، وتتأبط حقيبة ، لقد قطعت المقهى
لتنزل الى البحر لمسافة بعيدة لقد بدا له هادئاً تداعبه الأمواج
القليلة . المنتشرة هنا وهناك وبعد لحظات قليلة أطل عليه
قارب حبيته يسير بسرعة في القنال الذي يفصل الجزيرة عن
تلال اليابسة ، لقد كان القارب يجري ببطء تاركا توججات
وراءه في البحر الرقراق . وما زال «ساندرو» يراقب القارب
بكل تحركاته حتى وصل إلى الميناء ، فبدا له أن جماعة من
ركابه قد هبطوا منه إلى اليابسة . واستقلوا عربة خيل
قاصدين المنطقة التي يسكن فيها ساندرو ولكنه للأسف الشديد
خاب أمله عندما نزل إلى المقهى وأنتظر إلى أن وصلت عربة
الخيل . فنزل كل من فيها ولم تكن حبيبة ساندرو موجودة
في عداد الركاب .

لذلك ترك المقهى وقصد الميناء ، فوقف هناك أمام مدخله .

انتظر هناك ، وكلما أقبلت عربة يعلق أملاً بأن حبيته
ستكون في هذه العربة . إلى أن مرت عدة عربات وهو لا

زال على هذه الحالة منتظراً قدومها . لكن في هذه اللحظة
غمرقه أفكار شتى ؛ ماذا عساه أن يكون أصابها . . . ؟ لماذا

أبرقت إن لم تكن تنوي الحضور . . ؟ هل تعمل على مخادعته

www.library4arab.com/vb
وتعذيبه وتركه يتلظى بأدعيا الانتظار...؟ ولكن مع هذا
كله عاد إلى الهدوء وعمت السكينة قلبه ، وهدأت كل
الإضطرابات التي تكتنفه . إن الأمل يملأ قلبه لكنه لم يستطع
إخفاء عصبية في هذه الأثناء . لقد وقف يسحب سيجارة
تلو الأخرى من جيبه ليمنص منها القسم القليل ثم يرمى بها
إلى الأرض . كان ذلك بسبب القلق لعدم رؤيته من انتظر
بفارغ الصبر . لقد ثارت به الأحاسيس والهواجس فزعاً
عليها .

وفي هذه الأثناء وصلت السيارة الثامنة تقل ثلاثة أو أربعة
ركاب ، ومع ذلك فقد فشلت في إحضار حبيبته .
دوغما تفكير ، سار « ساندرو » على الطريق عائداً إلى
غرفته ، وبينما هو في منتصف الطريق رأى حصاناً يجر عربة
ويسير نحوه ، وبينما هو ينظر للعربة إذا بسيارة تحاول
المرور عليها لتقف فجأة أمامه ، وتقل حبيبته .
وفجأة صرخ ساندرو إليها بصوت عالٍ مرحباً بقدمها
مبدداً من نفسه معالم اليأس والملح . أما هي فقد التفتت إليه
وما زالت بكبرياتها التي كانت الدافع لهجر ساندرو إليها
وللبدة التي تعيش بها .

www.library4arab.com/vb
ظهرت وكأن اللغاة لم يبرما لتقول : إذن أنت هنا !
نعم لقد كنت انتظر بك هذا اجاب ساندرو وهو ما زال
يقف بجانب السيارة ودون الدخول إليها .

ثم تابعت القول ان سبب مجيئها متأخرة كان بسبب
ازدحام الركاب ، ثم اقلت اليه بنظرة متسائلة : لماذا لا تزال
واقفاً ؟ لماذا لا تدخل الى السيارة ؟ علينا الذهاب الى الفندق
اولاً .

صعد « ساندرو » وأقلعت السيارة تحمله حبيته إلى الفندق .
وفيا هما على الطريق قال « ساندرو » : لقد حجزت لك غرفة
أرجو أن تنال استحسانك .

وصل هو فندق مشهور؟ بذا سألت الحبيبة باهتبا المهودة
ابتسم « ساندرو » وقال : انه لفندق مشهور حقاً ،
لكنه في الحال ندم على ما قال - لقد ظهرت وكأنها جملة
بلهاء تخرج من فيه - ثم أضاف . وهل ستمكثين طويلاً ؟
لا أعرف تماماً ؛ فالأمر يعتمد ...

يبدو أن « ساندرو » ندم على سؤاله لذلك قال : طبعاً ،
إذا أحببت المكان فستمكثين طويلاً والا فتصرفين ؟
- تماماً ؛ بذا أجابت حبيبة « ساندرو » ثم أضافت :
انك تبدو فرحاً اليوم رغم اني لا أعلم السبب لذلك .

عض ساندرو على شفثيه حق نرف الدم ، ولم ينطق بأي
كلمة الى أن وصلا الباحة فسأل السائق كم يريد . نقده ما
طلب ثم انتبه ساندرو الى ان الاجرة مضاعفة فصرخ بالسائق :
إن هذا لكثير .

- تعال إلي .. لم هذا الجدل الطويل .. قالت حبيبة

ساندرو وهي تنظر حاقدة ، وهذا ما دعا ساندرو لنقد ما

طالبه السائق وعض على شفطيه .
لقد قطعاً الباحة ثم تسلفاً شارعاً بين البيوت البيضاء . كان

ساندرو يحمل حقيبة امتلأت بثياب حبيته بينما سارت الحقيبة
أمامه تنظر الى المشاهد الخلابة بأبهة وإعجاب .

وبين الفينة والاخرى كانت تقف لتنظر الى قمة الجزيرة
تأمل بناءها . وبعد أن قطعاً البيوت أتت الى سور مخضر
حيث على قدمه وقف الصبيه والبنات يرقبوننا حيث نسير .
- انه حقاً لمكان جميل .. ذلك كان تعليق الحبيبة على
ما رأيناه من أماكن جميلة .

ورغم أن أقوالها كانت مبسطة وتخلو من الفلسفة كان لها
التأثير الاكبر من أقوال ساندرو الخارقة النامية .

كان ساندرو يحاول النطق بمستوى مفهومها وإدراكها
عندما قال : انه لمكان رائع وكأننا بجم .. حلم الاثنين معاً
بعد هذه الفسحة الطويلة وقف أمام المنزل حيث أتت
ساندرو الحقيبة من يده ، واخذ مفتاحاً حديدياً من جيبه
وأدخله ثقب المفتاح المخضوضر القديم . لقد دخلنا . الخلاصة
شرفة البيت .

- كما تلاحظين ، اضاف ساندرو ، لقد كان هذا البناء
ويراً يجمع الاتقياء ورجال الدين حيث تقام الصلوات والابتهاالات
ثم تحول الى بيت مع مرور الزمن تمتلكه عجوز تدبر شؤونه

لقد حجزت لك غرفة مقابل غرفتي ، لكن في هذه اللحظة
يمكن ان تدخل غرفتي .

لقد دخل الاثنان معا حيث خفت لتوها إلى المرآة بينما
جلس ساندر و يرقبها من على حافة سريره ، كم كان سعيدا في
مراقبتها حيث لم يستطع ابعان النظر بها ، وهما على الطريق
خوفاً من اظهار حقيقة شعوره نحوها .

لقد كانت ذات عينين زرقاوين تسطعان في وجهها مضية
عليه رونقا وجمالا ، هذا بالاضافة الى جدائل خلاصة منسلسلة
على كتفها تبعث على الراحة النفسية لكل من نظر اليها . اما
القد المياس فقد بدى كعود الخيزران استقامة ورشاقة .

كانت الرحلة لحبيته شاقة وطويلة بما دعاها للاستراحة ،
وبعد بعض الوقت نهضت ثانية تنظر بالمرآة وتتمتع للحن اعتاد
ساندرو سماعه عندما كانا يجبان بعضهما وقبل الفراق .

لقد بقيت تتمم ووضعت يديها على وركيها ثم أنطلقت
بالأغنية بصوت جهوري ، لقد أثار هذا الصوت ساندر و
واندفع لرؤيتها .

في هذه اللحظة أطرقت برأسها إلى أسفل ، وأدارت
ظهرها كأنها تريد بذلك عرض كتفها على ساندر و . لقد
عرفت أن غنجها لا يقاوم ، والحقيقة تقال أنه عند اقترابه
منها لم يستطع تمالك نفسه بل اندفع بكل قوته يسك بذراعيها
وهنا لم يكن بد من ان تتوقف عن الغناء لتقول :

عليك أن تسلك مسلك الرصانة .

كان لهذا التحذير أثره السيء في أعماق ساندرو فصرخ قائلاً : ان شئت الذهاب إلى غرفتك فهاك هي الطريق ، وما ان سار ساندرو نحو الغرفة وسارت هي وراهه حتى أطلت من النافذة الابنة الشقراء التي سرعان ما فتحت فيها للتحديث إلى ساندرو ، إلا أنها فوجئت بمرافقته لحبيبتة فاحجمت عن ذلك .
- من تكون ؟ سألت حبيبة ساندرو .

- لا أدر .

- دونك وهذه الاجابة ، انك تعرفها جيداً . إنني اراهن على انك تكلمت معها سابقاً .. لقد كان في صوتها مخز لا يدعو للحسد .

ورغم هذا فقد اجاب ساندرو ضاحكاً مذهولاً لشكوكها لعدم وفائه لها . ثم عرف انه يقع في مخادعته لنفسه فوقف حائراً حزيناً .

هذه غرفتك . قال ساندرو بإيجاز هنا وقفت الحبيبة لتقول : لا ادري ان كنت سأقضي الليلة هنا ام اني سأسافر بعد ظهر هذا اليوم ، من الواضح انها كانت تعيسة بإجابتها هذه مقدار حب ساندرو وتعلقه بها .

اما ساندرو فقد أدرك ما تعني ، وبما ان اليأس كان يستولي عليه فقد اجاب قائلاً : افعل ما تشائيه ، لقد مالت المراوغة والخداع .

وللتو وقفت حبيته على نواياه فأسرعت قائلة : وهل حفا

انك غاضب ؟

لا ، قال ساندرو عارلاً ونزع ذراعه على خصرها ولكنها

ابتعدت عنه بالحال .

ما زال هناك متسع من الوقت ... اعطني الوقت الكافي

لاعتاد على ذلك .. وعلى كل حال فإنني لست متأكدة من

بقاتي هنا .

- ما رأيك بالاستحمام ؟ بدأ سأل « ساندرو » ،

- لا بأس بذلك .

- بعد ان جمعنا كل ما تحتاجه على البحر بحقيبة صغيرة

سرتنا سوية بعضاً من الوقت ، ثم دعوتها للسير أمامي . كنت

أقصد بذلك النظر اليها دون أن تلاحظني . ولكن يبدو أنها

لاحظت ما كنت أقصده فطلبت مني السير جنباً إلى جنب ..

انني لا أستطيع رؤيتك تسير خلفي لتثبت أنظارك بي .

- لم أكن أنظر اليك ، أجب « ساندرو » . وهكذا

قطعا الساحة وسارا إلى البحر . لقد استدار الممر الى حدائق

ملية بالأشجار وعلى جوانبه تنساب الأعشاب الخضراء وتحيط

به البنايات . لقد قال « ساندرو » ان البنايات كانت قد

اشيدت منذ خمسين سنة . بعد أن قطعنا هذا الممر أطل

البحر حيث تنتشر الصخور على شواطئه .

- اي امام ، بدأ سألت حبيته ساندرو وتوقفت تنظر

إلى حدود البحر .

- انه هناك ، قال ساندرود ذلك مشيراً إلى بعض الاكواخ

البعيدة المشادة بين الصخور على محاذاة المياه في أسفل الجزيرة .
هكذا نزلوا الى طريق منحدره ثم أسرعوا في سيرها قليلاً

قائلة : أسرع .. فأسرع ، ثم ركضت بكل قوتها حيث لحق
بها ساندرود . لقد أصبح البحر قريباً وقد ظهر هادئاً يكاد
ينخلو من الامواج ، وعندما وصلوا شاطئ البحر لم يك سوى
نفر قليل من البشر مطرفين برؤوسهم الى أسفل ومكلمين
رؤوسهم بمناشف تحميهم من حرارة الشمس .

لقد قاد ساندرود حبيبته الى الحمام لتخلع ثيابها ، وبعد أن
أقفلت الباب عليها لبضعة دقائق خرجت بثوب الحمام البني
اللون .

بعدئذ دخل ساندرود بدوره ليخلع ثيابه ويخرج بثوب
السباحة . بعد أن فعل ذلك سار خلف حبيبته على الشاطئ
جنباً إلى جنب ، حيث الشمس الحارة ترسل أشعتها على الحجارة
المتراكمة على شاطئ البحر ، فشمع ساندرود يجريق ينال منه
قدميه أخذ ساندرود يتراقص من شدة الألم بينما كانت حبيبته
أكثر اتبهاً وحذراً ، إذ انها سارت عبر زاوية هادئة يظلها
فيء الصخور . لقد جلست وطلبت من ساندرود أن يمسح لها
ظهرها بالزيت .

أخذ ساندرود الزجاجاة وصب قليلاً منها على يده ، وأخذ
بذلك ظهر المرأة النعيف ، لقد كان ظهرها منعياً لدرجة انه
استطاع لمس عمودها الفقري تحت جلدها .

بعد أن انتهى من مسح ظهرها أخذت بدورها تمسح ذراعيها وصدرها ثم وضعت حراماً على الصخور واستلقت على ظهرها ،

إن جسدها الذي تماوج عندما مشت ، أضره وفاقاً وتناسب الآن حيث كانت مستلقية دون حركة . لقد ظهرت كتفاها المريضان من أعلى ثم تضيقان عند خاصرتها ، أما وركاها فممتلئان ومستديران ورجلاها متناسقتان من الفخذ وحق أخمص القدم دونما الطنحة أما فخذها فقد أظهرت تراخياً في البشرة مما دل على أنها ليست صغيرة السن .

كان « ساندر » ممتدداً على معدته رغم أنه شعر بأنه ليس بوضع مريح ، لقد دفع وجهه نحوها ليسألها : بم تفكرين؟ ثم أردف قائلاً ، لم أكن أتوقع رؤيتك ثانية ، لقد كنت مصمماً على عدم الاجابة على رسالتك البتة لمعاملتك الي بقت . وهنا انتاب « ساندر » شعور بالارتباك لأنه كشف عن أمور كان عليه تخبيتها . ثم اختتم قوله مهدداً : انني أعرف سر الجفاء .

– لماذا ؟ بذا سألت حبيبتة

– لأنني أظهرت لك حيي وعلى جناح السرعة ... وقد

اخبرتك بذلك عدة مرات .

لقد فتحت حقيبتها وتناولت سيجارة قدستها إلى « ساندر » لكن هذا الاخير رفض السيجارة . وكان لهذا الرفض أثره

على حبيته التي شرت من شدة الألم بنعاس يسيطر عليها .
قالت : انني أشعر بالنعاس ، دعني أرتاح هنيئة ، ثم وضعت
رأسها بين ذراعيها وأطبقت عينيها .

لاحظ « ساندرو » ان سيجارة ما زالت تعلق بين شفثيها
فأخذ يسأل : كيف يمكن الرقاد والتدخين بآن واحد ؟
- سأدخن قليلا ثم أنام بعدها . بهذا أجابت .
- سأدخن قليلا ثم أنام بعدها . بهذا اجابت حبيبة ساندرو
بكل تودة .

عاد ساندرو يقول : إن ذلك مضر لصحتك . فشارت
الحبيبة لتقول : ولماذا كل هذه الثمرة ؟ دعني اتمتع بسكون
تام لأتذوق بعدها دفء الشمس .
لقد صر ساندرو على أسنانه والتفت يمنة ويسرة ثم القى
بنظرة شذر عليها كادت تحل قواها . ثم اعلن عن عزمه على
النزول إلى الماء .

أما حبيته فكانت ما تزال تقطب جبينها دون التفوه
بكلمة واحدة : فكر ساندرو بطريقة يعيد انتباه حبيته اليه
فلم يجد سوى الوقوف على رأس صخرة عالية والتظاهر بالقاء
نفسه عنها رغم انه لم يكن يجيد القفز .

لقد تسلق صخرة عالية ، ووقف منتصباً كأنه يتأهب
للانزاع ، لكنه قبل أن يفعل ذلك نظر إلى الماء وأمعن النظر
فأحدث له ذلك دواراً في رأسه وهبط إلى الصخرة فاقعد

الوعي ، كل ذلك والحبيبة كانت غائبة في عالم التفكير ، لذلك

لم تشعر بكل ما حدث لساندر .
مرت دقائق طوال دون ان يستعيد ساندر قواه ، ولما

استعاد وعيه عاد يفكر كيف يمكن استرضاء حبيته فلم يجد
سوى الوسيلة الأولى . فقرر أن يعيد الكرة ثانية ، وفي هذه
المرّة مدّ يديه وصرخ اليها وقفز الى الماء ، لكنها رغم الصراخ
لم تأبه لما يفعل ، وبعد ان هوى الى الماء مطبقاً عينيه وبداه
فوق رأسه لم يجد بدأ من السباحة والعودة الى الشاطئ ثانية .

لقد ظهر له أنه سلك طريقاً طويلاً ولكنه عندما خرج
من الماء لاحظ انه لا زال بجانب الصخرة التي قفز عنها فخرج
إلى الشاطئ ليجد حبيته ويجانبها سلة مليئة بالصفد وولداً
قد طال شعره يجلس القرفصاء يكسر لها الصفد بسكينه ، ثم
يعصر الليمون عليها .

- هل رأيتني ؟ بدأ سأل ساندر وهو يلهث صاعداً
اليها على حجارة تلتهب من حرارة الشمس . وأضاف : لقد
قفزت من أعلى الصخرة ..
رغم كل ما قاله فانها لم تحفل بقوله ، بل تناولت صفدة من
الصبي والتهمت الحيوان من جوفها .

- هل تريدن النزول بقارب الى البحر ؟
فأجابت بكل حياء : دعنا نزل .

أسرع ساندر الى حافة المياه وصدق بيديه الى حارس

الحمام الذي جاءه بقارب صغير ، وهنا صعد الى القارب ومد ذراعه لمساعدة حبيبتة ، لكنها فضلت مساعدة الحارس لها فقبضت على يده وقفزت الى القارب .

أخذ ساندر و المجاذيف وأخذ يحذف بكل سرعة في بادئ الامر لاجراج القارب من مرساه .

بعدئذ اراد الالتفاف حول صخرة مستديرة عالية ، فقد عرف أن خلف هذه الصخرة لم يكن يوجد مستحمون ، كما انه لم يكن حمامات هناك ولا شيء سوى الصخور والبحر .

لقد كان هذا البرزخ بعيداً اكثر مما قدر له ساندر و ، وعندما وصل اليه وجد ان الصخرة محاطة بضفاف غمرتها الاعشاب ، كما وان مياه البحر تجري فوق هذه الضفاف ذهاباً واياباً ، كما وجد سرداباً تكسوه الصخور سار اليه بقاربه وهناك حاول مغازلة حبيبتة .

اما هي فقد سألت : لماذا جئت الى هنا ؟ فاجابها بصوت خافت : لكي ننفرد لوحدها .

لم يعجبها هذا القول ، وانما أخذت تفكر بوسيلة للتخلص من خدعة ساندر و لها ، وهكذا سألت :

— كم الساعة الآن ؟ أظن اننا قد تأخرنا والاجدر بنا أن

نعود من حيث أتينا لأتمكن من العودة الى قريتي .
هنا التفت ساندر و إلى ساعة يده ليعلمها الوقت ، ولما

علمت ان الوقت كان قصيراً مشت في القارب تضرب برجلها

فتعثرت وهوت الى الماء ، ثم عادت تمسك بطرف القارب للعودة اليه عندما لف ساندر و ذراعاه حولها يحاول مساعدتها .
وفجأة رأى ساندر و نفسه منكبا على تفيلها دون ايما إنذار . وكان من البديهي في بداية الامر أن يتحسس وكأنها تبادلته القبل ، ولكن بعد أن استفاقت لما هو فاعل حاولت سحب شفيتها ، ولكن ساندر و كان أكثر فطنة فقد لف ذراعاه حول عنقها محاولاً منعها من الابتعاد عنه .
كل هذه الحركات أثارت حبيبة ساندر و فانتفضت بكل قواها واستطاعت التخلص من بين يديه .

لقد قالت بصوت فظ لاهث يجب علينا أن نعود . لقد أعلمتك منذ البداية ان هذا السلوك لا يناسبني ... فأنا فكرت في البداية في البقاء هنا فقد قررت الآن ... انك فعلت ما يدعوني للتصميم على الذهاب .

- بل كذابه انت ، بذا أجاب د ساندر و ، انك منذ اللحظة التي قابلتك بها وأنت تصميمين على الذهاب . منذ الدقيقة التي وصلت بها لم تفعل شيئا سوى التحدث عن الذهاب .
- نعم ، ولكن ربما كان بإمكانني البقاء لو لم تسلك هذا المسلك ، أما الآن فقد انتهى كل شيء وأنا مصممة على العودة في الحال .

- إذن لماذا تبادلتي النية ؟

- هذا ليس صحيحاً . لقد أمسكت بيدي .

ولم أستطع الأفلات منك ، وهنا خيم السكون برهبة
وروجل ، وكانت المرأة تفكر بتمنى بجا ساندرو أخذ يحدث
عائداً الى المرساة ، لقد ظل طويلاً ساكناً ثم انفجر قائلاً لا
بأس في أن تعودى ولك الخيار بذلك ، لكنه اود ان ألفت
انتباهك بأنه ليس لك من حاجة بالبقاء على هذا النفور ، ولو
خلال الساعتين المتبقيتين على ذهابك ، لقد كنت تهوين السباحة
دعينا نترك ما حدث ولتستحي الآن ثم أخرجك الى
الشاطئ .

كانت الاجابة على طلب ساندرو نظرة عرف من خلالها
انها اغريت بقوله ما هي تتابع القول لا بأس من البقاء شريطة
ألا تحاول عمل اي شيء آخر .

اوقف ساندرو القارب وانتصبت هي بداخله ثم وضعت
قبعة مطاط على رأسها مصففة بعض الخصال خصال شعرها
المتدللية واخذت تنظر الى البحر .

وهنية ، وبعدها استجمعت قواها لتقفز الى البحر بكل
ثقة ، لقد أحنت رجلها ثم قفزت : الى الماء بادئة برأسها
أولاً فكان اخر ما رآه ساندرو فخذيها السراوين مخترقان
المياه الزابدة .

يبدو ان المياه الباردة اسرعت في حث حبيبة ساندرو
على الخروج سريعاً . ولذا أمكنت حافة القارب تحاول
الصعود اليه ، ولما سأل ساندرو إن كانت تود العودة كان

الجواب بالنفي . لذا فقد اقترح عليها ان ينزل هو بدوره
ليستحم .

بعد ان التفت بالجهدات داخل القارب . قفز الى الماء ، ولم

تكن قفزته تلك موفقة إذ سقط على معدته فأصيب بألم شديد ،
ومع ذلك فإنه تابع السباحة واثقاً من ان من اراد معرفة شيء
ما يعاني ألوان العذاب .

صعد ساندرو ، بعد ان اكتفى بقدر من السباحة ،
فصعد الى القارب ليجلس بجانب من احب ، وبعد ان ساد
الصمت فتره قصيرة ابتداء القول من جديد :

لو شئت لاخذتك بين ذراعي واثبتك تحت الماء حتى
تفرقي ... ولا احد يستطيع الهيم لنجاتك . كان ساندور
ينطق بمثل هذه العبارات والابتسامة تملأ فمه وتعم قلبه . اما
هي فقد عرفت ان ما يقول غير ما يغمر لها في صميم فؤادة ،
لقد ادركت أنه يود بدء نوع من الغزل الجديد ليشق بذلك
طريقاً لأقناعها بالبقاء معه .

لقد كان حدسها مصيباً ، اذ بعد الأخذ والرد بما فكه وطاب
من آيات المحبة والعاطفة اندفع بكل ما أوتي من قوة يرجو من
احب البقاء ليوم اخر على الأقل .

وهكذا بين الأمل والفشل انكب ساندرو على التفكير
بما عساه ان تكون النتيجة ان ادارت وجهها اليه لتقول :

لا تمازحني في البحر فانا لا أستطيع تحمل هذا المزاح .

www.library4arab.com/vb
- انك تعتبر في هذا مزاحاً اليس كذلك ؟
وعندما لم تجبه حبيبتك أمسك ساندر و بطرف القارب ثم
قفز اليه وجلس بين المجدافين . عندها تكلمت قائلة اتبعني
بقاربك فانا انوي السباحة حق الحمامات . فأجابها قائلاً :
ليكن ذلك .

وقفزت من القارب وبدأت تسبح بينما لحق بها ساندر و
يحذف بقاربه ، لقد قطعاً مسافة طويلة انهكت قواهما
والسباحة الطويلة كادت تقطع انفاسها وتنهك قواها ، كما وان
حرارة الشمس قد احترقت ساندر و . ولكن عناد كل منهما
دعاهما للاستمرار ، ولو أدى إلى فقدان حياة كل منهما .

ومضت لحظات سمع ساندر و خلالها صوت استغاثة فالتفت
اليها ليرى انها تكاد تفرق في البحر ، فأندفع اليها بكل قواه
وما هي إلا ثوان حق كان ينتشلها الى القارب بجانبه . ثم تابع
التجديف إلى أن وصل بقاربه لبركة صغيرة استطاع عندها
إيقاف القارب لينظر اليها تعباً منهوكة .

بعد تركيز القارب والاطمئنان اليه عمل ساندر و بكل قواه
لاسعاف حبيبتك ، فبين التديك والتشجيع استطاع ان يعيد
اليها قواها ، ما هي الا لحظات حق اطلت عليه ببريق عينها
ونضارة وجهها والابتسامة الضراء على حبيبتك ، فانارت له
القلب من جديد ،

عاد « ساندر و » من جديد لأمل كاد يفقده : أمل اقناع

حبيبته بالبقاء . ويخيل للقارىء أن ساندر و كان يعاني نزاعاً
نفسياً ، فهو يبدو قارة فرحاً طروباً لسماعه كلمة ود ومحبة ،
ثم ينقلب رأساً على عقب مجرد التحول . تحول الحديث من
الهزل إلى الجدية ، فبعد أن استفاقت حبيبته لم يهدأ له بال
إلا بالوقوف على رأيها النهائي ، فنراه يتساءل : لماذا تصرين
على الذهاب ؟ إن بإمكانك قضاء ليلة هنا لنستحم ثانية عند
الصباح ، ثم تغادرين بعد الظهر .

لقد كان ساندر و يخشى الاجابة بالرفض بعد هذا كله ؛
ففكر في العودة للقارب لاقتلاع أحد مجدافيه ليضرب به
رأسها . لكن كم كانت دهشته عندما ارتأت اليه مشيرة
بالموافقة . ثم أشارت اليه بالاقتراب منها حتى إذا ما فعل
غمرته بكلتا يديها وطبعت على فمه قبلة . لأول مرة وبعد
اشتياق طويل استطاع ساندر و أن ينال ماربه . لقد أحس
بعذوبة قبلتها بالنهاية .

بعد أن ابتعدا سأها ساندر و غاضباً :

– لماذا تتصرفين هكذا ؟

– ليس هناك سبب البتة سوى انها رغبتى فى أن أفعل

ذلك .

كان يبدو أن الجو أخذ بالتغير ، وأخذ الحنان يحل مكان
الجفاء ، فقد أقبل الغيث بعد الجفاف ، هكذا كان تعليق

ساندرو أم على الأقل هكذا كان شعوره لهذا التبدل الطاريء
فبعد العناد الطويل والتصميم القاطع على الرحيل حلت الليونة
والرضا في البقاء مع ساندرو .

ورغم ذلك كله وقف ساندرو صامتاً حائراً ، لقد ملأه
الأمل والفرح - أمل تجديد العلاقة - علاقة الحب التي أسف
لفشلها في البداية ، وفرح من أن لا تكون إلا خدعة لا تخدم
إلا لوقت قصير ، لقد أحس «ساندرو» كذلك المرة الذي كان
يطارد يراعة ، وقد سهل عليه ذلك في بداية الأمر حتى إذا
ما اقترب منها ولت الأدبار فكان الفشل نصيبه .

وبينا كان ساندرو يحلل ما دار بخلده من أفكار شق عاد
إلى التجديف ثانية حتى اقترب من الشاطئ، ليرى البشر
منتشرين جماعات ووجدانا، لقد عج الشاطئ بالرجال والنساء
والأطفال ، انه لمنظر ممتع حقاً أن يرى المرء الآخرين بغاية
لمسرة .

ومها تكاثرت نوعية الأفكار التي راودت عقل «ساندرو»
فقد كان شغله الشاغل الاطمئنان إلى بقاء سيده معه ولو
لوقت قصير - ليلة مثلاً أم اثنتين ، لذلك نراه بين الفينة
والأخرى يتحول أوتوماتيكياً ليتساءل :

وما هي فبين الغنج والدلال سمعها ترد : سأرى كيف

تسير الأمور بعد تناول طعام الغداء ، ويبدو انها كانت تحس
بسعادة نفسية في إبقاء ساندررو حائراً في أمرها ،
والحيرة دون شك تولد الكراهية واليأس ، لذلك يترامى
لي أن ساندررو واليأس قد ملأ قلبه أمسك بالمجداف وتابع
التجديف بقاربه ، أما هي فقد حدقت بالأفق البعيد بعد أن
أدارت ظهرها له .

ونتيجة لذلك كان ساندررو قد مقت حتى التطلع اليها ،
إلا أن عينيه كانت تعلقان بها عنوة عنه ، فيجد نفسه بعد أن
استفاق محذقاً بها ، لقد كانت تجلس والسيجارة تكاد تختفي
بين شفتيها ، كما كادت الشفقة تختفي من قلبها لتقول :

– ان الغرفة التي استأجرتها لي لا تناسبني .

– أوافقك على رأيك .

بذا أجاب ساندررو ، وأضاف : انها ليست الغرفة اللائقة
بمقامك . واني لأرجو المذرة وآمل أن أستطيع استئجار
غرفة لائقة بك في احد الفنادق لو قدر لي أن أعرف ما تنوين
فعله – لقد أشار ساندررو إلى حينها بالبقاء أم الرحيل ليعرف
كيف يتدبر الأمر .

وهنالك أماكن للنزهات ؟ لقد كانت هواية حبيبة ساندررو
السباحة والنزهات ، ولذلك شامت بسواها الاطمئنان إلى
تيسير كل ما تهوى .

هناك مجالات واسعة للقيام بنزهات إلى أماكن وافرة .
وأظن أنك لا تتأين العيش هنا البتة . إن قدرة الخالق قد
أبدعت في إضفاء كل معالم الجمال فوق الجزيرة ، إن من عاش
عليها لحيل إليه أنه في نعيم الجنة .

بعد نزهة طويلة في عرض البحر عاد ساندر و سيدته إلى
الشاطيء الرقراق ، وكان بانتظاره الحارس الذي عمل على
إنزالهما . لقد دخل ساندر و الحمام لاستبدال ثياب البحر ، كما
فعلت هي أيضاً . بعدئذ اقترح عليها إبقاء ثياب الحمام عند
الحارس ، عندما رفضت هي قائلة :

— ولكن ما عساه أن يفعل لو شئت السفر اليوم ؟

كان لا بد هنا لساندر و اجمال قول سيدته ، فتظاهر بعدم
الاكتراث لما تقول . لقد قال : إذن لك ما تشائين .

هكذا فقد أخذ ساندر و وحبيبته السيارة التي اكتسحت
الطريق بين الجنائن والورود إلى أن وصلا المكان المنشود ، وبعد
أن ترجلا من السيارة أخذ ساندر و يتساءل : هل يمسك يدها ،
وهل يدعها تتأبط ذراعه ؟ .. لقد عاد بذكرياته للأيام القلائل
الأولى حيث الود وال عاطفة ، كان الشغل الشاغل لهما ، فكان
إذا ما يمسك يدها تأبطت ذراعه وضغطت بكل قواها ثم
تنظر إليه بعينين مملوءتين الحنان والحب ، وبالنهاية لم يجد بداً من
أن يمسك بيدها قائلاً : ما أجملها بقعة نحن عليها اليوم ! لقد
زاد جمالها يا من أحببت !

ورغم انها لم تتفوه بكلمة إلا انها أدارت له ظهرها مفكرة

www.library4arab.com/vb

فيا يفعل .
وهمس ساندرو قائلاً :

- ما بك يا «الينا» ؟

- انك لم تتغير يا ساندرو .

- وماذا تقصدين ؟

- إن ما أقصده هو انه ليس بالوقت ولا بالمكان المناسب

لإبداء العواطف .

وفي هذه الاثناء كانت تمر بجانبها عربة أقلت رجلاً وامرأة
وهما في مقتبل العمر ، وقد تشابكا الايدي وأحنت الشابنة
رأسها على الرجل ، فكان بذلك طريقاً لساندرو لإبداء رأيه
صراحة إذ قال :

- يبدو ان الوقت والمكان يناسبان لمن هم كهؤلاء .

من الواضح ان «ساندرو» قصد بذلك توبيخاً مبطناً

لحبيبتة .

كان بهذا الوقت قد استأثر الجوع «ساندرو» وحبيبتة
الينا، فقررا دخول أول مطعم يصلان إليه . وهما هما يدخلان
المطعم ، وقد ظهر انه خصص لأصحاب الذوق .

www.library4arab.com/vb

جلس «ساندرو» قبالة الينا ينظران إلى لائحة الطعام ،

وقد خيل اليهما ان كل ما في المطعم لا يكفي لسد جوعهما

وانهالا يطلبان اصنافاً عدة مما لذ وطاب ، بهذه الأثناء اقتربت
ابنة صغيرة تحمل زجاجة خمر لذينة . فطلبت «الينا» تذوق
بعض الخمرة وكان لها ما ارادت :

- إنها خمرة منعشة أليس كذلك ؟ بذا سأل « ساندر»
فأجابت «الينا» والعاطفة تملأ منها القلب : نعم انها رائعة
حقاً الشكر لك لاهتمامك الرائع بي .

بينما كان « ساندر» يخشى على حبيبته ان تفقد وعيها
من جراء احتساء الخمرة ، كان ان وقع نفسه تحت شدة
وطأتها لقد أحس بدوار برأسه وبدأ يمارس حركات لم يجرؤ
عليها لو كان يقظاً ، لقد وضع يده على وجه «الينا» وأخذ
يتحسسها ، ثم انطلق بحديث ثم عن حبه قارة . وعن الأمى
الذي يحز قلبه قارة أخرى .

لقد شعر ان «الينا» قد تحس بالملل فاقترح تلاوة قصته
عليها ، وقد بدأ بقصة هزلية بعد أن لمس منها التشجيع على
ذلك فقال :

هناك سيدة أحببت رجلاً ... ولما لم يكن الحديث يروق
لها قاطعته بقولها عرفت ذلك فستحول « ساندر» لقصة
أخرى بتلو غرام رجل وطريقة إظهاره لغرامه ، يبدو أن
القصة لم تروق لها أيضاً مما دعاه أن يحول لقصة أخرى أكثر
إيجابية .

وفجأه ، ظهر ساندر و يتحول بحديثه ليقول :

هل حتماً تحبينني يا «إلينا» ؟ وقد اتبع سؤاله هذا بقيلة
طبعها على شعرها ، لقد أحس أن : «إلينا» ترتعش ، فظن
ان ذلك ناتج عن سرورها بقبلته ، في حين أنها جلست دون
أكثر ذلك وقد أحنت رأسها فوق الطاولة والسيجارة ما
زالت بين أصابعها .

بعد ان فارت عاطفة ساندر و احتضن «إلينا» وهنالتفتت
اليه لتصرخ بغضب وحدة ولتضرب بيدها على ظهره وتقول :
لا تلمسني ، أرجوك لا تلمسني ، وقد صرخت «إلينا»
بقسوة وعنف فشلت له اللسان ووقف صامتاً ينظر الى عينيها
المحمرتين وجبينها المقطب ، ثم ازاح ذراعيه وابتعد عنها
ليجلس في الكرسي المعد له . بعد هذا نهض ليقول : لا مانع
من الابتعاد عنك وعدم احتضانك فأنت لست أهلاً للحب
والمداعبة ..

- لا ، بل أنا لا أستطيع تحمل أمتداد اليدين إلي - ثم
اجهشت بالبكاء . لقد عز على ساندر و رؤية الدموع وقد
ملأت العينين الزرقاوين فاحترار من امرها - ما عساه أن يفعل
كي تبادله الحب والاستجابة ، لا أنه ليس هنالك من وسيلة
فالتطبع قد غلب التطبع ؛ أنها لم ولن تحب ، فالقسوة
والعناد طبيعتها . ما هي تقف منتصبة لتقول بحدة متنامية :
دعنا نرحل .

لقد كان على ساندرود دفع فاتورة الحساب فنادى النادل،

لماذا الخرض ، وفي هذه الأثناء جلست إلينا مثبتة نظرها إلى البحر رغم أنها لم تستطيع رؤية ما حولها بسبب الدموع التي ملأت عينيها. بعد أن دفع ساندرود الحساب؛ انتصبت في الحال وخرجت من المطعم دون الانتظار لمرافقته، لقد أسرع المسكين للحاق بها ، وبعد هنيهة زمنية استطاع الوقوف بجانبها ليقول معذراً : لو كنت أعلم أن هذا يمس مشاعرك لما فعلت ما فعلت .

إنني أفضل دفن حي وعواظفي على ايذاءك . أظن أنك تعذرين لي تصرفاتي الناجمة عن حب مجرد خالص لجمالك .

كان لا بد هنا ان تبادل « إلينا » العاطفة بالعاطفة إذ نراها فجأة تعتذر عما بدر منها نتيجة لعصبيتها التي لا تطاق وأضافت : ليس الدافع لأقارة عصبتي سوء تصرفك ، بل أنها عصبتي تحتم علي هذا السلوك .

مسكين ساندرود لقد وثق بقولها وتحول من الانفعال إلى الرضى - وعين الرضى عن كل عيب كيلة - لقد نسي أو تناسى على الأقل الحياة المريرة التي يعيشها مع « إلينا » لقد امتلأ قلبه بالأمل لمجرد سماع كلمة عذبة من « إلينا » وأقتلع

جميل أن يحيا المرء بقلب ناصع البياض وجميل أيضاً أن

يختبر الحياة بتجارب عدة يمر بها ، انما للصبر حدود ، وللين
والعنف حدود ايضاً . ما عسى أن تكون النتيجة النهائية ؟
هذا ما سوف ينتهي اليه ساندرو .

يبدو ان « الينا » أحست باللوعة الجارحة لقلب ساندرو
وبدأت تخامرهما الوسوس والشكوك مما قد يخفي لها القدر ،
فكان ان عملت على ارضاء مشاعر ساندرو بغنجها ودلالها
قبالته :

عندما وصل الأثنان معاً إلى الغرفة المعدة وقفت تتأبط
ذراع ساندرو مشيرة إلى أنه لن يكون بعد اليوم دافع للقهر
والأزدواجية . أنها ستكون الحبيبة المستعين بقلبها كل عاطفة
ومشاعر وأحاسيس بل أنها ستكون ملاك الرحمة لساندرو ،
وليست بشيطان الجحيم كما مثلت في الأونة السالفة .

خيل الى ساندرو ، بعد ان لمس هذا التحول بتصرفات
« الينا » ان الفردوس سيكون مأواه ، فدخل الغرفة مفعمل
القلب بالأمل في عناق إيلينا والاستمتاع بحبها كما يشاء ويتمنى
لقد خلق هذا الشعور اللسان الطلق المعبر في ساندرو ، لقد
بدأ يعتذر لحبيته عدم تمكنه من تهيئة غرفة تليق بحبها ، ثم
أردف قائلاً : رغم كل مساوىء الغرفة فهناك حسنة واحدة
هي بعدها عن الضوضاء والضجيج مما يهيء الجو الملائم لحبنا
ومشاعرنا المنهبة .

فجأة ، وقفت « الينا » تقول انها تعبئة للغاية ، وانها تود

الرقاد المبكر ، عندئذ أقفل ساندرو الغرفة وعاد يقف وراءها
وكانه يتحفظ لسانها وتقبلها . لكنه قبل أن يفعل ذلك
تساءل ان « إلينا » غاضبة عليه .

لقد أظهرت « إلينا » أن لا شيء يدعو للحق والغضب ،
بل ان جميع تصرفاته تبعث على الاطمئنان . ان الدافع الآن
لابتعادها عنه هو نعاسها المتزايد . لقد هرعت « إلينا » إلى
سريرها واستلقت عليه للرقاد .

— ماذا علي أن أفعل ؟ سأل ساندرو ؛ هل اتركك
وشأنك أم انك ترغبين في البقاء في غرفتك ؟ انك الأمرة
الناهية ، وما علي سوى الطاعة العمياء .

عند هذه الرقة لم تمنع « إلينا » في بقاء ساندرو في غرفتها
فأخذ يرقبها في سريرها . انها تضع ذراعها فوق عينها
تتأهب وتتمايل ، ونتيجة تقلباتها من جنب لآخر ظهرت
قراين قوامها فأثارت فيه العاطفة فاستلقى بجانبها ، ومع ذلك
لم تتحرك البتة بل تظاهرت انها في سبات عميق . هل يترك
ساندرو حبيبته وشأنها أم ماذا يفعل ؟

لم يتالك ساندرو نفسه بل قفز منتصباً ثم نادى عليها يقبلها
بعنف وحرارة .. ماذا وراء هذه القبل ؟! .. يكاد الجواب
يكون واضحاً - بل لا وهو العودة للعنف .

وقفت « إلينا » بوجه ساندرو متدمرة حانقة قائلة : إنني

أود الرقاد ... لقد أعلنتك ذلك مئات المرات لم لا تدعني
وشأني ... ماذا يمكن أن أفعل للتخلص ؟

هذا بالإضافة إلى همسات تفوهت بها «الينا» فأثارت
ساندرو ليصنع منها الوجه بشدة .

يبدو انه طفح الكيل ، فلم يستطع أن يتحمل أكثر مما
تحمل من «إلينا» فقام ينتقم ويعنف هذه المرة ، لقد أتبع
الصفعة بدفعة عنيفة ألقتها على السرير وقد ارتطم رأسها
بالحائط . بعد هذا كله قال لها : اعلمي جيداً أن ليس بإمكانك
التحرك من هنا البتة .

ولما رأت «الينا» الشرر يتطاير من عينيه صرخت
مستغيثة بأعلى صوتها .. عندها أسرع لاقفال النافذة خشية أن
يسمع المارة شجارهما . وفي هذه المرة كان الصراخ يرقع
أكثر فأكثر ؛ لقد صممت أنه مصمم على قتلها . لقد انقض
عليها كأحد الجوارح ينهش منها الاطراف مؤكداً ان لإفلات
لها في هذه المرة . ولما رأها على وشك الإغماء أسرع يفتح
النافذة والباب ثم أمرها بالخروج الى حيث لا رجعة .

ودون شك كانت «الينا» تخشى التحرك لئلا تثير «ساندرو»
أكثر فأكثر ، فيكون بذلك حتمية نهايتها . لقد انتظرت
صرخة أخرى تدعوها للخروج عندما هزعت خارج الغرفة
والتجأت لغرفة مجاورة وأقفلتها .

لقد انتظرت اللحظة المواتية لهربها ، ولما أحست بشروء
« ساندرو » ولت الأديار فكان بذلك الفراق الأزلي حيث
أراح الاثنين معاً . ان حالة كهذه لا يستطيع الابقاء عليها
الاخوة الشياطين .

بعد أن استفاق « ساندرو » من كبوته نظر من النافذة
إلى البحر الهادىء والذكريات تمزق احشائه . وما هي إلا
برهة حتى أطلت الابنة الشقراء الجميلة تدعوه للسباحة بكل
ما أوتيت من رقة وحنان . يبدو ان الابنة كانت على إطلاع
بما يحدث « لساندرو » فأرادت تخفيف مصابه بعاطفتها
ونبلها نحوه ، ولذا نشأت علاقة طيبة تحولت إلى حب فزواج .
فضم هذا الزواج الذي امتلأ بالاتزان والعقل والحب لقد انهي
« ساندرو » قوله : الحياة طريق شائكة ان هي نخلت من
الحب . الحب وليد العقل والعاطفة عندما يخلو المرء من العقل
والعاطفة وتسيطر عليه طبيعة الشر فلا جدل ان جهنم مفضلة
عليه من هنا يمكن الايجاز لشخصية كل من « ساندرو »
و « الينا » .

لأول مرة اسكنت به الحكمة والتروي والبصيرة هاهو يطيل
بale رغم الصدمات والقسوة ورغم الفخ الذي لا يطاق الذي
مارسته « الينا » لقد عمل على المعالجة الدائمة وعمل على التفاني
الابقاء على رابطة الحب بينه وبين حبيبته ، ولكنه عندما
استأثر به الضجر وشعر أن من الصعب معالجة الفالج عرف أن

خير ما يفعله بتر العضو الفاسد الذي نغص عليه هناة عيشه .

أما «الينا» فانها غضوبية شكسة لا ينأ لها بال إلا بالتنكيل حتى بأعز من لديها ، حبيب ، وما أجملها كلمة . الحبيب هو من اتسم بطابع الاخلاص والتفاني ، بروح الانسانية المثلى ، وبالعاطفة الجائشة التي تنير الطريق للحبيبة فيؤمنان بذلك الحياة المثالية المجدية . ليس الحبيب بفتنه ودلاله ، لا ، وليس بكبريائه وعجرفته ، انه بدمائة خلقه ، باتزانه ، باستقامته . هكذا يبدو الحبيب ، بل هكذا يجب أن يبدو كل حبيب مخلص .

أما الروح التي اتسمت بها «الينا» فهي تبعد كل البعد عن المزايا المتعددة الآنفة الذكر . انها أشبه بالحريص على القسوة والمشاكنة ، وعلى العناد والشقاء . لقد غلب فيها عامل الشر عامل الخير . لذلك كل ما تتهجه ليس إلا إلحاق الضرر بالغير حتى وإن كان حبيبها .

ماذا كان على ساندررو أن يفعل ازاء هذه الحقيقة المريرة ، أيتركها وشأنها لتوه ؟ أم عين العدالة والاستقامة كان قد أتبعها في المصالحة والعبر والاستكانة ؟

الاجابة على السؤال الأول تبدو واضحة . إن الذي فعله ساندررو كان عين الصواب ، إذ ليس من الحكمة أن يثور لتوه ويضع حداً فاصلاً لعلاقته مع «الينا» فيهدم بذلك حبا كان ينتظره .

من هنا نأتي الى الشطر الآخر من السؤال لاثبات ما إذا
كان سلوك ساندر و مثالاً : المثالية التي أظهرها ساندر و في شد
إزر رابطة الحب والعمل الدائب لعدم تصدع جداره لا شك
انه يحسد عليها . لقد ربط ساندر و بتصرفه الحكيم بين روية
العقل وحماس العاطفة . ورغم ذلك كله نجد انه لم يوفق بما كان
يصبو اليه ، ذلك انه كان يسبح في بحر بينا « الينا » سبحت
في بحر آخر .. البحر الهاديء لا يمكن مقارنته ببحر نخرت
عبابه الرياح فعلت أمواجه فأزبد وأرغى .

انتهت

العاهر العجوز

هي « ماريا تريزا » وقد أضناها العياء فبدت شاحبة مكفهرة كأنها خيال ليس إلا . ناهيك عن العزلة ، عن الفنى المادي الذي ابتعد كلية عنها فأدمى منها القلب في نهاية عمرها . والأمر الامرّ هو تهرب المجتمعات الراقية منها مما آل بها إلى الحضيض .

لماذا عانت « ماريا تريزا » إذن الحرمان وما هو السبيل الذي اتبعته هما العاملان الاساسيان لإظهار حياتها .

قد ينطق العنوان بمزايا « ماريا تريزا » ليصف بدقة السبيل الذي اتبعته . ففي ريعان شبابها لم تأبه « ماريا تريزا » بالمثل العليا بل سلكت طريقاً شائكة ، هي طريق الدعارة المستمرة والمتاجرة يجسدها . لقد كانت السعادة بالنسبة لها في جمع العدد الزافر من الرجال حولها .

ومضت السنون تلتهم نضارتها الى ان وجدت نفسها ورقة

مالت الى الجفاف واصبحت على وشك التساقط .

لماذا عانت «ماريا» في شيخوختها ؟ يبدو ان دعوتها التي جرفتها لطريق السوء هي نفسها اوصلتها لعذاب الحرمان - الحرمان من المركز الاجتماعي فبقيت في عزلة تامة ، والحرمان من المادة التي هي وسيلة العيش الهنيء .

ورغم كل الأخطاء التي تعرضت لها في صباها ، لم تدرك «ماريا» أن عليها التحول عن الطريق التي سلكت والتكفير عن الذنوب التي اقترفت ، بل استمرت بالاصطياد فكان آخر فرائسها شاباً من ريعان العمر ، كيف بدأت مغامرتها مع هذا الشاب هي المنطقة التي تتحول الآن اليها علنا نعمل على ايفاء شرحها والتدقيق في تصويرها لنتتبع الخطوة بعد الأخرى وحق النهاية .

هو شاب مراهق عز عليه رؤية انثى دون مغازلتها . لقد تعرف إلى «ماريا» حيث كان يقضي ليلته في أحد الأندية الليلية حيث كانت تعمل .

شأنها وشأن كل العاملات في المقاهي تتصنع الابتسامة ، فكان بذلك أن اصطادت الشاب . فمذ تلك اللحظة والدم يغلي في شرايين عروقه طمعاً في التعرف إلى هذه العجوز المتصابية ، ولما لم يرق له رؤيتها في المقهى ضرب موعداً لزيارتها في بيتها .

في اليوم التالي وبعد أن دفع الشاب بباب الغرفة وقف

على عتبة الباب وجمال النظر هنا وهناك إلى أن وقعت عينه عليها فصرخ اليها ، وأسرع بحتننها ، شأنه شأن ذلك الذي أراد أن يدخل الى صلب الموضوع دونما مقدمات ، لقد انهال الشاب عليها يقبلها بحرارة متناهية ويزفها أجمل عبارات الحب وأرسمها أنه طيش الشباب الذي ما إن اشتدت وطأته حتى عميت منه البصيرة والبصر فأصبح يرى في عينها الفارقتين في نفق بصيص نور لحياته تزينها تجاعيد وجه العجوز التي ظهرت وكأنها الجداول تصب في السهول فتخصب تربتها وتخصر مزروعاتها .

ما أحكمه قول بل ما أحكم من قال : « وعين الرضى عن كل عيب كليله .. » فكيف إذا بعين الحب - حب الشباب المراهق المندفع المنجرف وراء غرائزه الجنسية وعواطفه التي لم تنضج بعد .

بعد اشفاء غليله واشباع نهمه ترك البيت يجر نفسه الى حيث اتى . مضت الأيام وتكاثرت الزيارات فأطفت النار المتوقدة واتزن بعدها الشاب ، لقد بقي على علاقة عاطفية بالعجوز لكنه اخذ ينظر اليها من خلال مجهر النقد ليرى الشوائب العديدة التي تعترها .

انه اليوم على موعد ايضا . كعادته ، رفع الباب ثم نظر الى خليلته ودخل الغرفة . حذق بها متأملا فرأى أن كل ما تصوره وهو سائر على الطريق ينطبق مع مظهرها اذ

بينما كان لا يزال على الطريق كان يتصور ان «ماريا تاريزا» على

www.library4arab.com/vb
إرجاب شيخوختها ، نهمة سرية ، تلتهم كل من وقع بصرها عليه .

بالإضافة إلى ما ذكر آنفاً فان جسدها كان قد بدأ بالنحول
رويداً رويداً فبدت وكأنها صورة كاريكاتورية لا أكثر ولا
أقل ، ورغم هذا التأمل لم يتوان عن مجالستها . لقد
وجد فجأة نفسه يجلس على الأريكة ويجلسها فوق ركبتيه .

لقد ذهبت الأرواح لتحل محلها الحقائق المؤلمة . هاهو
الشاب يشعر بامتعاض نفسي لمجالسته عجوزاً . انه يفكر
بالابتعاد ولكن دون جرح لهذه العجوز العاهرة . انه السلوى
الوحيدة لها ، بل الحبيب الأخير ، وما أصعبه من فراق . لقد
أخذ يفكر بطريقة مجدية فلم يجد بداً من أن يصرح لها علانية
لهذا صرخ بأعلى صوته : « ماريا » ... وكان على وشك البوح
بما يخفيه لها وبما يحز في قلبه ويشغل منه الفكر .

لقد جئت أصارحك بما يدور في خلدي ... لقد كان
على وشك القول بأنه قد مل مداعبة العجائز لكنه نظراً إلى
وجهها وقد رأى فيه ما يثير حنانه فوقف حائراً متردداً إلى
أن قال : وماذا يعني عمرها ما دامت تبدو بهذه النضارة
والحيوية .

www.library4arab.com/vb
يبدو أن خروجها من الحمام قد أضفى نضارة على وجهها

خاصة الماكياج الذي كان شغلها الشاغل .

يبدو أن الشاب عاد وأشفق عليها لذلك فهو يحاول اقناع نفسه لقبولها على علاقتها ، لكنه بعدما يمعن النظر بها وبعد الشباغ غريزته كان يعود اصراع فكري . ولهذا فاننا نراه يشفق عليها تارة ويقرر الابتعاد عنها تارة أخرى .

« انها المرة الأخيرة التي بها ترين وجهي » قال هذا في قرارة نفسه بعد أن تحسس جميع أطرافها ليصاب بخيبة أمل كبيرة . لم تكن هناك النعومة بل كان الجلد ينساب دونما عضل يشده . لقد أصبح كالأوراق الذابلة دونما يناعة في أي من أجزاء جسدها . لقد أحس بكل قرف نفس ينتابه بوفرة . نعم ، ليس هناك مما تحسسه يثير حماسه بل على العكس فقد انها تحمد به فار الحب المستعرة بشبابه وقتل منه الشوق والعاطفة انها متداعية الوركين وقد حل الظلام على وميض وجهها فاكفر ؛ أما صدرها فقد ظهر كبير الحجم لا يطاق . رغم كل هذا كان عندما ينظر الى وجهها يرى بها الانسانية التي لا تزال تصلح لحبه .

ها هو يبدأ ثانية وتزول العواصف النفسية التي اجتاحتها ، وما ذلك إلا بعد أن تأمل وجهها ليجد به ما يثير حنانه وعواطفه ، فينقلب لتوه ليصبح الحمل الوديع . . انه يدعوها للتزوه قائلاً : لقد حان موعدنا للذهاب في نزهتنا ، وكأنه بذلك يريد حثها على النهوض عن ركنه ، حتى إذا ما فعلت نهض بدوره وتهيأ للخروج معها .

ها هي تنهض بغنج أشبه بذلك الذي تظهره فاتنات

المسارح لتغدق عليه بوافر نظراتها ولهيب حر كاتها ثم تقول

بعدها : ياه ! انه الدفء وكل الدفء في بقائي بقربك . انها

لأجل نزمة أفضيها في بستان شبابك ورقتك وعطفك .. ثم

أردفت قائلة : لا ، لا اريد أن أخرج هذا اليوم بل اني اريد

تناول العشاء في البيت ، إذ ان هناك سرا أريد البوح به

اليك . وهنا ابتسمت وكأنها فرحة بنفسها رغم انها كانت

ابتسامة تضليل وخداع لتغرر بها الشاب .

كان من الطبيعي أن يوافقها الشاب على البقاء في البيت

للاطلاع على سر دفين في قلب العجوز الدهرية المتصافية . ترى

ماذا تخفي في قلبها ، بل أي سر دفين تريد البوح به ؟ ..

وبينا هو في اضطراب فكري تتقاذفه الأفكار الجمة سأل

الشاب ما عساه أن يكون هذا السر . أما هي فقد ترددت ،

ثم حاولت إخفاء ما كانت تنوي قوله . انها تتحول لموضوع

آخر برقة ولباقة لتقول انها تنتظر هاتفاً ضرورياً بالنسبة لها .

وبينا على هذه الحال إذ بالهاتف يرن فأسرعت العجوز نحوه ،

أما الشاب وقد أفقده دم الشباب البصيرة والتبصر ونهشت

للغيرة منه الكبد فأخذ يتساءل :

ترى من المتكلم ؟ لا شك أنه حبيب اليها . لو صح حدسي

فما حلم منه الرأس بل سأتضي عليه . ثم وقف منتصباً ليقول

بنبرة دكت ركاتر البيت : من المتكلم ؟

لقد أدركت المعجوز سر غضبه فأرادت له الاثارة إذ
قالت : لا بد وأن يكون رجلاً أحبني حباً شديداً . هذا ما
قالتة « ماريا تريزا » وهي ترتب الانفعالات الباردة على وجه
الشباب الحبيب .

- ومق كان ذلك الحب ؟

- منذ سنوات خلت ، إنما التقيت به البارحة وما أجمل
لقياه . ما أجمل العودة الى ذكريات ماض غابر حمل معه
الشباب فبدت الحياة زاهية زاهرة .

لقد التقيت به وتعرف اليّ رغم طول البعاد فأخذ يتحدث
الي بحماس بالغ عما كان وعما يجب أن يكون بعد هذا اللقاء
العفوي الجديد ، ثم أضافت : انه أصبح غنياً . ربما يكون
نتيجة جده ونشاطه ولربما يكون بطريقة الوراثة . لقد عرفته
شاباً ينتسب لعائلة عريقة غنية .

انها الغيرة نهشت الحبيب قلبه فامتنع عن الاصغاء لما
تسرد . لقد انتابه ألم أسكنه وأسكته فوقف شاردأ متأملاً .
ثم استجمع قواه ليقول : يبدو أن « ماريا » كانت لها عز
ماض حيث ريعان الشباب . ولا شك في انها كانت تنعم
باحباب غير قلائل .

ولما كان ما قاله الشاب يتلى على مسامح « ماريا » ثارت ثم
دفعت باب الغرفة لتخرج منها . أما الشاب فقد وقف بحيرة

من أمرها . وما هي إلا هنيهة وجيزة إلا ودخلت « ماريا »
إلى الغرفة ثانية تحمل معها طبق الشاي . بعد أن جلس الاثنان
إلى المائدة سألت « ماريا » الشاب عن القدر الذي يريده من
السكر فأجابها بقبلة طبعها على شفتيها وكان بذلك يمتص
رحيقاً يقنيه بعدها عن إذابة السكر بالشاي .

كانت هذه العاطفة ناتجة عن يقينه بأن ليس هناك حبيب
آخر وإلا لما بقيت على مودتها له ، ولم تسرع بالذهاب لتحضير
الشاي والعشاء معاً .

نعم لقد تبددت أوهامه بأن هنالك من يغازلها فتبخرت
بذلك منه آثار الأناية والحسد ، كما تتبخر المياه من الثوب
المبتل .

أما « ماريا » وقد ملأ قلبها الحنان فعادت تسأله : كم
قطعة سكر تفضل إذابتها بالشاي ؟ .. لقد تنهد طويلاً ، ثم
قال بعدها : قطعتين يا حبيبتى . أما وقد أخذ القطعة الأولى
بقبلته الأولى كان على « ماريا » أن تقدم له الأخرى بقبلة
ثانية فيحلو بذلك الكأس ويزداد حلاوة ، وبالفعل كان هذا
ما فعلته « ماريا » .

وبعد العشاء كان الظلام قد بدأ ينشر حلته فنهضت « ماريا »
تضوء مصباحاً لأنارة الغرفة المظلمة . لقد وضعت المصباح على
طاولة صغيرة بجانب الهاتف ، ثم عادت تجلس ثانية قرب الشاب

الذي ما زال يجلس الى المائدة ينظر في كوبه الفارغ . لقد
حملت اليه حافظة صور جمعت الكثير من ذكريات شبابها .

لقد غصت الحافظة برسوم الشباب ممن كانوا على علاقة
معها ، ويبدو ان « ماريا » أرادت إظهار رسمها في سن الصبا
وإظهار العديد من الشباب الذين تهاقتوا على لقاءاتها .

لقد ذهب العديد منهم ، والباقون منهم قد شاخوا ، فلم
يبق سوى الذكريات تكدها في حافظة الرسوم .

لقد كان تعليق الشاب على ما رأى قوله : حتماً ، العديدون
منهم غدوا بمثابة أجداد . لقد حمل هذا التعليق اللؤم المبطن ،
ورغم ذلك فقد أجابت « ماريا » عليه بالصمت ، دون أن
تتلفظ بكلمة تظهر تضاييقها من عدم لباقته ونظرت اليه نظرة
ازدراء فكانت بذلك الطعنة الدامية لقلبه .

أما الشاب فقد أخذ يعلل سبب سكوتهما ، لقد قال في
نفسه : لو كان بها ذرة من العنفوان لما وقفت صامته بل كان
عليها الرد على التحدي والاهانة ، ثم صمت قليلاً ليعود للقول :
بلا ، لقد شدت الصور من يدي لتضعها ثانية في الحافظة ،
ثم أردف قائلاً : إن هذا ليس بسبب عفتها وتوبتها ، بل لقد
هان عليها أن تفقد كل شيء حتى طهارتها للبقاء على صور من
أحبت . انها لعامر قدرة ولو قدر لأصحاب هذه الرسوم
العودة للحياة ثانية لما توانت هذه السجوز من الاستقاء بجانب
كل منهم قداعبه ويداعبها .

هذا بالاضافة إلى الكثير مما نعتها به من صفات الرذيلة ،

ويعد كل هذا وقت الشاب ، بعد أن حل بحجرة الصور بين يديه ، ليقول : ان هؤلاء الرجال وتلك السنين يقرون أيتها العجوز الشمطاء ، وماذا ؟ لا شك أنه إقرار بأن شبابك قد ولى وان شئت دعينا نبدأ محاكمة . لقد نصب نفسه حاكماً وأعلن ابتداء جلسة علانية قال بها مخاطباً « ماريا تريزا » :

أيتها السجينة ، هل تعرفين هذا الرسم ؟ لقد أشار هنا الى صورة كان يحملها بيده وقد مثلت « ماريا تريزا » . يجب أن تكوني في الثامنة عشرة من العمر حيث كان شعرك ما زال بعدوبته يملأ جبينك ، وأناقة شبابك تشير الى أنك كنت في ريعان الشباب ، هذا بالاضافة إلى أن التبخر والسير على رؤوس الأصابع ليست سوى مظاهر يدعيها من كان في عنفوان شبابه ، أما نظراتك الصاخبة بأعين براءة فلا تشير إلا لأبهة الشباب وجماله .

ثم ادار نظره الى صورة الرجل الذي لف ذراعه حولها ليقول : ومن هو فارس احلامك هذا . يبدو انه كان لطيفاً للغاية ثم سحب بعض الصور الاخرى لرجال عديدة لعرضها على العجوز المتصابية كأنه بذلك يعطي البراهين القاطعة على ادانتها .

وقفت « ماريا » بكل جرأة تبتدئ اسماها الرجال : ان هذا

السيد « ب » وقد كان ممثلاً وما زال يعمل في دور السينما ؟

والثاني كان ثرياً وقد قتل بالحرب ؛ اما الثالث ، وهو السيد
(س) فقد كان صاحب بنك . وبالنهاية اشارت الى رجل يدعى
وهنا يقاطعها الحبيب الشاب ليقول ومن هو هذا ؟ هل كان
خادماً ؟

فانطلقت المعجوز قائلة : ان هذا الرجل ، هو اكثرهم
ثراء لقد شاد لي قصرأ ، لذا كان مفضلاً لدي . لقد قالت
هذا وهي تسبح بالفننج والدلال .

ثم نظرت والامل يشع بعينيها وكأنها ارادت استعادة
ذكريات الشباب . ثم تلتهد لتقول : كان يمكن لي ان اكون
اغنى اغنياء البلدة لو احتفظت بما قدم إلي . . وتردد هذا
القول تكراراً حازمة عليه .

لم يتفوه الشاب بكلمة واحدة ، بل وقف صامتاً أمام
دناءة هذه المعجوز التي لم تدرك من الحياة سوى المادة . لقد
تأوهت على ما قدم اليها من حلى وجواهر ، ونقود وقصور ،
ولم تتأوه لفقدان عفتها وطهارتها .

لا أدري ما الدافع لفقدان المعجوز اتزانها بل وقدرتها ،
فقد وقفت ترتجف من أعلى رأسها حتى اخمص قدميها ، ثم
اقتربت من الموقد تدفئ نفسها ؛ لقد أصابتها الحمى النفسية
وسيطر عليها شبح الفقر والحزينة ، فسقطت إلى الحسيف .

وهنا أعلن الشاب عن انتهاء المحاكمة . وقبل ذلك كان

يسأل : هل لديك ما تضيفين ؟

www.Librarary4arab.com/vb

وقفت المتهمة صامتة دون اجابة . لزام هذا الموقف نعلن :
بانك متهمة بكبر سنك ، بتجاعيد وجهك والبشرة ، بالشيب ،
بذوبان العاطفة والذكريات معا - كما وانك متهمة بفقدان
البيوت ، الاحباء ، الحفلات ، الثياب والابتسامات .

وبينا الشاب الحبيب يتلو قرار الاتهام كانت « ماريا » في
سبات ذكرياتها فبدت كالسفينة الضالة تجوب البحار دونما
مرشد ولا دليل . ثم يبحث الشاب بالغرفة فيعثر على حافظة
أخرى تمثل ارقاً من الشبان النضر الذين قضوا حتفهم على
الطرقات ثم مجموعة رسائل ذات عناوين مختلفة وقد بهتت
ألوانها لمرور الزمن عليها .

أخذ الشاب ينظر لهذه الادوات بالإضافة الى مسدس عثر
عليه بين مجموعة الاغراض الاخرى ، كان الشاب ما زال يحمل
المسدس بيده عندما صرخ : وماذا يفعل هذا هنا ؟

- انه للدفاع عن نفسي ؛ بذات اجابت « ماريا » بمد
أن أزاحت المسدس جانباً ، وعلى كل حال اني أشعر بأنني
سائرة الى نهاية مؤلمة .

لقد قالت ذلك بكل إصرار ، بينما جالت عينها لتجمع
بين الشاب والمسدس معا ، ثم فتحت عينها وكأنها أرادت أن
تتفرغ حق بالوت نفسه .

ثم تتحول « ماريا » بحديثها لتقص على الشاب قصة رجل

قضى في ظروف غامضة منذ سنتين :

انه شاب وسيم ، بهي الطلعة ، أحبني وأحبته ، وقد بلغ منا الحب درجة لم أستطع مفارقتة ؛ لقد كان يبادلني المشاعر هذه بل وأكثر منها ، فخيل الينا أن الحياة زهوراً فأخذنا نمتص من رحيقها ما استطعنا ولم نأبه لمصاعب الحياة .

كان كل منا التمتع والهناء .. وكيف ينأ لنا بال إلا بالاجتماع سوية نبث أشواقنا ولواعج قلوبنا . كان لنا ليال حمراء نقضيها معاً ننعم بسكون الليل وهمسات الاحياء .

لم يطل هناؤنا فقد حل الشقاء بدل السعادة ، والبؤس محل الرخاء . لقد كانت ليلة سوداء ، أمكنت جرف حبيبي . انها الغيرة نهشت قلوب الاردياء فتربصوا به وقضوا عليه . كيف وأين فهذا ما لم أستطع معرفته ؛ ثم أنهت قولها مطرقة الرأس ومتحملة عناء التنهدات العميقة : وهكذا سأواجه نهايتي . لقد أرادت « ماريا » أن تشير بقولها لفظاظة الشاب الذي كان قد هز لها المسدس .

هنا بدأ الشاب يقهقه ثم يصرخ بعدها : ما هذه الأفكار الجهنمية ! . ثم القى بالمسدس الى الأرض وجلس محتضنها بكنتا ذراعيه .

لقد حلت الرأفة في قلب الشاب وتلاشى غيظه ، ويبدو

انه اشفق على انسانة قضى معها ليالي ممتعة فأخذ ينظر بعين
المطرب ليري بها ما يجلو اليه من جديد ، ها هو بعد الصراخ
والتنكيل يعود ثانية لأحتضانها طالباً المذرة عن سوء تصرفه
ومتودداً عليه يحض بعطفها ويزيل معالم الحقد المتأجج في قلب
ماريا من جراء تهديداته وتهكته .

ثم يتابع الحبيب الشاب قوله بدهاء ليفمز مطمئناً الى
انها لن تموت بظروف غامضة ، بل انها ستموت على فراشها
وبعد العمر الطويل . بعد هذا القول اندفع نحوها يريد عناقها
ولكنها لم تأبه لنداءاته العاطفية واندفاعه نحوها بل دفعته
بعيداً عنها ، ثم صرّت على اسنانها لتقول : انك لست انسان
وتكاد تكون مصالح الانسانية تخلو منك تماماً - بل انت
حيوان مفترس .

يظهر انها اصببت بالعصبية التي افقدت منها الصواب
فأخذت تفتش عن مسكن لثورتها ، وما هي تعود ثانية
تحمل زجاجة من الكنيك . وما هي إلا جرعة أو أخرى حتى
كانت « ماريا » قد تناولتها وإذا يجرس الهاتف يدق فلم يرق
لها الكأس عندها ، بل أسرع بعد أن وضعت الزجاجاة
جانباً تجيب على المكالمة الهاتفية :

من المتكلم ؟ أجب بالحال . . . كانت ماريا تسأل بصوت
متهدج يشير الى ما تعانیه من الفشل والبؤس . ثم عادت تسأل
من جديد : من المتكلم ؟ ألسنت بالسكرتير ؟ بعد هذا وقفت

صامتة ترقب بحرص لتري ما عساه أن يكون الجواب .

بل ماذا تقول ! الا استطيع مكالته ؟ وهل حقاً تقصد ما تقول ؟

يبدو ان الرجل قد اقبل الحديث بينما استمرت « ماريا » تتظاهر باستمرار المحادثة وكأن شيئاً ما لم يحدث كهذا . ثم اقبلت الساعة بكل هدوء وحرصانة . لقد حاولت تغطيه فشلها ولكنه مها كانت المحاولة دقيقة متزنة ومها برع الممثل في ابدال الحقيقة لا يمكن للحق إلا وينجلي ؛ لقد دلت ملاحظها على شؤما يحز في قلبها ، بل وكأنها كادت تشتغل . رغم هذا كله كانت ماريا تحاول تغطيه الحقيقة بالتصنع والرياء

بعد أن عادت « ماريا » الى حبيبها الشاب سألها إن كانت قد حصلت على ما أرادت . لقد شخصت « ماريا » بعينها ونظرت اليه بغرابة ولكنها لم تجب على سؤاله . يبدو انها لم تك تتحمل عندها الاسئلة . انها بعصبية رعناء وقد وجدت ان خير علاج لها الادمان على الخمر .

ما هي تحتضن الزجاجة بين ذراعيها من جديد ترتشف الجرعة قلو الاخرى بنهم ولذة . انها أرادت أن تقتل كل الوسوس التي تنتابها ، بل وكل الذكريات المؤلمة ، فلم تجد سوى الخمر ، والخمر وحدها .

بعد أن كالت ما طاب لها أعلنت ماريا عن وجوب البدء

بالعشاء . وهنا انتهر الحبيب الشاب الفرصة للانقضاض عليها
فأسك بذراعها وجذبها نحوه يقبلها ، لقد بادته القبلة بماطفة
متأججة حتى خيل إليه أنها ترتجف ، ثم نظر إليها ليرى
وجهها وقد طفح بالشوق .

إنها المرة الأولى التي يجلس بها الشاب على العشاء مع ماري
رغم طول معرفته بها ، ولما لم يكن لديه فكرة عن قدرة
« ماري » على تهيئة الطعام وترتيب المائدة ، خيل إليه ان
العشاء سيكون بسيطاً كما لو دخل لأي مطعم كان . لقد ظهر
المطبخ وكأنه لم يستعمل بعد - فالأواني تتلألأ براقه ، انه
نموذج المطابخ المنتظمة ، وهنا كانت المفاجأة للحبيب الشاب .
إن كل ما بالمطبخ يشير إلى روح التنظيم والترتيب ، كما أنه
يحث الناظر اليه على الشهية ، ولكم كانت « ماري » فخورة
بأن تشير إلى أن كل تنظيم في المطبخ قامت به وحدها ، كما
ان تحضير الطعام تم دون أي مساعد لها على الاطلاق .

وقفت « ماري » ، وبجركات تم عن ثقة واعتزاز ، أخذت
تعدد أصناف الطعام المؤلفة منه المائدة - البفتيك ، الحساء ،
السبانخ والخبز المحمص بالاضافة إلى البطاطا ، ولما جاء دور
الحلوى اعلنت انها تعد أنواعاً عديدة ، إلا أنها ما زالت على
الموقد .

لقد نهضت « ماري » ، وأسرعت إلى المطبخ وقد خفق بها
الحبيب عليها يتمتع برؤيتها تحضر الحلوى ، لقد ذهل إذ رآها

تضع مقادير معينة في القدرة من كل صنف ثم ترفع الملعقة إلى
فها تتذوق صفة ما فعلت . وخلال هذه العمليات وقع
منديلها وقد أصبحت عارية الرأس عندها . فوقفت تحمل
الملعقة باحدى يديها وتعرض نفسها لحرارة البخار لتكسب
الدفء إلى جسدها .

بعد الانتهاء من تحضير الحلوى كان الاقتراح الذي تقدمت به
« ماريا » هو العودة ثانية إلى الغرفة ، لقد وجدنا أن المصباح
ما زال يسطع بانوارهِ المنعكسة على جدران الغرفة المرصعة
« بالبورسيلين » . وجلس الشاب الحبيب بينما أخذت هي تسير
ذهاباً وإياباً وسط الغرفة . لقد أخذ يحدق بها وكأنه لم يصدق
عينيه : انها ليست « بمرىا تريزا » التي احببت ، بل هي
انسانة أخرى . إن ماريا تريزا لم تعتد لف نفسها بالمريلة لتقف
أمام الموقد تحضر الأكل دونما أية مساعدة . انها انسانة كان
هما الوحيد التحدث عن شجاعتها كإنسانة .

لقد أكل بكل هدوء حق دون أن ينظر الواحد منها
للآخر . بعد ذلك رفعت « ماريا » رأسها لتقول : إن الرجل
الذي كنت أتكلم معه بالتلفون اعتاد على حي حق العبادة ..
وعند سماع الشاب لقولها عاد الحسد يلهب قلبه - انه ، في
هذه المرة ، حسد اقترح بالقنوط والشعور بالشفقة . لقد
أشفق عليها عندما رأها تهوي إلى الأرض بعد أن كان لها
أيام تنعم بأدوار مختلفة - لقد ضحكت وبكت ؛ رقصت

وأحبت ، وتنعمت بكل أيامها الحلوة التي بدأتها في ريعان

www.library4arab.com/vb

وهنا تعود « ماريا تريزا » تتابع حديثها عن الرجل وحبه فتقول : رغم حبه الجنوني لي ، فقد بنخل عليّ بنقوده ، بل انه بنخل عليّ بكية ضئيلة طلبتها منه . لا يكاد المرء يعرف أن حبيباً لا يتفانى بحب حبيبته فكيف يمكنك تصديق ما أقوله لك ، إنما هي الحقيقة المجردة أقولها لك لتقف على مدى الخداع الذي تتعرض له إنسانة مثلي ، إنها ليست المرة الأولى التي بها أذهب ضحية المراوغة بل هناك المرات العديدة التي تعرضت لها لصدمات قاسية ومؤلمة .

وهنا قاطعها الشاب متسائلاً : وهل أنت حقاً بحاجة ماسة للنقود ؟

لقد أجابت على سؤاله بإبتسامة نمت عن سخط وازدراء ، ثم أردفت تقول :

ألا تعتقد انني بحاجة للنقود ؟ انني أؤكد لك انني بحاجة ماسة لأي مبلغ كان ... كل ذلك والبؤس بادٍ علي وجهها .

ولكن ما هي حاجتك للنقود ؟ وعاد الشاب يسأل : هل هي لشراء الثياب أم للسفر ؟ وهنا تهز « ماريا » رأسها معلنة عن المصايقة التي تتأبها لمثل هذا السؤال : لا ، انني احتاج للنقود لأترك المدينة والذهاب إلى قرية فائية أستقر بها ، لقد

مللت الحياة بين البشر ، لذلك فهي تطلب العزلة بعد الآن .

انها ، لهذا ، تفضل الرحيل إلى القرية لتسكن بيت
وضيع مؤلف من غرف قلائل وحديقة وزهور .

لماذا لا تذهب لمسقط رأسها - للقرية التي ولدت بها ؟
يجب أن يكون هناك سر لذلك . أخذ الشاب يفكر قبل أن
يقاطعها قائلاً والابتسامة تملو جبينه : أتريدين حديقة وزهوراً؟

- نعم ، انني أريدها حديقة تنعم بباقات الزهور .

- بل لماذا ؟ أليس هذا إجحافاً بحق وضعك المادي ؟

ولما أدركت « ماريا » ان هذا الحبيب الشاب أيضاً
لا ينوي منحها النقود صرخت بأعلى صوتها : سأعيش بدون
نقود ، بل لن أشرح فقري لأي مخلوق آخر ، لقد أصبحت
بعد الآن أدرك القول وأبعاده ، وما ترد يدي لهذا القول إلا
ليكون عبرة لمن اعتبر ، أما القول فهو : « إن قل مالي فلا
خل يصادقني ، وإن زاد مالي فكل الناس خلاني » .

لقد انتهى العشاء وقد نهضت « ماريا » تجمع الصحون كي
تنظفها . أما الشاب فقد جلس يرقب « ماريا » تقضم أظافر
يدها غظاً وسخرية ، وبعد الانتهاء من عملها رقدت في
سريرها ، وقد أضناها التعب ، انها تحاول بذلك استعادة
نشاطها . أما الحبيب الشاب فقد وقف ينظر اليها .

لقد تمنى لها نوماً هانئاً ثم تاهب للخروج ، لقد بقي طيلة
شهرين على علاقة بها ، ولما لم يجد لديها نقود فقد كان عليه
تركها . وبينما هو بهم بالخروج نظر إليها فرأها باكياً ، لقد
كانت تبكي بهدوء دون ولولة وقد انسابت الدموع من عينيها
كالدّم الغزير ينزف من جرح بليغ .

هنا انحنى الشاب ليزيح لها ذراعها عن عينيها ويصرخ
مودعاً . وقبل الوداع سألها عن سبب بكائها ، لقد كانت تفكر
بالمكالمة الهاتفية ، ثم أطبقت عينيها لتقول بمرارة : انها المرارة
بعينها أن تمد يدك لكسب قوتك .

لم يعرف الشاب ما عساه أن يجيب لقد حدق بوجهها ،
ثم أجال النظرة على كتفيها ثم فوق جسدها أجمع . انه لم
يشأ البقاء أكثر ، بل سارع يودع « ماريا » بصوت عال وترك
الغرفة .

– نراكم غداً ، كان جواب « ماريا دون أن تفتح عينيها .

ها هو الحبيب الشاب ينزل الغرفة ، ثم البيت بعد أن
هبط السلم ، لقد أدرك انها المرة الأخيرة التي يزور بها المعجوز
المتعايبه ، ان هذا النوع من الحب المصلحي ، وان عمر فلن
يعمر طويلاً . يخيل للقارئ ان بهذا القول لسان حال الاثنين

انتهت

المهزلة الانسانية

للروائي الفرنسي الكبير : بلزاك

ست وتسعون قصة متباينة الألوان والأحجام والأساليب، تضم نحو ألفي شخصية من مختلف الطبقات والمهن والأعمار والأجناس، وتمتد في المكان من المدينة بأحيائها الراقية والفقيرة إلى الريف بقراه الكبيرة والصغيرة.. وتعرض صراع الناس مع الناس، وتفاعل الفرد مع المجتمع، وتحلل العواطف، وتعمق النفوس، وتصور الحقائق الحفية تحت المظاهر الخالبة، وتمخر بالقارىء خضم الحياة المضطرب المائج.. تلك هي «المهزلة الانسانية» التي أودعها «بلزاك» فلسفته وفنه وخلاصة خبرته وتفكيره، الأثر الجليل الخالد الذي استنفد ملكات أديب عالمي.

التاجر والموظف والفلاح والطبيب والصحفي ورجل المال والقاضي والوزير، الطفل والصبي والفق والكهل والشيخ،

والعذراء الغريرة والعانس الحاقدة والأم الفاضلة والزوجة الشقية
والمرأة اللعوب ، كل أولئك يتماقبون على مسرح الانسانية
الشاسع الأرجاء ، يتبادلون الأطماع والأهواء والاحن والخطوب ،
يفجأ بعضهم بعضاً بالخيانة والغدر ، ويضحى بعضهم لبعض
بالحب والسعادة ، ونشهدهم في بيوتهم وشوارعهم ومنتدياتهم
ومحال أعمالهم ، كأنهم جميعاً في ساحة قتال رهيبه ، يدبرون
فيها بينهم حواراً مضحكاً محزناً ، ولا يكف امرؤ منهم عن
الكر أو الفر حتى يلفظ أنفاسه ويخلى الميدان ، وحتى يسدل
الكاتب على مأساته الستار الاخير .

وقد أطلق بلزاك على هذه المجموعة من القصص التي أراد
أن يتعقب فيها آثام عصره عنوان « المهزلة الانسانية » معارضاً
الملحمة الشهيرة التي تعقب فيها « دانتي » آثام عصره ولكنه
اتخذ مسرحها من الفردوس والجحيم وسماها « المهزلة الالهية » .

وقسم بلزاك قصص مهزله الانسانية ثلاثة اقسام :
دراسات أخلاقية ، ودراسات فلسفية ، ودراسات تحليلية ،
أكبرها القسم الاول الذي يتفرع الى : « مشاهد من الحياة
الخاصة » و « مشاهد من الحياة في الأقليم » و « مشاهد من
الحياة الباريسية » و « مشاهد من الحياة السياسية » و
« مشاهد من الحياة الريفية »

والحق أن هذه الاقسام ليست الا واجهة راقية تخفي
وراءها بنيانا سيء التنظيم ، واطاراً متكلفاً اصطنعه الكاتب

بعد لاي ليوحي للقارئ ان هناك وحدة جامعة تربط بين قصصه المختلفة.. فان التناسب بين أجزاء هذا الديوان الضخم والنسب الأول من يشتمل عشرات من الكتب ، على حين لا يشمل القسم الثالث الا كتابين اثنين ؟ وما هذا التصنيف الذي يحدد الحياة بحدود ، ثم يميز بين أشياء هي في الواقع شئ واحد يستغرق بعضه بعضاً: كالحياة الخاصة والحياة في الاقاليم ، أو الحياة في الاقاليم والحياة في الريف ، أو الحياة الباريسية والحياة السياسية ؟ لا هو بالتصنيف الجامع ولا هو بالتصنيف المانع . والعلّة في ذلك القصور أن المنيّة عاجلت بلزّاك قبل أن يتم عمله من ناحية ، وأنه من ناحية أخرى كان قد أنشأ كثيراً من قصصه ونشرها مستقلة متفرقة قبل أن تخطر له فكرة جمعها وتنسيقها تحت عنوان « المهزلة الانسانية » .

على أن المهزلة الانسانية وحدة عميقة أصيلة تزري حكمتها بالرابطة الخارجية التي يجهد في خلقها اطار ملفق . تنبعث هذه الوحدة من مبدأ مقارنة الانسان في مجتمعه بالحيوان في مملكته ، هو رأي طريف كان موضع جدل العلماء في القرن التاسع عشر . وقد جهز بلزّاك في مقدمته بأنه آت بما لم يستطعه « ولتر سكوت » ، فهذا الكاتب الاسكتلندي قد رسم لوحات مختلفة لعصور تاريخية مختلفة لا تصل بعضها ببعض صلة فنية تجعل منها أثراً واحداً .. أما هو - صاحب المهزلة الانسانية - فقد أراد أن يقتبس موضوعاته من التاريخ وعصوره الشتيّة ، بل عمد الى عصره ، فأحال بصره في

مناطقه وأقاليمه هنا وهناك ، وسجل ظواهره وبواطنه في مشاهد متسلسلة متناسقة . إذن فاللهزة الإنسانية صورة مصغرة للمجتمع الانساني يقدم فيها الكاتب للقارئ أمثلة من كل نوع ومن كل فصيلة ومن كل بيئة ، ولا يقف في عمله عند العرض والوصف ، بل يمضي الى التحليل والتعليل ، يزد النتائج الى الأسباب ، ويصدر حكماً اخلاقياً على الأشخاص يبين الى أي حد يتفق سلوك أولئك وهؤلاء مع المبادئ المقدرة التي ينبغي أن تدير دفة الكون .

أبطال مشتركون .. في قصص متعددة !

وثمة وحدة أخرى ، عميقة أصيلة أيضاً ، تحكم الضلة بين اجزاء هذا البنيان المرصوصة . تلك هي بدعة ظهور الابطال القدامى في القصص الجديدة . وقد طرب بلزاق حين أشرق في ذهنه ذلك الخاطر ذات صباح جميل من سنة ١٨٣٣ ، كما تروي أخته «لور» ، فقد دخل عليها منتشيا بابتكاره ، متهللاً ، يصبح بها :

– هنيئني افسوف أكون رجلاً عبقرياً !

ومن المحقق أن هذه الفكرة لم تكن جديدة على بلزاق سنة ١٨٣٣ ، لأنه استخدمها استخداماً بدائياً ، دون أن يعي مبلغ خصبها ، في محاولاته القصصية الأولى ، وهو يستخدمها في «اللهزة الإنسانية» استخداماً جديداً ، رائعاً ، بعيد الأثر . . . لقد فطن الى ما تبعته في نفوس القراء من قوة الشعور بحياة

القصة وقوة الايمان بصدق وقائعها عودة شخص بعينه سبق لهم أن عرفوه وألفوه وشاطروه يؤسه وسعده وصحبه طوال طور من أطواره في معارك الحياة . إن مثل هذا الشخص غني باسمه ، غني بصورته ، غني بماضيه ، يضيف الى حوادث الرواية ومعانيها ثروة غزيرة ، وما يكاد يبدو ، ويلقي كلمة من كلماته ، أو يأتي بحركة من حركاته ، حتى تستيقظ ذكرياتنا ، ويشتد انتباهنا ، ويتضاعف شغفنا بمدار القصة ، إذ أننا نشترك في تمثيلها من تلقاء أنفسنا بقدر ما نعرف من شخصية صاحبنا ومسلكه مع الناس ومواقفه في الازمات وأهدافه التي يسعى اليها دائماً . وهكذا يصبح أبطال المهزلة الانسانية ملكاً لنا وملكاً للكاتب معاً ، وتصبح حياتهم الخيالية حياة حقيقية تمتد إلى أبعد من صفحات كتاب واحد وإلى أبعد من غلاف مجلد واحد . ولهؤلاء الاشخاص سجل مفصل جامع ، صنفت فيه أسماءهم بترتيب الحروف الأيحدية ، وذكرت أمام كل اسم عناوين القصص التي يظهر فيها وترجمة موجزة ، وقد قام بوضع « فهرس المهزلة الانسانية » هذا باحثان بلزائيان هما «سرفير» و « كريستوف » ليكون مرجعاً لطلاب أدب بلزائك . وأعاد الاديب « فيليسيان مارتو » هذا التصنيف أخيراً في صورة حديثة .

قال ... آفة المجتمع

ولعل في عنوان « المهزلة الانسانية » ما يوحي للقارىء بأن

بلاذك قد أراد أن يصور المجتمع في ديوانه بريشة الناقد. وأول ما راع بلاذك وأثر مخطئه هو سلطان المال . فالملك يستطيع كل شيء . انه آفة المجتمع ، يخلق المساواة بين بني آدم ويهدمها في آن واحد ، يسوي بين من امتلأت به خزائهم ويهدم المساواة منذ أن يملأ هذه الخزائن فيمنح أصحابها حقوقاً وامتيازات جائزة ! له هيكل في كل شبر من الأرض، وله كهنة وعباد . ولكن طقوسه هي الفوضى بعينها ، فهو نزق متقلب ، تجلبه المصادفة وتقصيه المصادمة ، ولا أدل على ذلك من خضوعه لسعد المقامرين ونحسهم . والجميع قد أفردوا له مكان الصدارة فتبوأها متفطرساً غاشماً . هو في مخادع الأمراء ، ومكاتب الوزراء ، ونوادي الطبقة الراقية ، كما هو على موائد متوسطي الحال وفي أزقة الأحياء الحقيمة ، يأمر وينهي فاذا أمره نافذ ونهيه مطاع ، وإذا النفوس خاشعة لعبته وهزله !

ها هو ذا «دي تيبه» قد بدأ وهو موظف صغير لدى تاجر الروائح العطرية «بيروتو» بسرقة بعض الأوراق المالية ، فلما كشف أمره رب العمل الطيب القلب وأنبه ثم عفا عنه حقد على ولي نعمته هذا .. ثم أصبح من أصحاب الملايين ، وتقول زوجته : « ان اغتيال الناس على قارعة الطريق يبدو لي ضرباً من الإحسان إذا ما قورن ببعض العمليات المالية ! »

وها هو ذا المرابي اليهودي الرهيب «جوبسيك» ، بعد شباب حافل بالمغامرات والصفقات والكسب الحلال والحرام ،

قد كز جسمه وجف قلبه ، وبات غير ذي عاطفة ، لا يشعر
ولا يحس ، وانما يعيش لينعم بسلطان المال ويتأذذ بازدياد
البشر ، فانه فيلسوف ساحر يحدثك في برود عن عبر الحياة ،
ويصفه بلزك في غرفته النظيفة الساكنة ينتظر المكروبين من
الخلق لكي يقرر مصائرهم كما يريد ، ثم يصف أولئك الضحايا
قائلاً : « وأحياناً كان ضحاياه يكثرون من الصياح ويحتدون ،
وبعد ذلك مباشرة يرين صمت شامل ، كما في مطبخ يذبح
المرء فيه فرحاً من البط ! »

وها هو ذا « ريجو » مرايي القرية ، رجل طويل القامة ،
أسود الجفنين ، ينافق ويتمسكن ويبيدي الفقر ، على حين
يحظى في بيته بأشهى الطعام والشراب ، ويأكل وحده ، وتقوم
على خدمته زوجته التي يعرف كيف يروعا بتقطيب حاجبيه
الغليظين .. وخادمه الجميلة التي لا يستبقيا لها لديه أطول
من ثلاث سنوات ، متعللاً دائماً في نهاية هذا الأمد بأنه مضطر
الى طردها لوقاحتها مع سيدتها ، وليته كان يكتفي بخادماته
الجميلات دون نساء القرية المستضعفات ..

وها هو ذا السيد « جرانديه » ، أشد البخل شحاً
وتقتيراً قد أثرى من صناعة البراميل وأصبح عمدة بلده ،
فاستغل نفوذ منصبه في تحسين أملاكه ، وانك لتحس في
حضرة خليطاً من مشاعر الإعجاب والتقدير والرهبة ، فقد
كانت خليقته مزاجاً من طبائع النمر والثعبان ، إذ يعرف أين

يكنن لفريسته وكيف يتربص لها ويواجهها طويلاً ثم ينقض عليها فانغراً كسند ولا يتركها حتى يتخذ بالنقود ، فإذا فرغ من فعلته قام نوم الأفعى التي تصطنع السكون والخمود في انتظار الفريسة الجديدة، ويوقن أهل قريته أن له نجباً زاخراً بالدنانير الذهبية يقضي فيه كلما أرى إليه تلك اللذة التي تملك نفس البخيل حين ينظر ويطيل النظر الى كومة ضخمة من الذهب البراق ، تلك اللذة التي خلع ادمانها على عينيه لحظ الرجل الشهواني ، النهم ، المتكتم ، الذي يجتلس النظر اختلاصاً ، ويأكل بمقلتيه !

اشهر الوصوليين في قصص بلزاك

والجميع يحرون وراء المال ويتعلقون بأسبابه . وأشهر الوصوليين في المهزلة الانسانية الفق « راستنيك » الذي نشأ في أسرة متوسطة الحال ونزح الى باريس ليدرس الحقوق فرأى هناك زينة الحياة الدنيا ، ورأى استحالة الجمع بين الشرف والترف ، وعانى ضميره كثيراً قبل أن يستسلم لتأثير « فوتران » ، ويطبق دروسه . وايس فوتران أستاذاً ولا عالماً ، وإنما هو مجرم متنكر هارب من الاشغال الشاقة ، حاقد على المجتمع ، رجل ناقب البصيرة ينفذ الى قلوب الناس كما ينفذ الى خزائنتهم ، ويشبه باريس بغابة يتصارع فيها صراع الحيوان أهل الحضارة الحديثة الذين يوهون الأطناع الوحشية بطلاء من النفاق !.. ومبدأ « فوتران » في الحياة الا مبدأ في الحياة ،

وقانونه الا قانون هناك، وإنما هي ظروف ليس غير، والرجل
القوي هو الذي يوجه الظروف الى ما يشاء !

ولو قد كان المال سيد جيبنا فحسب طان الأمر، ولكنه
في «المهزلة الانسانية» سيد الرأي العام وسيد الأمة . في قصة
«الأوهام الضائعة» - ولا سيما في الجزء الذي يحمل عنوان
«رجل من كبار رجال الأقاليم في باريس» - يهاجم بلاذك
الصحافة هجوماً عنيفاً . وبطل هذه القصة فتى من اقليم
(انجوليم) يدعى «لوسيان دى روباميري» ، أعجبت
بمواهبه سيدة عريقة النسب فشجعتة واصطحبته الى باريس ،
حيث لم تلبث أن تخلت عنه وتركته وشأنه ، فاتصل بزمرة
من الصحفيين، ولمس كيف ترتعد الحكومة بما تنشره أوراقهم،
وكيف يفرق الكبار من القلم الذي يذكر فضائحهم ، وكيف
يربح الكاتب الذي يبيع مقاله اليوم لزيد وغدا لعمرى وبعد
غد لمن يدفع أكثر من زيد وأكثر من عمرو ! هؤلاء الصحفيون
عند بلاذك هتافة مروجون أو نقاد مغرضون، يعيشون بما يدره
عليهم المدح والهجاء . لا أمانة ولا وفاء ، فالعبارات
والمقالات سلع متفاوتة الأسعار، وهي لا تساوي - ما دامت
تنشر اليوم وتنسى غداً - الا الدراهم القليلة أو الكثيرة التي
تفيؤها على كاتبها ! ويلى لوسيان ذلك الاغراء ، فيندفع الى
محيط الصحافة ، وينجح نجاحاً كبيراً ، ثم يضطرب ويترنح،
وينتهي إلى البؤس . والصفحات الأخيرة من القصة تصوره لنا
في الليل ينظم - الى جواره صاحبه المثلة «كارولى» وهي

على فراش الموت - أغنية مرحة ينبغي أن يبيعها إذا أسفر

الصبح ليسدد بثمنها نفقات الدفن !
www.library4arab.com/vb

الحب - كلال - من آفات المجتمع !

ولا يعدل سلطان المال في المجتمع إلا سلطان الحب . وقد
أبداع بلزاك في تصوير الحب حين ينشأ في القلب ،
و حين يشتد ، و حين يؤدي الى المآسي الانسانية . فالحب
كلال مصدر من مصادر الفوضى في المجتمع . عماده الاثرة التي
تفصل الفرد عن المجموع ، فيعتزل في دنياه الخاصة ، ويزهد
في تحقيق المصلحة العامة . أرأيت الى « فيليكس » في قصة
« زنبقة الوادي » ، كيف انصرف الى احضان « هنريت » عن
محنة وطنه - وما كان اقساها في واقعة « ووترلو » ، وسقوط
دولة نابليون ؟ - والحب يؤلب الابناء على آباءهم ، ويؤلب
الآباء على ابنائهم ، ويوغر الصدور ويمزق الاواصر ويفصم
العرى . وقد تجمد انسانية الانسان من فرط الطمع أو من
فرط البخل ، ولكن الطمع والبخل خير من الحب ، إذ يبقيان
في نفس المرء على قوة تنفع المجتمع ، هي قوة الارادة التي
ينحدرها الغرام ويؤرجحها الهوى وتقضي عليها الشهوة !

وكثيرة قصص بلزاك التي تعرض علينا عراقب الحب
الوخيمة ... حسبنا ان تذكر هنا حكاية « مدام جراسلان » ،
وهي فتاة نقية النفس رقيقة الشعور ، نشأت في كنف أبيها

الذي بدأ حياته فقيراً ثم أثري من تجارة الحديد والنحاس في
احدى مدن الاقاليم . وكانت اجمل مثال للطهارة حتى قرأت
قصة « بول وفرجينى » التي كتبت لها الدنيا وصورت لها
الحب وأثرت في قلبها تأثيراً رهيباً . وحين بلغت سن الزواج
زوجها أبوها بالسيد جراسلان ، وهو رجل في السابعة
والاربعين من العمر ، بدأ حياته فقيراً أيضاً ثم جامد حتى
أصبح من رجال المال . وأقبلت العروس الفتاة على العلم والثقافة
لكي تلبوا المكان اللائق بها في المجتمع . وسرعان ما أمسى
صالونها قبة أعيان المدينة ! ولكن زوجها سئم حياة الترف ،
وهاجت بنفسه شهوة الكسب ، فجردها من زينة الحياة وعاد
الى أعماله . وفي تلك السنة وقعت جريمة هائلة ، فقد وجدوا
الشيخ البخيل « بنجرية » - وهو ممن يدفنون ذهبهم في
القدور ! - صريعاً يحوار جثة خادمته ، وأتهم بالسرقة
والقتل عامل فقير معروف بالجد والامانة يدعى « تاشيرون »
وانقسمت المدينة الى حزبين : حزب يدافع عن تاشيرون ،
وحزب يدينه . وبلغ حماسة مدام جراسلان لبراءة تاشيرون
ان توصلت إلى النائب العام - وكان يتودد اليها - كي يعدل
عن اثبات الجريمة عليه ، لكنها لم تفلح في وساطتها . وبعد
عشر سنين من اعدام تاشيرون تعترف مدام جراسلان «لقسيس
القرية » بان أباهما عهد اليها وهو على فراش الموت بتربية هذا
الفتى الصغير الذي كان يتوسم فيه الدكاء والرجولة ، فأهنت
بأمره ، وشجعتة على أن يتشقف كما تشقفت هي ، فأصبح أقرب

إلى نفسها من زوجها الجشع المادي ، وعرفت معه السعادة ،
ولما تركها ذلك الزوج دون مال ، عز على تاشيرون أن يراها
معوزة ، فأراد أن ينهب لها ذهب البغيل ، ولكن الرجل
أستيقظ وخادمتة ؛ فقتلها . أما هي فاضطرت الى أن
تصمت من أجل الولد الذي كانت تنتظره ، وكان تاشيرون أباه
وهكذا دفعت الى المقصلة بالفتى الذي وكل اليها مصيره .

ولكن من عساه يحمي المجتمع من طغيان المال وفوضى
العاطفة ؟ أهى الحكومة ؟ أن رجال السياسة في المهزلة الانسانية
- وعلى رأسهم رئيس الوزارة « دي مارسيه » - قوم لا
أخلاق لهم ، يستبيحون كل شيء ويبررون الوسيلة بالغاية .
وهناك قصة طريفة ينقد فيها بلزاك نظام الادارة و «الروتين»
الحكومي ، عنوانها « الموظفون » . ومثل الحكومة عند
بلزاك كمثل الصحافة ، فالصحافة عدة هائلة يحركها كتاب
صغار ممن يستثمرون المنافع والاهواء ، ومكاتب الحكومة
سلطة عملاقة يحركها أقزام ضئال . جميع الموظفين يسعون
إلى شيء واحد ، هو « التقرير » . فالتقرير سيدهم ومولاهم .
إذا أتم « التقرير » عرض مسألة من المسائل ، فرح الموظف
الذي ديج ، وأغتبط الموظف الذي تسلمه ، ورضي الموظف
الذي حفظه بين الأوراق المحفوظة ، وأنشرح صدر الحكومة !
وهكذا تتكدس مشروعات الاصلاح في الاضابير اهل ألك
حديث « رادوردان » رئيس القم بأحدى الوزارات ، كيف
درس فساد الادارة وكتب مذكرة بين فيها الفائدة العامة التي

تنتج من اختزال عدد الموظفين ورفع مرتباتهم وتعيين الشباب منهم في المناصب العليا ؟ هذا المشروع النافع كان خليقاً بأن يصادف قولا لدى الميثاق السابق ولا يحصر وأظهده على النزاهة وحرص زوجته على الفضيلة وحرص شردمته من الطفيليات على التحالف ضده دفاعاً عن مصالحهم الشخصية !

تضافر الضعفاء قد يهزم الاقوياء !

مكذا صور بلاك المجتمع في « المهزلة الانسانية » . لقد نظر إلى الدنيا فرأى حقيقتين رئيسيتين تتشعب منها وقائع الحياة : انعدام المساواة بين الكائنات المختلفة ، وسعى الكائنات جميعاً الى الارتقاء . ففي مملكة الناس - كما في مملكة الحيوان أو النبات - سلم من الطبقات ، أدناه الأضعف وأعلاه الأقوى وبين الأضعف والأقوى في مملكة الناس درجات متتابعة ، فصائل كثيرة وأنواع كثيرة ، كتلك الفصائل والأنواع التي تمتد من دود الأرض إلى الفيل والأسد . أو من العشب الطفيلي إلى الدوحة العظيمة ! وبين هذه الكائنات المتتابعة صراع دائم القوي يسحق الضعيف ، والكبير يلتهم الصغير . بيد أن قوة الأقوياء لا تكفل سيادتهم ، كما أن ضعف الضعفاء لا يحتم هلاكهم . فقد يتضافر الضعفاء ويتساندون فيهزمون القوي أحياناً ، وقد يظهر مكر الجبناء على بأس الأشداء أحياناً ، ذلك أن مملكة الكائنات من أسفها إلى أعلاها مضطربة مائجة تتحرك حركة صعودية ، حركة الى فوق ، يريد المنحط أن

يرتفع ، ويريد الجائع ان يشبع ، ويطمح الجميع إلى مزيد

من الحياة !

وربما بدت الفوارق التي تفصل بين الناس والناس أهون من

الفوارق التي تفصل بين العصفور الرقيق والفسر الجارح ، وبين

الحشرة الطفيلية والأسد المصور ، ولكنها في الواقع أشد

خطراً لأنها ليست فوارق مادية فحسب ، بل فوارق نفسية

دقيقة ، والقوى النفسية بألوانها العديدة أبعد أثراً في تمييز

الخلائق . ومن هنا كانت حركة ارتقاء الكائنات في دنيانا

البشر أسرع وأروع منها في دنيا الحيوان . فالإنسان خليق

بان يثب في مجتمعه وثبات يعجز الحيوان عن أن يقطع مثل

بونها عبر آلاف من الأجيال .

الصراع الدائم بين الفرد والمجتمع !

على أن وجود المجتمع يتدخل في هذا الصراع المتصل بين

الكائنات فيزيده تشابكاً وتعقيداً . هذا الكفاح الذي يبدو

عنيفاً في دولة الحيوان على حين أنه أعنف في دولة الناس، نراه

يشدد عنفاً كلما ارتقى المجتمع وتحضر . ففي المدائن الكبيرة

يستطيع الكائن الانساني أن يصل الى درجات هائلة من الألم

ومن اللذة أيضاً .. غير أن اللذة اذا تجاوزت حداً معلوماً

أصبحت افراطاً وبالتالي مصدر اختلال داخلي يؤدي الى العناء

ومن ناحية أخرى يضاعف المجتمع هذا الصراع اذ يضيف اليه

صراعاً جديداً ، أكبر ميداناً ، هو الصراع القائم بين الكائن

الفرد الذي هو الانسان والكائن المشترك الذي هو المجتمع .
فالمجتمع بدوره يناضل للاحتفاظ بكيانه ، ويفرض على اولئك
الذين يؤلفونه شرائع معينة ، كما هي الاعلانات الجديدة تعارض
سبيلهم الى اطماعهم ، وصدمة جديدة تضاف الى صدماتهم ،
وآلام جديدة تثقل من آلامهم ...

وإذا كانت تلك المبادئ هي التي يراها بلازك أساساً للحياة
الطبيعية ، فما موقفه ازاء مشكلة الانسانية الكبرى ، مشكلة
الفرد والمجتمع ؟ انه يحمل على المدنية والحضارة ، ولا يكاد
يكنم دعوته الى الثورة والفوضى . أعظم أبطالهم الخارجون
على القانون - ويمثلهم «فوتون» - ثم الوصوليون الذين يلتوون
في سيرهم مع القانون ، ويمثلهم «راستنيك» . والى جانب
هؤلاء وهؤلاء يحتشد الضحايا ، أبطال البؤس والشقاء : «المرأة
المهجورة» التي لا ينال أثمها من عطفنا عليها ، و « المرأة التي
في الثلاثين من عمرها ، بهفوتها الكبيرة التي تستدر رأفتنا ،
والمرأة التي قابى أن تنغمس في الخطيئة فيعاقبها المجتمع كما
عاقب « الدوقة دي لانجيه » . ولا يجد أبطال بلازك السعادة
ولا امتياز في خضوعها للتقاليد وامثالهم لنظم المجتمع ، وانما
يسعد السعداء منهم ويمتاز الممتازون منهم حين يقبلون
الاضاع ويتجاوزون الحدود ويقهرون الواقع ويفتصبون من
المجتمع ما يريدون ! وأما الضعفاء فتنوء بهم أثقالهم ، وقد
ياودون بالموت من عناء الحياة ! ومن الحق أن «طبيب الريف»
قد شذ عن سواه في أبطال المهزلة الانسانية فوجد توازن

قواه وامتياز شخصيته في اتباع شرائع المجتمع وفعل الخير
والسير بالناس في ركب الحضارة ، ولكنه حالة فردية في
فحص بلزاك ، فضلاً عن أنه لم يصب ما كان ينشد من سعادة ،
فقد كان قلباً جريحاً .. أي ضحية من ضحايا الحياة .

نساء «بلزاك» الفاضلات أكثر من الآثام ..

يا لها من صورة قائمة ! لقد أثارت هذه النظرة السوداء
الى الأنسانية سخط كثير من معاصري بلزاك ، فرد عليهم
باحصاء كتبه وابطاله ، محاولاً أن يثبت أن كتبه التي تذيع
الخير تربو على كتبه التي تذيع الشر ، وأن عدد نساءه
الفاضلات يفوق عدد نساءه الآثام ، ولكن مثل هذا الدفاع
لا يقنع قط من قرأ « المهزلة الأنسانية » ولمس ما تعرضه من
فساد المجتمع .

وعلى الرغم من هذا كله كان بلزاك متفائلاً ، يعرف
للإنسان كرامته ويؤثر البناء على الهدم . ولذا تضاربت آراء
النقاد في حقيقة أدبه ومعانيه وفي تحديد القيمة الاخلاقية
للدروس التي يقدمها الى القراء . وقد ظلت فلسفة بلزاك
الاجتماعية غامضة متناقضة معقدة في نظر من تناولوها من بعض
أطرافها بالشرح والتأويل والتخريج ، حتى توفر الباحث «برنار
جويون» على دراستها نحو عشرين عاماً ، ونشر فيها رسالته
سنة ١٩٤٧ ، فجلاها وحالها الى عناصرها ، وأرخ أطوارها
في حياة بلزاك وكتبه .

لاحظ الدكتور جويون تشاؤم بلزاك منذ صباه ، في جو
الأسرة والمدرسة ، ثم في مكتب المحامي ، ثم في مشروعاته
الفاشلة ، وعشرة صاحباته المسنات . ولاحظ مع ذلك ما
كان يمتاز به من طبيعة قوية ، من أرادة حازمة ، ونشاط
خصب ، وجلد عظيم ، وحب للحياة على اختلاف صورها .
فهو من ناحية كان ينظر الى الحياة كما هي ، ويقدر الواقع حق
قدره ، ومن ناحية أخرى كان يستمد لنفسه الحية غذاء من
آراء الفلاسفة المتفائلين الذين ملأوا آخر القرن الثامن عشر في
فرنسا أيماناً بوجوب تقدم الانسانية ، وبقدرة العقل على
تحقيق هذا التقدم .. وغذاء آخر من آراء طائفة «السان
سيمونيين» الذين حاولوا اصلاح المجتمع في أوائل القرن
التاسع عشر . وحسم الاستاذ «جويون» ما يبدو من التناقض
في أدب بلزاك بأن ميز في هذا الادب وجهتي النظر المختلفتين
اللتين أنجبتاه : وجهة نظر القصاص الذي يريد أن يصور
حقيقة الواقع ، ووجهة نظر المفكر الذي يريد أن يرسم
مذهبه الاجتماعي والسياسي . فلا بد للأول من أن يقدم لنا
لوحة صادقة لحياة الناس بما فيها من اضطراب وألم ، وظلم
وشقاء . لا بد له في أن يتقصص أبطاله ويندفع معهم في البحث
عن السعادة والارتباط بالعقبات الاجتماعية ، ولا بد أن يخلق
بيننا وبينهم التجارب الوجدانية التام فيتحمس لاطماعهم
ويثور لثورتهم ويشاطرهم ألمهم ويتأثر لمصيرهم . ولا بد للثاني ،
وهو الفيلسوف الحريص على حياة المجتمع وكيانه ، من ان

يسعى الى حفظ التوازن بين مختلف القوى التي تسيطر على العالم ، فان في ذلك وحدة مساندة المجتمع من الفساد والبقاء ، وضمن بقاءه سليماً مرصوفاً متماسك الاركان . وما من شك في أن الفيلسوف كالفصاح يهتم بسعادة الافراد ، اذ أن حظاً من هذه السعادة لازم لصلاح أمر المجتمع ، ولكن السعادة الفردية ليست الهدف الرئيسي للناظر الى منفعة الجماعة . وهكذا نجد في المهزلة الانسانية ، مقابل الثورة والفوضى التي يعمد اليها الأشخاص ، سلطاناً واستبداداً ونظاماً عاماً يكفل سلامة المجتمع ، ويقيه شر الانحلال .

ينبغي اذن أن تكون السلطة في يد واحدة ، يد قوية ، مطلقة النفوذ . وينبغي أن تتساند طبقات الأمة في أوضاعها الثابتة ، فلا سبيل الى المساواة بينها لأن الطبيعة قد فرضت التفاوت بين درجات مختلفة ، وكل جهد يبذل في المجتمع للقضاء على تفاوت المراتب الطبيعي يؤدي - اذا نجح - الى فترة من الفوضى يتشكل أثناءها مجتمع جديد على أساس من فوارق جديدة . وللحاكم أن يدين « بالكميافية » في سياسة الدولة فيردع التمرد بالارهاب ، وينزل الى قبول الامر الواقع الذي لا بد من قبوله ، ويمكر بالرأي العام في سبيل تحقيق الصالح العام .. ما أعظم نابليون ! اذن وما أحكمه !

خلاصة مذهب بازك الاجتماعي والسياسي

ولئن استحال خلاص الفرد خلاصاً تاماً من الاضرار التي

يلحقها به وجود النظام الاجتماعي، فمن المستطاع تخفيف هذه
الاضرار: ضعوا حداً لامتداد المدائن وطفانها، وامنعوا
كبار رجال الأقاليم، من الهجرة إلى الحاضرة حيث يجيبون
ويتلفون، وأبقوا عليهم في اقاليمهم حيث ينتجون وينفعون
البلاد.. ضعوا حداً لأغراء المجون وفتنة الترف، وأصلحوا
قوانين الزواج وأحسنوا تربية البنات، كي تقتصر الفضيلة على
الرزيلة ويستقر المجتمع. ثم.. هناك «الدين»، وهو فوق
هذا كله وسيلة من وسائل الحكم الصالح، لأنه يأمر بالمعروف
وينهي عن المنكر، فهو دافع أيجابي يحث العباد على فعل
الخير والعمل على رقي الانسانية، ووازع سلبى يوقف غلواء
الاغنياء ويطش الاقوياء، ويهدىء من نقمة الفقراء وثورة
الضعفا.

ذلك هو مذهب بلزاك الاجتماعي والسياسي كما استخلصه
الاستاذ جويون، وفيه نرى كيف اثلتت الحزبية والاستبداد،
وكيف تمشى التجديد مع التقليد، وكيف اجتمع أصحاب
اليسار وأصحاب اليمين صفاً واحداً. كان بلزاك قائماً وكان
محافظاً كان جمهورياً وكان ملكياً، فألب عليه جميع الاحزاب
أثناء حياته، وكسب ثناء جميع الأحزاب بعد وفاته!

بقي ان «الهجرة الانسانية» درس رهيب، وان بلزاك
رجل يدس السم في الدسم.. إلى أي مدى يصح هذا الاتهام؟
ولماذا يحمل أنصار الأخلاق الفاضلة على بلزاك؟ لأنه يصور

قبح المجتمع ولؤم النفوس ؟ لقد كان من الشجاعة والصراحة
والجرأة بحيث قال كلمة الحق في أحلام الناس ، وهاجم
أصحاب المال وأصحاب النفوذ . وفي الحياة الخير والشر ،
وبلزاك يدعو قارئه الى التفكير ويترك له حرية الاختيار !
وكيف يقوم الفن السليم على غير أساس من تصوير الحقيقة ؟
لقد صور بلزاك حياتنا ، صور اضطرابها واختلاطها ، حلوها
ومررها ، واصطراع القوى المختلفة في سبيل الارتقاء .

إنه كاتب صادق !

انتهت

ميكيل انجيلو

قصة حياة وكفاح الفنان الأعظم

تعريب هنري توماس

كان « ليوناردو دافنشي » مارا في ميدان « ديللا ترينيتا » بمدينة فلورنسا ، مزهواً بظهره الأنيق وابتسامته الجذابة ، حين صادف جماعة من مواطنيه البارزين جالسين على مقعد من مقاعد الميدان يتناقشون في مقطوعة من شعر شاعرهم العظيم « دانتي » فلما رفع أحدهم بصره ورآه هتف بهم : « ايها السادة .. هذا هو الرجل الذي يستطيع أن يحسم مناقشتنا ».

في تلك اللحظة ظهر في الجانب الآخر من الميدان شاب ينم وجهه ، بأنفه الافطس المكسور ، عما تنطوي عليه نفسه من ضغينة وحقد على الدنيا بأمرها ! .. كان شعره القصير الشعث يتدلى على جبهته في غير نظام ، وثيابه رثة مهملات ، وحنذاؤه مغطى بطبقة من غبار الرخام ، ويداه خشنتين تعلق بأظافرهما آثار من معجون الطفل .. فأشار اليه ليوناردو وقال

لرفاقه : « هذا هو « ميكيل انجيلو ، أيها السادة .. أنه خير
من يشرح لكم شعر دانتى ! »

لكن انجيلو ، الذي كان دائماً مرهف الاحساس بالأهانات
حمل قول ليوناردو على محمل التحدي المباشر ، فصاح به في
سخرية : « بل فلتشرحه أنت لهم ! أنك قدير على كل شيء ..
أو لم تصنع نموذجاً لحصان ثم نبذت المهمة لأنك عجزت عن
صبه في قالب من البرونز ؟ »

ومضى ميكيل انجيلو في طريقه بعد أن نفس بهذا الانفجار
عن حنقه المكبوت على حظه من الحياة .. فقد كان ما يزال
شاباً ، مغموراً نسبياً ، في حين كان ليوناردو - الذي يكبره
بثلاثة وعشرين عاماً - محسوباً في عداد أساطين الفن في تلك
الأيام .. ولم يكن يدور بخلد انجيلو يومئذ أنه سوف يتفوق
على منافسه ، سواء في الثروة أو المجد !

رب ضارة نافعة !

كان أبوه - « لودوفيكو دي ليوناردو بيوناروتي » -
عمدة (كابريز) .. ونشأ الفتي في أسرة جميع أفرادها من
الذكور ، فقد كان له أربعة اخوة ، ليست بينهم أنثى واحدة
حين أمه ماتت وهو بعد في السادسة من عمره . وكان الأب
رغم نبيل محتسده فقيراً ، بلا عمل في أكثر الاوقات ، ومن ثم
كان سيء الطبع عنيفاً في معاملة أولاده . وكان أخص ما يثير

غصبه قول ابنه « ميكيل انجيلو » المتكرر أنه يريد أن يصبح « فنانيا » .. فقد اعتزم الأب أن لا يسمح لفرد من أسرة بيوناروني بأضاعة وقته في عمل « قاف » كالرسم بالفرشاة أو النحت بالازميل ، وإنما ينبغي على أولاده الخمسة أن يشتغلوا بالتجارة وأعمال البنوك ، مثل أبناء أسر ات فلورنسا الكبيرة وهكذا أخذ الأب ابنه الحالم بالشدة والصرامة ، محاولاً أن يبت فيه روحه « العملية » .. ولكن بلا جدوى ، فبرغم ضربه وتعنيفه إياه ، أصر ميكيل انجيلو على أنه يريد أن يصير فنانياً ! .. وعندئذ أدخله أبوه ، مضطراً ، معهد « شرلانداجو » الفني .. ونفض يده منه يائساً !

وكان ميكيل وقتئذ لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره ..

كان « شرلانداجو » في ذلك الحين يشتغل برسم جدران كنيسة (سانتا ماريا) فعهد الى تلميذه الجديد « ميكيل » بمهمة طحن مواد الالوان ونقل بعض الرسوم من نماذجها الدقيقة التي أعدها الاستاذ من قبل . فجاءت صور التلميذ المنقولة أروع من الأصل ، الأمر الذي أثار غيرة « شرلانداجو » منه فأخذ يضايقه بكافة أساليب المضايقة الحسيرة ! .. وأحس التلميذ المرهف الاحساس بما يمكنه أستاده نحوه من شعور وضع ، بعد ما قاماه من أبيه في الماضي من تنقيص ، فنقد الفن الناشئ تدريجاً ثقته في محبة البشر .. ولازمته هذه الريبة حتى آخر أيام حياته ..

وقد كان من حسن حظ ميكيل انجيلو في الواقع أن استأذنه
(« شيرلانداجو » ، قد نفرو منه على هذه الصورة ، من انتهى به
الأمر إلى التخلص منه بحالته إلى زميله الأستاذ « برتولدو » .
وكان هذا شيخاً مسناً يتولى تعليم تلاميذه فن النحت على نماذج
من آثار « حديقة مدتشي » القديمة التي كانت قد اكتشفت
حديثاً .. وكان ذلك المكان بالنسبة إلى ميكيل انجيلو بمثابة
« جنة عدن » ؛ ففيه تعلم الفن الذي خلق الله يديه كي تمارسها ..
وفيه قابل الرجل الذي قدمه إلى عالم الثقافة والفن والموسيقى ،
والشعر والجمال والدعابة .. وكل ما كانت روحه الشابة
متعطشة إليه ..

ف ذات يوم ، فيما كان ميكيل انجيلو ينحت وجه شيخ مسن
في حديقة « لورنزو دي ميدتشي » صادف ان كان لورنزو
الشهير بلحمه ودمه يتنزّه في الحديقة .. فوقف يتأمل التمثال
الصغير برهة ، ثم التفت إلى المثال الشاب قائلاً : « يا ابني ..
ألا تعلم ان الشيخ المتقدم في السن لا بد أن يكون قد فقد
بعض أسنانه ؟ » ، وإذ ذاك تناول الشاب ازميله فكسر به
أحدى أسنان التمثال ثم التفت إلى محدثه قائلاً : « مكذا؟ »
فضحك لورنزو وقال : « نعم ، مكذا » .

الدنيا تقبل عليه ..

وأعجب لورنزو بالفق الموهوب الذي لم يتجاوز الرابعة
عشرة ، فأخذه إلى قصره حيث سمح له بالجلوس إلى مائدته ،

واللعب مع أولاده ، وأهداه معطفاً بنفسجي اللون .. ثم أجرى
عليه مرتباً شهرياً قدره خمسون ريالاً ، وفتح له عينيه على
أعجاز العلم ، الوثني ، الذي يعيش فيه .. وهناك تدرق النجيلو
الجمال وجرع الحكمة من شفاء أحكم الفلاسفة والشعراء والكتاب
الذين كانوا يترددون على قصر « مديتشي » من شق أركان
الأرض .. وحول مائدة مديتشي - مركز حضارة العصر -
كان « ابوللو » رب الشعراء و « أفلاطون » نبي المعرفة ، محور
أحاديث السامرين . وفي ظل هذا التأثير الوثني وجد النجيلو
التشجيع الذي أغراه على إنتاج عمله الفني الأول ، وهو لوحة
بارزة تمثل معركة بين البشر والحيوان ، ويتجلى فيها جمال
الأجسام العارية على النمط الأغريقي ..

وذات يوم دهمت النجيلو الكارثة التي خلفت أثراً في نفسيته
وحياته طيلة عمره بعد ذلك .. فقد بدرت منه كلمة انتقاد
لفن زميل له من تلاميذ المعهد يدعى « توريجيانو » ، وكان هذا
فق سريع الغضب قوي البنية ، فلكمه بقبضته لكمة كسرت
عظام أنفه وشقت لحمه ، فأغمي على النجيلو من قوة الصدمة
وحمل إلى بيته وقد حسب القوم ميتاً .. وحين التأم الجرح
نظر الشاب إلى وجهه في المرآة فرأى آثار الندبة تشوه معالمه
ومنذ ذلك التاريخ انطوى على نفسه ، وبدأ ينظر إلى الجنس
البشري كل بسخط كاس .. ولم يشف قط تماماً من تأثير ذلك
التشويه الجثامي والنفساني الذي أصابه ا

في تلك الفترة بلغت مسامع انجيلو دعوة المصلح الديني والسياسي د سافونارولا ، الذي حمل على الفساد الوثني والوحشية التي يمارسها حكام المدينة السريين ، فكان لتلك الصيحة أثر بالغ في نفسية الفنان الشاب المرهف الاحساس في أن يتبعه فيهبجر فنه وديناه بأمرها وينزوي بدوره في أحد الأديرة .. فلقد نشب في أعماقه صراع عنيف بين الالهاد والمدين ، بين الجمال والواجب ، بين مبادئ العالم القديم والمثل العليا للعالم الجديد .. لكن الصراع لم يلبث أن خمد بعد حين واستطاع انجيلو - لحسن حظ الفن والانسانية - أن يوفق بين النقيضين ، ويسخر فنه لخدمة المسيحية والوثنية في آن واحد ، أو (يزوجها) على حد تعبيره ، ويوحد بين قداسة الجمال وجمال القداسة . وقد أسبغ عليه هذا التوفيق سكينه نفسية ، وصار المبدأ المسيطر على جميع آياته وروائعه في مستقبل حياته ..

في تلك الأثناء مات (لورنزو) حاكم المدينة ، وراعي الفن والفنانين - وفي مقدمتهم انجيلو - قتلت ذلك فترة اضطراب سياسي ، إذ استطاع (سافونا رولا) أن يؤلب الجمهور ضد طيش واستهتار (بييرو دي مديتشي) ابن لورنزو ولم تلبث جيوش شارل ملك فرنسا أن زحفت في اتجاه المدينة ... وقام نفر من المتعصبين للدين باتلاف الكثير من الصور والتماثيل الجميلة في مختلف أنحاء فلورنسا .. فتراكم في الشوارع

حطام كنوز الفن المدخرة طيلة قرون ا. وأمام هذه العاصفة،
أضطر الشاب إلى أن يفر من المدينة !

www.library4arab.com/vb

الغيرة والحسد .. يطاردان !
ولجأ أول ما لجأ الى بلدة (بولونيا) ، حيث عهد اليه
المشرفون على كنيستها بصنع تمثال على صورة (ملاك) يمثل
الوحدة بين العالم القديم والعالم الجديد .. ولكن ، مرة أخرى
طاردت انجيلو قوى الحسد والغيرة من جانب زملائه الفنانين
ذوي النفسيات الوضيعة ، الذين رأوا فيه منافساً متفوقاً
يخشى خطره .. فاضطر الشاب تحت ضغط هذه المطاردة
الفنية أن يهجر بولونيا ويعود الى فلورنسا . لكنه لم يمكث
في مسقط رأسه غير فترة قصيرة ، شد بعدها رحاله قاصداً
الى روما ، كي يبحث فيها عن حظه الضائع . ولم يكن قد
جاوز الواحدة والعشرين حين وضع قدمه في مدينة الفاتيكان
ذات الماضي العريق .

لكن حراس الايمان وسدنة الدين كانوا قد خانوا رسالتهم ،
فحين وصل ميكيل أنجيلو - سنة ١٤٩٦ - وجد روما مدينة
للهو ، والموسيقى ، والجريمة !.. للعلم ، والجمال ، والفساد ،
وزنزاقات السجون الكريهة !.. للتدين في بيوت الفقراء ،
والشهوة في بيوت الأغنياء ..

ومن ثم عاش « انجيلو » عابثاً أشبه بالغريب عن هذا
الوسط ، أو النغم الناشز عن الدنيا كلها !.. كان لسان حاله

يقول : « ليس لي أصدقاء .. ولست بحاجة الى أصدقاء ..
ولن يكون لي أصدقاء ! »

لكنه بعد انقضاء عشرين لس اعترافاً بنفسه ، حتى في مدينة
الأناثية المتوحشة والتنافس الذي لا يرحم ، واشترك في مسابقة
لصنع تمثال للمسيح والعذراء كي يوضع في كنيسة القديس بطرس
فكتب في مواصفات المشروع : « سوف يكون التمثال أروع
ما يستطيع أن يصنع أي فنان معاصر ! »

وكان هو الرابع في المناقصة ، فأسندت اليه المهمة ، وصنع
التمثال .. وهرع أهل روما لمشاهدته ، فرأوا المسيح الميت
راقداً في حجر امرأة رائعة الجمال ، تصغره في السن بكثير !
وأعجب النظارة بالعمل الفني ، لكنهم دهشوا وسألوا المثال
الشاب : لماذا جعل الأم أصغر سناً من الابن ؟ .. فأجابهم
أنجيلو : ألا تعلمون أن أية امرأة طاهرة تحتفظ بشبابها عواماً
طويلة ، أكثر من سواها ؟ فكم بالاحرى تحتفظ بشبابها العذراء
مريم ، التي لم تستلم يوماً لشهوات البشر ، المحللة والمحرمة على
السواء ؟ ! »

التمثال .. العملاق !

وقد ظل أنجيلو طيلة حياته ينحت الصور والتماثيل لا وفقاً
لمعتقدات العصر ، بل وفقاً لفلسفته الخاصة ، وكان من أوائل
الفنانين المحدثين الذين طبعوا علم النفس في الفن . . . وحين فرغ
من ذلك التمثال استلم أول مرة لرديلة الغرور ، ففضى ليلة

منفرداً بالتمثال داخل الكنيسة ، في غير حضور احد ، يحفر اسمه ومسقط رأسه على قاعدة هذا العمل الفني العظيم . وكانت المرة الأولى والأخيرة التي وقع فيها اسمه على عمل فني من صنعه !.. فمثل الأشجار والجبال التي تحمل طابع الطبيعة ، كانت تحف ميكيل انجيلو وآياته في غنى عن أن يكتب عليها اسم خالقها !

وفي سن السادسة والعشرين عاد انجيلو الى فلورنسا ... وأثناء مروره بفناء الكاتدرائية الكبرى فيها رأى كتلة ضخمة من المرمر مهملة في مكانها منذ ست وأربعين سنة !.. فعرض على أولي الشأن أن يتيحوا له الفرصة كي يصنع منها شيئاً جميلاً . وقبل عرضه ، فبدأ العمل فيها يوم ٢ اغسطس سنة ١٥٠٢ .. وفي يناير سنة ١٥٠٤ كان تمثال الملك « داود » الضخم الشهير قد تم !

وأطلق الناس على التمثال : « العملاق » .. وبلغ من شهرته أن صار الايطاليون يؤرخون الاحداث الهامة تبعاً له فيقولون : « في السنة التي أقيم فيها العملاق » .. ومن يزور أكاديمية فلورنسا للفنون الجميلة اليوم يرى فيها هذا التمثال قائماً جباراً ، يجسمه القوي الرياضي ، ورأسه الصغير ، وخصره النحيل ، وذراعيه النحيلتين ، ويديه القويتين اللتين تبرز أوردتها الدموية العيان .. وبيده اليسرى يتناول « القلاع » من على كتفه .. وفي يده اليمنى يمسك بالحجر متأهباً لاطلاقه على

بدوه الجبار « جوليات » .. على أن أجمل ما في التمثال هو
جبهه الذي ترسم فيه سمات الرجولة الكاملة ، والعزم الراسخ ،
الاحتقار للأعداء .. التي كانت سمات انجيلو نفسه ، فقد
انت لكل من « فنان فلورنسا » و « منشئ المزامير » نفسية
احدة : نفسية الفنان والمحارب في آن واحد !

وأعادت شهرة « العملاق » صانعه الى روما ، حيث كان
بابا « يوليوس الثاني » مشوقاً إلى أن يخلد ذكراه بقبر لم يشهد
عالم له مثيلاً ! ومن يصنع له هذا القبر العظيم غير انجيلو ؟ ..
هكذا استعان به على تحقيق حلمه ، فأعد الاثنان تصميماً
قبر الفاخر يتكون من أربعين حارساً - بحجم الانسان
طبيعي - يحيطون بثمان البابا ، وكلهم يمثلون أعظم قديسي
لماضي وأبطاله وأنبيائه .

وسأل البابا انجيلو : « كم يتكلف هذا التمثال ؟ » .. فأجاب
فنان ، مغالياً في التقدير : « مائة الف ريال ! » .. وإذا
اك قال البابا : « وما قولك لو جعلناها مائتي الف ريال ؟ » ..
قبل أن يفتق انجيلو من ذموله ، هتف به البابا وهو يصرفه :
« لا تقف هكذا محملاًقاً أيها الشاب .. اذهب لتبدأ العمل ! »

.. والوشاية تتعقبه !

وسافر انجيلو الى (كارارا) حيث انتقى عشرات الاطنان
من الرخام الفاخر . ولم تكده هذه الرحلة الرصوية تعمل الى فناء
كنيسة القديس بطرس حتى بدأ انجيلو العمل في صوغها وبعث

الحياة في مادتها الحجرية . ولكن ، هنا تدخل الحسد والغيرة
لعرقلة جهود الفنان الناجح ، فسرعان ما بدأ البابا يترأخى في
إمداد انجيلو بالمال المثق عليه ! وظهر ان منافساً له يدعى
« برامانت » أدخل في روع البابا ان اقامة القبر أثناء حياة
صاحبه فال سميء ، واقترح المتحدث أن يتولى هو تصميم العمل
الجديد فيعيد بناء كنيسة القديس بطرس بحيث تصبح تحفة
للأجيال !

واقتنع البابا بكلام الواشي .. فلما ذهب انجيلو ليقبض
قдрاً من المال ، طلب منه الحراس أن يعود في الغد.. ولبثوا
يكررون له الوعود الباطلة ويحولون بينه وبين مقابلة البابا
- بأمر من البابا ! - يوماً بعد يوم !.. حتى جابهه أحدهم مرة
بقوله : « لدي أمر بمنعك من الدخول ! » .. فاستشاط انجيلو
غضباً وصاح بمحدثه : « إذن قل للبابا انه اذا أرادني في
المستقبل فليحضر بنفسه إلي ! »

وكانت نتيجة ذلك انه اضطر الى الفرار من روما .. فعاد
الى فلورنسا بقلب يثقله المزيد من سوء الظن بالانسانية . أحس
انجيلو الان ان العالم بأسره يقف ضده ! صار يحكم إغلاق مرسمه
خشية أن يتسلل اليه أحد منافسيه فيسرق أفكاره ومشروعاته
وبلغ من ارتيابه في مقاصد الناس أن صار يرقاب في نية خياطه
إذا وجد في متره عيباً ما ، فيخيل اليه ان الرجل قد فعلها
متعمداً بغية إغاظته !.. وكلما جرح شخص إحساسه كان

على نفسه ويعتصم بكبريائه ويأبى أن يدع أحداً

www.library4arab.com/vb

منه !
ستدعاه البابا مراراً وتكراراً، لكنه رفض الذهاب!..

إليه من يبلغه ان البابا « يتوسل اليه » أن يذهب !..

ذه المرة قبل انجيليو أن يذهب لمقابلته ، ولكن على أن

في منتصف الطريق .. في بولونيا وليس في روما !

نال له البابا : « انك رجل غريب .. بدلاً من أن

الينا أنتظرت حق جئنا اليك ! »

أن قداستك قد أسأت إلي أكبر الاساءة .

لكني سأحوها .. أعدك بذلك .

ضع يده على رأس الفنان الراكع عند قدميه .. وباركه !

كن البابا كان ما يزال متشائماً من فكرة اعداد قبره أثناء

، فنبذها وكلف انجيليو بمهمة أخرى بدلا منها : أن

يقف كنيسة (سستين) بمقر الفاتيكان .. فأدى انجيليو

كأروع ما يكون الاداء . قضى أربع سنوات راقداً

بره طيلة النهار فوق محفة خشبية يرسم ويلون !.. وبلغ

ياد عينيه وعضلات بصره لهذا الوضع أن ظل بعد ذلك

عاجزاً عن القراءة ما لم يضع الخطاب أو الكتاب الذي

نراه فوق رأسه ويرفع بصره اليه من أسفل !

www.library4arab.com/vb

بين أتم انجيليو رسم السقف الذي يحوي صور أثنى عشر

رسولاً وقديساً ، ذهب البابا ليتفرج عليه .. فلاحظ ان ثياب
الرسول الذين رسمت صورهم أولاً قد حلت بالذهب والتطريز ،
بينما حذف ذلك من ثياب الباقيين . وحين سأل انجيلو عن
السبب أجاب بقوله : « في عصر هؤلاء الآخرين كان الناس
فقراء وأمناء ، يملكون الإيمان لكنهم لا يملكون الذهب ا ،
ولئن كان قد قيل في وصف شكسبير ا : (أن الله قد
ضاعف الخليفة حين خلق شكسبير) .. فإن هذا القول يصح
أيضاً في وصف ميكيل انجيلو ، فان موقف كنيسة (استين)
انما هو الخليفة خلقت من جديد ا . كيف لا وقد صور فيها
انجيلو مراحل خلق الدنيا ، مرحلة بعد مرحلة : ففي البداية
نرى ظلاماً ووحشية رهيبية . ثم تأتي اللحظة السابقة لمولد
العالم ، وهي لحظة حافلة بعوامل الترقب والانتظار .. ثم نرى
سحباً من الملائكة .. ثم يفصل الرسام النور عن الظلمة .. ثم
يصور الشمس والقمر .. ويفصل الماء عن الأرض .. ويبعث
الحياة في آدم بلمسة من أصبعه .. ويصوغ حواء من ضلع آدم
ويضع أمامها أشجار الحديقة والفاكهة المحرمة ... ثم يرسل
ملاكاً ليطرد آدم وحواء من الجنة بسيفه الذي يشع منه اللهب .
ويرسل طوفان غضبه على البشر الخطاة ... وحول هذه
الصورة الوسطى للخليفة والدمار يجلس الانبياء والرسول
والحواريون ينظرون ، ويفكرون ، ويؤمنون ، ويصلون ..
وقد أنعمت كل في رسالة خاصة ، غايتها الوساطة بين الله
والإنسانية .

ومات البابا يوليوس الثاني ، فطالب ورثته ميكيل انجيلو

بإتمام التاب الذي كان قد صرح في الشاء أثناء حياته . . ورغم

ان تلك الايام كانت حافلة بالحروب والأوبئة التي تجتاح

ايطاليا - بحيث كانت الأبنية تدمر ، والصور تحرق ، والتماثيل

البرونزية (ومنها بعض تماثيل انجيلو نفسه) تصهر في فوهات

المدافع !- فان الفنان مضى في عمله ، غير آبه بهذه المثبطات :

وتتابع البابوات ، فانتخب كل منهم ، وحكم ، ثم مات ،

والفنان ماض في مهمته . . وتواترت عليه الأمراض ، وخيبة

الأمم ، ودسائس الاعداء ، وأنامله التي بدعها الله كي تخلق

الجمال ماضية في عملها الملهم !

واتهمه حساده بالكسل ، والأناية ، بل وعدم الامانة ،

فزعموا أنه قد أرثى من أصحاب محاجر (كارارا) كي يمون

القبر برخامهم دون غيره من أنواع الرخام ! . .

ورغم أن التهم كانت ملفقة ، فقد أصفى اليها الرؤساء

فأجبروا انجيلو على استخدام نوع آخر من الرخام يقل عن

الأول في الجودة . . ومع ذلك فإنه مضى في مهمته ، شاكيا

مرارة نفسه للرمز الأخرس ، وهو ينطقه بأفصح بيان !

وهو يعطينا صورة دقيقة لشخصه في تلك الآونة - وكان

في السابعة والأربعين من عمره - فيصف صورته بهذه

العبارات : شعر قصير مجعد ، وجبين غصته الآلام ، وعينان

مفكرتان نافذتان - لكنها ذاهلتان - وشفتان ضيقتان

مضبوطان ، في حزم وتحد .. ولحية قصيرة سوداء .. والوجه
كأنه يسيطر عليه الانقباض المريع ، الأظلم ، المكسور ..
وهي قسبات رجل عرف الحزن ، والتمرد ، والسخرية ،
والجمال ، والعناد ، والاستسلام . قسبات شخص خرافي
وقديس !

٢٣ سنة .. في نحت ضريح !

وأنفق في صنع ذلك الضريح ثلاثة وعشرين عاماً ..
أودى الطاعون خلالها بأخيه ، وكاد يودي به هو ... ولكن
حق في تلك الظروف « المستحيلة » أفلح الفنان في أن يفجر
النار من الرخام ! .. وأخيراً - في سن السبعين - فرغ من
مهمته . وكان واحد من حراس القبر الأربعين يرمز الى شخص
« موسى » ، وقد جاء تمثاله أسى صورة لفن النحت الحديث ،
فان نصف التمثال على شكل إله ، ونصفه على شكل إنسان
- رمزاً للوثنية والمسيحية - وفي جبهته الضيقة قرنان . وهو
يصور موسى جالساً وقد تدلت لحيته الطويلة حتى ركبتيه ،
وامتدت ذراعه العاريتان الى جانبيه ، وأمسك بيمينه القوية
حجر الشريعة . أما حركة قدميه فتم عن التأهب للنهوض
لخطبة شبه التمرد بقرة ، وإعلانهم بأوامره ووصاياه ..
وفي عينيه الحادثين تهديد ووعيد ، وفي شفته السفلى غضب
وإنذار .. وبالاختصار فهو يرمز الى النبي الرهيب المرسل من

قبل إله غضب ، كما يرمز الى الإدانة الصارمة الصادرة من

www.Librarary4arab.com/vb

الانسان الامسى على البشر المرحسين . . .
وفي تلك الحقبة كان ميكيل انجيلو نفسه - مثل موسى -
يدين البشرية في أعماقه ، دينونة أظهرها في فنه حين عاد إلى
جدران كنيسة (سستين) فرسم عليها لوحات تكميلية تمثل
« يوم الدينونة الاخير » . . . وقد جاءت أجساد أكثر المخلوقات
في رسمه عارية من الثياب ، فعلق كوردينال من رجال الدين على
ذلك بقوله : « ان هذه اللوحة تصلح لحانة ، وليس لكنيسة ! »
و حين طلب البابا من أنجيلو أن يكسو أجساد العرايا أجابه
الفنان في حدة : « فليمن صاحب القداسة بأرواح رعاياه ،
ويدعني أنا أعنى بأجسادهم ! »

واللوحة تمثل حشداً كبيراً من البشر يحيطون بالمسيح ، وقد
بدا في هذه المرة كإله للانتقام وليس إلهاً للحب . . . لقد جاء
يوماً ليهدي العالم الى طريق الخير ، فنبذه العالم . . . واليوم
يأتي مرة أخرى ولكن ليدين العالم ، وفي دينونته الآن لا أثر
لشفقة ولا رحمة ، وإنما عدل صارم ، وجلال مهيب ، وقوة
طاغية . . . والعذراء تقف خلفه حزينة عاجزة ، تفص بصرها
عن ابنها وهو يسوق الجماهير المذعورة إلى مقرم الاخير ليلقوا
جزاهم : أكثرهم إلى أسفل ، حيث الجحيم . . . وحفنة ضئيلة
منهم الى أعلى حيث النعم . . . وهكذا تصور اللوحة الصراع
الابددي بين جهنم والفردوس ، وتلخص تاريخ الجنس البشري
في صور ترمز لمصير الانسان . . .

www.Librarary4arab.com/vb

غرامه الاوحدا

www.library4arab.com/vb

فرغ انجيلو من لوحة يوم القيامة في ليلة عيد الميلاد من عام ١٥٤١ .. وكان قد بلغ غايته من الثراء والشهرة ، وبات موضع حسد جميع فناني العالم ، لكنه كان أبعد الناس عن السعادة ، وأقرب إلى الشقاء منه في أية فترة مضت !.. فانه كان قد دفع ضريبة طول العمر : فقد أصدقاءه واحداً بعد واحد ، ومنهم ثلاثة فقدم في فترة قصيرة : أحدم فق في الخامسة عشرة ، فنان يافع كان انجيلو المحروم من النسل قد أحبه بجنان الأب !.. وثانيهم عم ذلك الفق وكان من أخلص المعجبين بانجيلو والمتحمسين لفنه . وثالثهم ، أو بالأحرى ثالثهم وأخطرهم أثراً في فجيعة الفنان ، امرأة ذكية جميلة تدعى (فيتوريا كولونا) ، كانت هي المرأة الوحيدة التي أظهرت نحو انجيلو أكثر من مجرد الإعجاب ، فتبادلا - طيبة أعوام - عواطفها المكبوتة في باقة من الخطابات والقصائد التي تعد اليوم من أعظم كنوز الأدب الإيطالي !. فلما انتزع الموت فجأة حلم انجيلو الوحيد الذي مناه بالحب ، وقف المفجوع بجانب جسد المرأة التي عبدها - دون أن يحتضنها قط ! - فتناول يدها الباردة وقبلها . وقد صرح فيما بعد لأحد خلصائه بقوله : لا شيء يعضني ويحزنني أكثر من أني - حتى وهي على فراش الموت - لم أجرؤ الا على أن أقبل يدها ، دون شفيتها .

www.library4arab.com/vb

وبموتها حرم الفنان العظيم من فرصته الوحيدة والأخيرة
للسعادة الدنيوية . وعلى أوتار تلك النجبية انهارت صحته فرقد
مريضاً أسابيع ، يتأرجح بين الحياة والموت !

لكنه أبل من مرضه ، فان رسالته لم تكن قد تمت . كان
عليه أن يتحف العالم بآية أخرى من آيات فنه ، يعتبرها البعض
أعظم آياته على الاطلاق ! . كان في الثالثة والسبعين حين سأله
لبابا أن يضع تصميم قبة جديدة لكنيسة القديس بطرس ،
نرفض معتذراً بتقدمه في السن وعجزه عن الاضطلاع بمهمة
طويلة مثل هذه . لكنه قبل أخيراً تحت ضغط الحاج البابا
رجائه . ولم يكن يأمل أكثر من أن يستطيع العمل في
مشروع الجديد أشهراً معدودة . . لكن البابا الذي كلفه بتلك
لمهمة مات ، ومات بعده أربعة بابوات خلفوه ، والفنان الشيخ
ما يزال على قيد الحياة ، ماض في عمله ! . حتى أتمه بعد ستة
شراً عاماً ، لم تفارقه خلالها قواه الجسمية أو العقلية ..
أخيراً - في سن التاسعة والثمانين - استراح من عمله في ذلك
صرح الفني الرائع .

لكنه لم يسترح الا لكي يبدأ عملاً جديداً ، فقد قضى الأشهر
أخيرة من حياته يضع تصميم أربعة تماثيل لقبره هو وينحتها
في ١٢ فبراير سنة ١٩٤٤ وقف على قدميه ليلة
يوم ينحت الرخام بأزميله .. وبعد يومين خرج على ظهر
واده أثناء انهار الأمطار .. وبعد أربعة أيام أخرى ، لفظ

نفسه الأخير .. وهو محتفظ بوعيه الكامل !. وفي لحظاته
الأخيرة أعرب لقسيسه عن أسفه ، لا على انتهاء حياته في
ذاتها ، وإنما على أنه يموت وهو لم يكفد يصل الى مرحلة
أتقان فنه !

- تم -

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

من مطبوعات مكتبة الطلاب
وشركة الكتاب اللبناني

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| دوستوفسكي (نقد) | ١ - الجريمة والعقاب |
| غستون لرو (نقد) | ٢ - راسبوتين ونساء القياصرة |
| البرتو مورافيا (نقد) | ٣ - المرأتان |
| البرتو مورافيا (نقد) | ٤ - مغامرات كارلا |
| بلازاك | ٥ - امرأة في الثلاثين |
| بلازاك | ٦ - المتصيذة |
| الكسندر دوماس | ٧ - حب وانتقام |
| البيير كامو (صدر طبعة ثانية) | ٨ - الغريب |
| نيزلوف | ٩ - غراميات مدام لا فايت |
| دستوفسكي | ١٠ - ذكريات من بيت الموتى |
| فريدريك كهن | ١١ - خفايا الحياة الجنسية |
| البرتو مورافيا | ١٢ - العصيان |
| فيكتور هيجو | ١٣ - الرؤساء |
| إيفان ترجينيف | ١٤ - الحب الأول |
| بلازاك | ١٥ - الزوجة الضائعة |
| آلان باتون (تحت الطبع) | ١٦ - ابكي يا بلدي الحبيب |

١٧ - مذكرات الأميرة دي لامبال (تحت الطبع)

١٨ - ديوان أبي نواس

١٩ - البحر والقدر أرنت همتغواي

٢٠ - مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي

٢١ - عشيق مدام ارنو جوستاف فلوبير

٢٢ - كولبها ماريه (تحت الطبع)

٢٣ - عذاب الحب أو الحب الزوجي الهرتو مورافيا

٢٤ - الطفولة والصبا والشباب تولستوي

٢٥ - فاضح العذارى اسماعيل اليوسف

٢٦ - ديوان أبي تمام شرح الدكتور شاهين عطية

مراجعة العلامة بولس الموصلتي

٢٧ - نابوليون والنساء تعريب ميشال شاهين

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

مطابع التني
تلفون : ٢٨٣٦٣١

www.library4arab.com/vb

عنوان هذا الكتاب

عذاب الحب

أو

الحب الزوجي

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

عن الكتاب

مرآة كان يبدو شكلها مسوداً
منذراً بالفشل الذريع. وحيناً آخر
كان يبدو براقاً مغربياً يبعث الإنسراح

إلى القلوب. وكيف عند ما
استلقتني إلى جانبها على الترييد.
أتأمل جسدها العاري فأطير لشدة جمالها.

أعجز عن وصفه. لذا تركت هذا الوصف
إلى نبأمة التاريء لعله يشعر به كشعوري
أنا. ماذا أقول في وصفها وهي مستلقية

على ظهرها ورأسها يغروت في
الوسادة..؟ وأنا أعيش بشعرها الجميل
وابعثره وأعيد ترتيبها.

يطلب من الجمهورية العربية السورية - دمشق (محمّد حسين النوري - ص. ب. ١٣٤)

يطلب من الجمهورية العراقية - بغداد - سوق السراي - دار مكتبة الثقافة العربية (عواد عبد الكاظم)

الثن ٥ ليرات لبنانية أو ما يعادلها